ذكريات
من باب السلسلة

بقلم: عاصم الخالدي

ذكريات
من باب السلسلة

ذكريات
من باب السلسلة

بقلم
عاصم الخالدي

2013

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(2013/2/354)

956.4008
الخالدي، عاصم سعيد
ذكريات من باب السلسلة/ عاصم سعيد الخالدي/ .- عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2013
(287) ص
ر. إ. : 2013/2/354
الواصفات: الامبراطورية العثمانية//فلسطين//التراجم/
يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفة ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

ISBN 978-9957 - 00 - 532-0

- ذكريات من باب السلسلة .
- بقلم : عاصم سعيد الخالدي .
- تصميم الغلاف والاخراج الداخلي : مروان حمد .
- تحرير النص : عيسى بشاره .
- الطبعة العربية الأولى : الإصدار الأول 2013 .
- جميع الحقوق محفوظة © .

دار الشروق للنشر والتوزيع
هاتف : 4618190 / 4618191 / 4624321 فاكس : 4610065
ص.ب : 926463 الرمز البريدي : 11118 عمان - الاردن
Email : shorokjo@nol.com.jo

دار الشروق للنشر والتوزيع
رام الله - المصيون : نهاية شارع مستشفى رام الله
هاتف 2975632 - 2991614 - 2975633 فاكس 02/2965319
Email : shorokpr@palnet.com

جميع الحقوق محفوظة، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله أو إستنساخه بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر.

All rights reserved. No Part of this book may be reproduced, or transmitted in any form or by any means, electronic or mechanical, including photocopying, recording or by any information storage retrieval system, without the prior permission in writing of the publisher.

فؤاد عبد الغني الخالدي – 1924

باب السلسلة الذي يظهر تحت المئذنة إلى اليسار هو واحد من أكبر وأهم أبواب الجدار الغربي للحرم القدسي الشريف. وقد عرف الحي المجاور للحرم والطريق الذي يخترقه من جهة الغرب بحي باب السلسلة. وقد أكد أهمية طريق باب السلسلة مؤلف كتاب (أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) المؤرخ المقدسي المشهور القاضي مجير الدين الحنبلي (1476 – 1522) حين وصف ذلك الطريق بأنه الطريق الأعظم في القدس لكونه أكثر الطرق المؤدية إلى الحرم الشريف سلوكا.

وأول ما يصادف الخارج من باب الحرم الشريف هو هذ البيت المملوكي المبني فوق القنطرة الأولى والذي كان يسكنه في القرن السابع عشر القاضي محمود الخالدي – جد كاتب هذه الذكريات – كما أن الكاتب نفسه ولد في الغرفة المبنية فوق القنطرة في ثلاثينيات القرن الماضي.

الإهداء

إلى ولدي **محمد سعيد**،

الذي كانت أسئلته الكثيرة لي عن العائلة وعن القدس تتكرر كل سنة حين كان يحضر من الولايات المتحدة إلى أرض الوطن لقضاء إجازته المدرسية السنوية. فقد كانت تلك الأسئلة الحافز الأكبر الذي جعلني أهتم بجمع ما لدي في كراسة واحدة لكي لا تتناثر الأخبار والأوراق العائلية القليلة الباقية مرة أخرى، فتضيع كما ضاع الكثير منها أثناء تنقل العائلة في السنوات السابقة، لعله يجد ضالته في هذه الصفحات، ويظل يذكر أن طريق باب السلسلة في البلدة القديمة، الذي يقول عنه مجير الدين الحنبلي في كتابه "أنس الجليل" بأنه: " الطريق الأعظم في القدس كونه أكثر الطرق المؤدية إلى الحرم الشريف سلوكا"، فقد كان ذلك الطريق يشمل مساكن أكثر أبناء العائلة التي تقع هناك من باب الحرم إلى المكتبة الخالدية. وهناك كان مسقط رأس الكثير من الأجداد الخالديين منذ مئات السنين.

عرفان وتقدير

ليس من السهل العثور على الأخبار والأوراق العائلية التي يرجع بعضها إلى أكثر من مائتي عام في موضع واحد، فأي بيت كانت تسكنه عائلة واحدة قبل مائة عام فقط قد تشعب أبناؤه اليوم إلى أسر صغيرة ومتفرقة وربما متشتتة في بقاع الأرض بعد ما مر بهذا البلد بالذات من نكبات. وبعض أسباب ضياع الأوراق والمستندات تعود إلى محاولة كل واحد من أبناء فروع تلك العائلة الاحتفاظ لنفسه بما وصل إليه من أوراق وأخبار. ويزيد الأمر صعوبة إذا أخذنا بالحسبان تنقل عائلتنا نحن بفروعها الأصغر من المصرارة عام 1917 إلى داخل أسوار البلدة القديمة عشية دخول جيش الاحتلال البريطاني إلى مدينة القدس، ثم نزوح العائلة مرة أخرى من حي القطمون في غربي المدينة عام 1948 اتقاء شر الأعمال الإرهابية التي كانت تقوم بها العصابات الصهيونية التي نشطت منذ عام 1946 في أعمال كانت تهدف إلى إرهاب السكان العرب وإجبارهم على هجرة بيوتهم ومساكنهم. وقد استمر تنقل العائلة بعد النكبة الكبرى من بيت إلى بيت بعد أن وضعت أملاك العائلة في غربي المدينة تحت إشراف الحارس على أملاك الغائبين الإسرائيلي.

ولا بد أن أذكر هنا أن الفضل في وجود مجموعة الأوراق القليلة الباقية التي وصلت إلي يرجع للسيدة حسب خانم كريمة الحاج يوسف داود الخالدي المتوفاة عام 1917، والتي احتفظت بما وصل إليها من بعض أوراق أخيها لأمها محي الدين بن رشيد داود الخالدي المتوفى عام 1905 وأوراق ابنه عبد

الغني وشهاداته المدرسية التي حصل عليها منذ أن كان تلميذا في القدس في ثمانينات القرن التاسع عشر إلى أن أتم دراسته في بيروت عام 1897، ومن ثم في مكتب الحقوق في اسطنبول بالإضافة إلى أوراقه الأخرى كرسائله وتذكرة المرور العثمانية التي كانت بمثابة جواز سفر في تلك الأيام.

وأما بالنسبة لما كتبته عن ثلاثينات القرن العشرين، فلا بد أن أخص بالشكر والتقدير ابنة العم السيدة ليلى كريمة الدكتور حسين فخري الخالدي آخر رئيس بلدية منتخب لمدينة القدس أيام الانتداب البريطاني، والذي كان أحد قادة اللجنة العربية العليا عام 1936، لأنها أتاحت لي الاطلاع على مذكرات والدها التي ما تزال مخطوطة، وسمحت لي بالاقتباس عن تلك المذكرات حين كتبت عن انتخابات بلدية القدس عام 1934.

ولا بد أن أتوجه بالشكر الجزيل لكل من ساهم في انتاج هذا الكتاب وهم كثيرون، وأخص بالذكر منهم ولدي سعيد الذي لم يكن هذا الكتاب ليصدر بهذه الصورة النهائية لولا إصراره وعمله الدؤوب في المراجعة المتأنية لنصوصه، وإيناس مرجية التي أبدت ملاحظات هامة ومفيدة لتدقيق النص، ومروان حمد الذي صمم الغلاف وعيسى بشارة الذي حرره، فكان للجهود المشتركة التي بذلها الجميع أجمل الأثر في نفسي، فلهم جميعا الشكر والتقدير.

كلمة تمهيدية

أود التنويه بأن هذه مذكرة عائلية تتتبع أخبار بعض أبناء القاضي محمود الديري الخالدي المقدسي الذين كانوا من سكان باب السلسلة منذ أواسط القرن السابع عشر الميلادي وإلى الأشهر الأولى من عام (1948) التي شهدت آخر أيام فلسطين قبل النكبة.

إن غرضي هنا هو تدوين بعض ما وقعت عليه من الأخبار والذكريات التي يمكن أن تبقي الأبناء على علم بجذورهم في القدس وخاصة أخبار بعض من سلف من الأجداد منذ مطلع القرن التاسع عشر بالتحديد وإلى ضياع القدس في زمن تشتت فيه الأهل في جميع بقاع الأرض. هذا وعلى الرغم من أنني أتيت على ذكر بعض أبناء القاضي محمود الذين عاشوا في بداية القرن التاسع عشر، إلا أن الجزء الأهم من هذه المذكرة هو تدوين السيرة الذاتية لاثنين منهم، وهما محي الدين بن رشيد (1852 – 1905) وهو موضوع الفصل الثاني، وحفيده فؤاد بن عبد الغني بن محي الدين (1901– 1988) موضوع الفصل الثالث. ومع الأسف لم آت بالتفصيل المفيد عن الآخرين وذلك لعدم توفر المعلومات اللازمة لكتابة السير الذاتية لأي منهم.

وعند محاولتي وضع ما عندي من معلومات في سياق مناسب كنت أرجع أحيانا إلى بعض المصادر التي فيها وصف للأحوال السياسية والاجتماعية التي عاشها أبناء العائلة الذين كتبت عنهم وذلك لإعطاء الأحفاد صورة عامة عن ظروف الحياة التي عاشها أجدادهم في تلك الأيام.

وأما الفصل الثالث والأخير من هذا الكتاب والذي حاولت أن أكتب فيه عن السيرة الذاتية لفؤاد عبد الغني فقد اخترت له عنوان – آخر الأفندية– ذلك أن الأفندية في فلسطين كانوا شريحة من شرائح المجتمع الفلسطيني في العهد العثماني واستمر اللقب فترة أيام الانتداب البريطاني. فعلى سبيل المثال ورد اسم فؤاد عبد الغني مقرونا بلقب أفندي في الوصية الشرعية التي وقعها جده محي الدين سنة 1232 هجرية (1905م) وذلك قبل أن يبلغ فؤاد الرابعة من العمر. وتكرر استعمال هذا اللقب في جميع أوراق وسجلات البنوك والمحاكم والدوائر الرسمية الخاصة بفؤاد عبد الغني طوال ثلاثين عاما من أعوام الانتداب البريطاني.

وعلى ما يبدو كان استعمال لقب الأفندي هو من تقاليد الكتابة الرسمية في أيام العهد العثماني فاستمر الاستعمال في فلسطين بعد الانتداب. فعند مطالعة محضر جلسة المجلس الإسلامي الأعلى المنعقدة في 24 أغسطس 1925م وجدت أن عدد أعضاء الهيئة العامة الحاضرين الذين قدموا من القدس ويافا وغزة وبئر السبع والخليل ونابلس وجماعين وطولكرم وجنين وعكا وحيفا والناصرة وطبريا وصفد كان خمسين عضوا تكرر إلحاق لقب الأفندي بأسماء أربعة وأربعين منهم، (وألحق لقب بك بأسماء البقية ما عدا عارف باشا الدجاني). ونستدل من ذلك أن الأفندية كانوا في جميع المدن والقرى الفلسطينة. وفي مجتمع، كالمجتمع الفلسطيني، متمسك بالتقاليد والعادات والقيم والأصول المتوارثة، كان للأفندية دور هام في مواقعهم، واعتبرهم الناس المرجع الذي يلجؤون إليه إن اختلت الموازين. وفي باب السلسلة حيث نشأ فؤاد عبد الغني كان سكان الحي يعتبرون أنفسهم عائلة واحدة تجمعهم أسباب

الجيرة، حلوها ومرها، وكان أفندية الحي هم المرجع الذي يلجأ إليه الناس حتى في أبسط الأمور.

وأذكر مرة أنني سألت فؤاد عبد الغني ما معنى أن يكون أي شخص أفنديا أو بالأحرى ما هو مفهومه للأفندي. فقال أول الأمور هو أن يحترم الأفندي جميع الناس، صغيرهم قبل كبيرهم، ويحس بهم وبمشاكلهم. ثم اتباع قول الرسول عليه السلام: " إن اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بما هو خير"، ولذلك فإن من واجب الأفندي أن لا يرد من يقصده في حاجة خائبا حتى وإن كان ذلك الأفندي معسرا. كما أن من واجبه إصلاح ذات البين والمحافظة على حقوق الناس في مجتمعه.

ولما جاء الاحتلال البريطاني معززا بنصوص صك الانتداب التي كانت تدعو صراحة إلى استقبال المهاجرين الصهاينة من أوروبا ومنحهم الجنسية الفلسطينية، هب الناس من جميع فئات المجتمع، وبدأت مقاومة الاحتلال البريطاني والهجرة الصهيونية، تلك المقاومة التي استمرت طوال سنوات الانتداب وإلى عام النكبة الذي تشتت فيه أبناء فلسطين كلهم.

ثم إنني قسمت هذه المذكرات إلى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: المقدمة وهي لمحة سريعة جدا عن آل الخالدي في القدس منذ الفتح الإسلامي الأول إلى أن أصل إلى أبناء القاضي محمود الديري الخالدي في النصف الأول من القرن التاسع عشر.

الفصل الثاني: محي الدين الخالدي وابنه عبد الغني من عام 1852-1905.

الفصل الثالث: آخر الأفندية، فؤاد عبد الغني : من عام 1901 – 1948.

الفصل الأول

آل الديري الخالدي في القدس

دخل المسلمون القدس في شهر شباط عام 638 م (17 للهجرة) وعلى رأسهم عمر بن الخطاب، ومنذ ذلك اليوم التزم المسلمون بما جاء في العهدة العمرية التي أعطاها عمر بن الخطاب لبطريرك القدس (كانت تسمى إيليا حسب ما جاء في تلك العهدة)، فحافظ المسلمون على الحرية الدينية للجميع. وقد حظيت القدس باهتمام شديد من خلفاء الأمويين الذين ظلت المدينة في عهدهم تحمل اسم إيليا، كما دعوها بيت المقدس[1]. وربما صارت المدينة تحمل اسمها الحالي (القدس) في العصر العباسي أيام الخليفة المأمون[2]. وعلى أي حال ظلت المدينة المقدسة في جميع العصور تحتفظ بطابع ديني للجميع ولم يتخذها المسلمون عاصمة سياسية لكي لا يؤثر أي نشاط سياسي فيها على الطقوس والاحتفالات الدينية التي يمارسها أتباع الديانات الأخرى.

ولمكانة القدس المميزة عند المسلمين، ظلت هذه المدينة محط رحال علماء المسلمين والأفاضل منهم الذين قدموا إليها من شتى أرجاء العالم الإسلامي واتخذوا منها موطنا لهم وكان من بين هؤلاء العلماء الأفاضل بطبيعة الحال رجال من آل الخالدي.

---

[1] آرمسترونغ (فصل-11) نقلا عن أنس الجليل أن الخليفة الأموي سليمان بن الوليد بن عبد الملك بويع بالخلافة في بيت المقدس.

[2] آرمسترونغ (فصل-12) تذكر أن الخليفة العباسي المأمون عندما أمر بتعمير قبة الصخرة ضرب النقود عام 813 م وكان مكتوبا عليها القدس.

يروي بعض المقدسيين من آل الخالدي أن الأجداد سكنوا المدينة منذ الفتح الإسلامي الأول، ولم يغادروها إلا عندما احتلها الصليبيون في تموز عام 1099. ففي روايتهم أنه عندما علم أهل القدس بقدوم الصليبيين ترك أكثر الشيوخ والنساء والأطفال المدينة والتجأوا إلى المدن والقرى المجاورة. وكذلك فعل آل الخالدي فبعثوا بنسائهم وأطفالهم وشيوخهم إلى بعض ضياعهم بعيدا عن المدينة. وكان تجمع أكثر أبناء العائلة الخالدية المقدسية في قرية الدير بجوار نابلس (ومن هنا جاءت نسبة آل الخالدي في القدس بعد عودتهم إليها مع صلاح الدين، فصاروا يعرفون بآل الديري الخالدي). ولم يبق أحد في القدس في تموز 1099 إلا شبابها المقاتلون القادرون على حمل السلاح من الخالديين ومن بقية أهل المدينة الذين انضموا إلى الحامية المصرية التي كان قوامها ألف مقاتل استشهدوا كلهم على أسوارها يوم دخلها الفرنجة. ولما بدأ صلاح الدين الأيوبي بعد حوالي ثمانين سنة بعد الجيوش لمعركة حطين انضم إلى جيشه الكثير من أبناء العائلة الخالدية الذين عاشوا في قرية الدير المشار إليها، فرافقوه ثم حاربوا معه ودخلوا القدس من جديد. فأكرمهم صلاح الدين بأملاك أوقفها عليهم وأنزلهم في مساكن في أحياء كاملة من المدينة المقدسة.

وكان أحد العائدين إلى القدس مع صلاح الدين عام (1187م) هو القاضي صفي الدين أبو المجد، عبد الرحمن بن علي بن عبد العزيز بن علي المخزومي (1130–1190) الذي كان أحد كتاب صلاح الدين، وظل ملازما لفرقته العسكرية إلى أن استشهد في عكا يوم الجمعة العاشر من جمادى

الأولى سنة 586 هجرية (1190/06/15م)، وأعيد جثمانه إلى القدس ودفن فيها[3].

ويروي المؤرخ المقدسي القاضي مجير الدين الحنبلي العليمي (1455-1521م)، سير بعض المشاهير من آل الخالدي في القدس في فترة الحكم المملوكي في كتابه "أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل". يقول مجير الدين في صفحة 650 من الجزء الثاني[4]: "آل الديري الخالدي المقدسيون منسوبون لقاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن جمال الدين بن عبد الله بن سعيد بن مصلح الديري الخالدي الشيخ العالم المحقق. ونسبته إلى قرية يقال لها الدير بالقرب من مردا من بلاد نابلس".

شمس الدين الديري الخالدي:

يدون مجير الدين شيئا من بعض أخبار شمس الدين الخالدي وبعض أبنائه المقدسيين الذين عاشوا في القدس أيام كانت المدينة خاضعة لحكم المماليك. فقد ولد شمس الدين عام 750 هجرية (أي حوالي 1350م) واشتغل بالعلم،

---

[3] مصطفى مراد الدباغ – بلادنا فلسطين – ج 9 – الطبعة الأولى، دار الطليعة بيروت – 1975.

ومن المفيد أن نضيف هنا أن الباحث الأمريكي الدكتور لورنس كونارد الذي عمل على مراجعة مخطوطات المكتبة الخالدية في أواخر ثمانينيات وأوائل تسعينيات القرن الماضي (حين كان يعمل لدى مؤسسة Wellcome Institute اللندنية) وقع على نسخة مخطوطة لكتاب من مؤلفات محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز أحد أبناء العائلة ممن سكنوا القدس. واستنتج كونارد أن المؤلف كان قد سكن القدس قبل فترة الحروب الصليبية لأن المخطوطة الموجودة خالية تماما من أي ذكر أو إشارة لتلك الفترة الطويلة والهامة في حياة أبناء القدس. أما نسخة المخطوطة فقد تمت كتابتها عام 1208.

[4] يذكر ذلك علي سعيد خلف عند وصفه الأراضي التي كانت وقفا لآل الديري الخالدي خارج السور من جهة باب الخليل نقلا عن الأنس لمجير الدين الحنبلي.

وولي مشيخة المدرسة "المنجكيّة" ودرّس في " المعظميّة الحنفية" وأفتى ودرّس وحدّث وفسّر، فكان أول الرؤساء من آل الخالدي. كان ذلك في عهد المماليك أيام سلطنة الملك الناصر فرج بن برقوق. ويذكر مجير الدين أنه في عهد الملك الناصر تمرد عليه المؤيد شيخ وكان المؤيد من أركان دولة المماليك في ذلك الوقت، فأفتى شمس الدين الخالدي بقتل الملك المؤيد شيخ. ثم تطورت الأمور فقتل الناصر سنة 801 هجرية (1398م) وتسلطن الملك المؤيد. وبعد فترة من الزمن قدم المؤيد إلى القدس واستدعى شمس الدين ليعاتبه على فتواه، فحضر إليه شمس الدين في مسجد الصخرة المشرفة. ولما فاتحه السلطان في موضوع الفتوى، أجابه شمس الدين قائلا بأنه لم يفت عليه بل على من حارب الإمام وخرج على الطاعة. فرضي عنه الملك المؤيد وقرّبه وولاّه قضاء الديار المصرية سنة 819 للهجرة (حوالي 1417م). وقد توفي شمس الدين بالقدس سنة 837 للهجرة (حوالي 1433م) ودفن بمقبرة مأمن الله (ماميلا). وله مصنف جيد أكمل منه أربعة مجلدات، أسماه "المسائل الشريفة في أدلة أبي حنيفة".

قال عبد الله القرقشندي مادحا شمس الدين:

يا شمس الدين يا واحدا في عصره أفديه من واحد
فسر كتاب الله نلت المنى لا ينكر التفسير للواحد

أبناء شمس الدين الخالدي

ثم يتابع مجير الدين أخبار أبناء شمس الدين الديري الخالدي فيذكر منهم:

قاضي القضاة شيخ الإسلام سعد الدين أبو السعادات الديري الخالدي[5]

فيكتب في صفحة 566 من الجزء الثاني من الأنس:

" قاضي القضاة شيخ الإسلام ملك العلماء الأعلام سعد الدين أبو السعادات سعد ابن قاضي القضاة شيخ الإسلام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الله الديري الحنفي الإمام العلامة والحبر الفهامة، مولده بالقدس الشريف في سابع عشر رجب سنة ثمان وستين وسبعماية (1367/03/19م) اشتغل بالعلم الشريف وتفرد بعلم التفسير وأخذ الحديث عن جماعة ودرس وأفتى وولي مشيخة المنجكية وتدريس المعظمية بالقدس ثم استوطن مصر وانتهت إليه الرياسة بالديار المصرية واستقر في مشيخة المدرسة المؤيدية بباب زويلة بعد وفاة والده (1433م) ثم ولي القضاء بالديار المصرية في خامس عشر المحرم سنة اثنتين وأربعين وثمانماية في أيام الملك العزيز يوسف بن الأشرف بن برسباي بتسبب الملك الظاهر جقمق حين كان نظام الملك ثم لما استقر الظاهر جقمق في السلطنة عظم أمر سعد الدين وعلت رتبته ونفذت كلمته واستمر في القضاء نحو خمس وعشرين سنة إلى أيام الملك الظاهر خوشقدم ثم ضعف بصره وطعن في السن وصار عمره نحو مائة سنة فصرف عن القضاء باختياره في شوال سنة ست وستين وثمانماية. ثم توفى سعد الدين بعد مدة وكانت وفاته في ليلة الجمعة عاشر ربيع الآخر سنة سبع وستين

---

[5] المكتبه الخالديه – أصدقاء المكتبه الخالديه

وثمانماية ودفن بتربة الملك الظاهر خوشقدم وكان شكلا حسنا بهي المنظر منور الوجه. ومن نظمه ما كتبه لابن زوجته أبي عذيبة المؤرخ في إجازة ونقله في ترجمته في تاريخه:

يا مقتدرا جل عن الأشباه من ليس سواه آمر وناهي
ألطف بعبدك الضعيف الساهي سعد بن محمد بن عبد الله"

ويذكر محمد روحي الخالدي (1866-1913) الذي اعتنى عام 1903م بنشر كتاب من مؤلفات القاضي سعد الدين بعنوان (الحبس في التهمة والامتحان على طلب الإقرار وإظهار المال)، يذكر أن ترجمة سعد الدين كما كتبها مجير الدين هي مطابقة لما جاء عن سعد الدين في كتاب الطبقات السنية في تراجم الحنفية للشيخ تقي الدين التميمي الداري المتوفى سنة 1010 هجرية (1601م)، وذلك نقلا عن المخطوطة المحفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس. وأما مادة كتاب (الحبس في التهمة ...) الذي نشره محمد روحي فهي منقولة عن النسخة الموجودة في كتبخانة بايزيد العمومية في الآستانة ومصححة على النسخة المحفوظة في المكتبة الخالدية بالقدس الشريف.

قاضي القضاة برهان الدين أبو اسحق ابراهيم الديري الخالدي

هو أخو سعد الدين وقد باشر الوظائف السنية بالقاهرة ومنها نظر الإصطبل ونظر الجيوش، وكتابة السر، وولي برهان الدين أبو اسحق قضاء القضاة بالديار المصرية في سنة سبعين وثمانماية لمدة سبعة أشهر ثم صرف واستقر في مشيخة المؤيدية واستمر بها إلى أن توفي في المحرم سنة ست وسبعين وثمانماية بالقاهرة، وكان من الرؤساء.

القاضي أمين الدين عبد الرحمن بن شمس الدين الديري الخالدي

هو من المقدسيين الذين كان لهم شأن في مصر. باشر نيابة القضاء في الديار المصرية نيابة عن أخيه قاضي القضاة سعد الدين، وولي نظارة الحرمين الشريفين بالقدس والخليل وعين له كتب السر بمصر. وهو والد شيخ الإسلام بدر الدين الديري الخالدي أحد علماء الديار المصرية. توفي عبد الرحمن بالقدس ودفن بمقبرة مأمن الله سنة 856 هجرية (1452م).

الحرم القدسي وما حوله من المدارس

في العهد المملوكي[6]

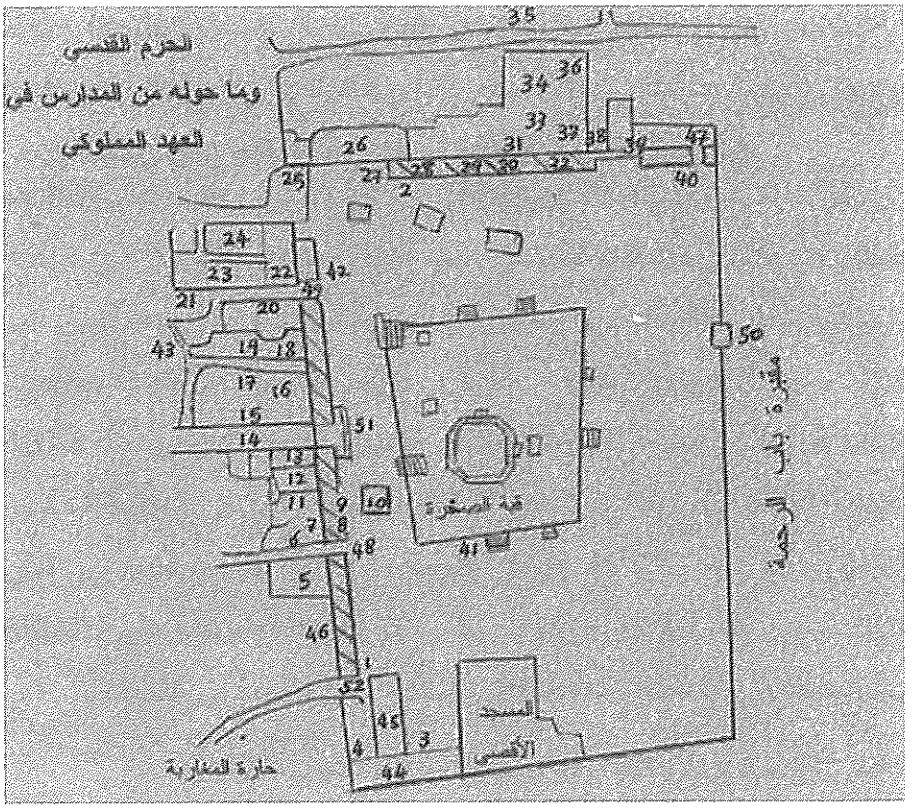

* دليل المواقع في الصفحة التالية:

[6] عن آرمسترونغ: المدارس حول الحرم أيام المماليك. صفحة 309

(1) الأروقة الغربية
(2) الأروقة الشمالية
(3) المئذنة الفخرية
(4) المدرسة الفخرية
(5) المدرسة التنكزية
(6) المدرسة السعدية
(7) رباط النساء
(8) مئذنة باب السلسلة
(9) المدرسة الأشرفية
(10) سبيل السلطان قايتباي
(11) المدرسة البلدية
(12) العثمانية
(13) رباط الزماني
(14) سوق القطانين
(15) الخاتونية
(16) الأرغونية
(17) المدرسة المظهرية
(18) رباط الكرد المنصوري
(19) المدرسة الجوهرية
(20) المدرسة الوفائية
(21) رباط المنصوري
(22) المدرسة المنجكية
(23) المدرسة الحسنية
(24) رباط علاء الدين
(25) مئذنة باب الغوانمة
(26) المدرسة الجاولية
(27) المدرسة السبيبية
(28) الأسعدية
(29) المدرسة المالكية
(30) الفارسية
(31) الأمينية
(32) الباسطية
(33) الدوادرية
(34) السلمية
(36) رباط المارديني
(37) المدرسة الأوحدية
(38) الكريمية
(39) القادرية
(40) مئذنة باب الأسباط
(41) المنبر الصيفي
(42) بئر ابراهيم الرومي
(43) المدرسة الحنبلية
(44) مسجد النساء
(45) مسجد حي المغاربة
(46) حائط البراق- حائط المبكى
(47) بركة باب الأسباط
(48) باب السلسلة
(49) باب الناظر
(50) باب الرحمة
(51) باب القطانين
(52) باب المغاربة

الجزء الأول من شجرة العائلة الخالدية المقدسية

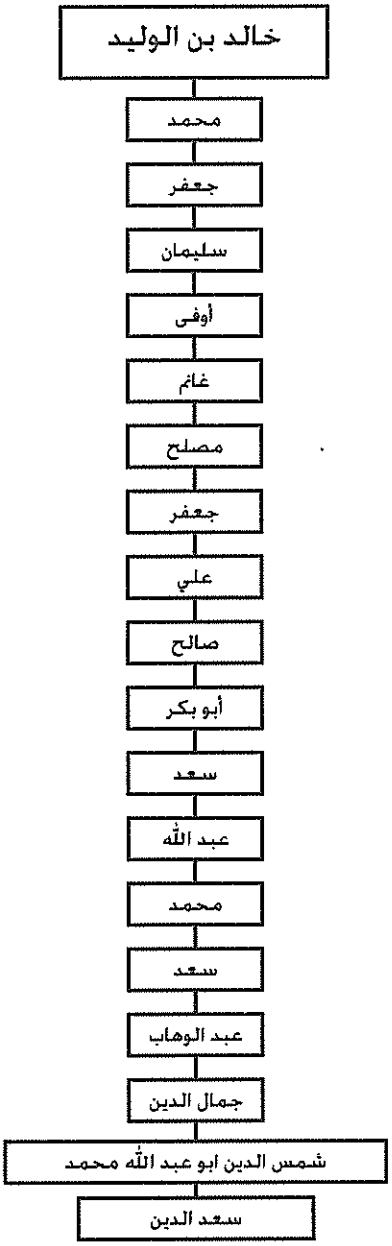

بقية الجزء الأول من شجرة العائلة الخالدية

(أبناء محمد شمس الدين أبو عبد الله)

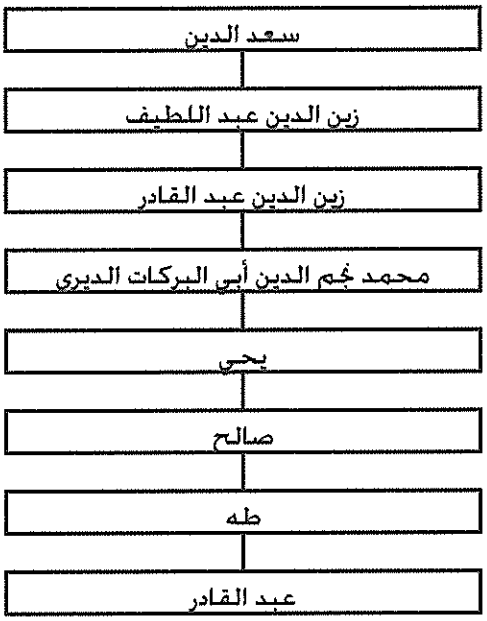

آل الخالدي في القدس بعد شمس الدين

لقد ذكرت من أبناء شمس الدين أولئك الذين جاء ذكرهم في المصادر المطبوعة (كالأنس)، ثم أتيت بنسخة شجرة العائلة أعلاه وهي نسخة حيدر كامل الخالدي يذكر فيها زين الدين عبد اللطيف وهو حفيد شمس الدين المذكور، ومن بعد زين الدين عبد اللطيف يذكر ابنه زين الدين عبد القادر، ثم محمد نجم الدين أبو البركات الديري (ابن عبد القادر)، ثم يحيى بن نجم الدين، ثم صالح بن يحيى، ثم طه بن صالح، ثم عبد القادر بن طه بن صالح المتوفى في أواسط القرن السابع عشر الميلادي وكان أكثر هؤلاء من العلماء الذين اشتهروا بالعلم والفقه.

وقد ظهرت مؤخرا بعض السجلات للعائلة الخالدية المقدسية على المواقع الإلكترونية وغيرها لم تأت على ذكر كل فروع العائلة بشكل واضح. على سبيل المثال، توقفت إحدى تلك الشجرات مرة عند الشيخ داود الخالدي وهو من أحفاد القاضي محمود شقيق شرف الدين جد محمد صنع الله، وكأن داود توفي عن غير عقب. ثم تعود مرة أخرى بدون تسلسل واضح. وقد لفت نظري أنه حتى شجرة العائلة المتداولة التي اعتمدتها لم تأت على جميع الفروع بصورة جلية. فقد أسقطت أبناء محمد وخليل الذين سوف أذكرهم بعد قليل، ومنهم على سبيل المثال محبوبة ابنة محمد بن الحاج حسين الخالدي التي تزوجت خليل بن محمد علي الخالدي.

وجدير بالذكر أن محبوبة لها وقف معروف في القدس كان يتولاه إلى وقت قريب أحد أحفادها (المرحوم د. إبراهيم الخالدي).

كما أن الشجرة المتداولة لم تأت على ذكر التاجر عبد الله الخالدي الذي ذكره الكزندر شولش في كتابه (تحولات جذرية في فلسطين)، حيث قال شولش نقلا عن بعض القناصل الأجانب في القدس عام 1847: "في ذلك العام كان جميع إنتاج الزيتون في بيت جالا مرهونا عند بعض وجهاء القدس ومن بينهم عبد الله الخالدي."[7]

ومع ذلك فإن ما يهمني في هذه المرحلة هو الوصول إلى جد العائلة عبد القادر بن طه المتوفى في أواسط القرن السابع عشر، حيث تتوافق شجرة حيدر كامل الخالدي مع شجرة وليد راغب الخالدي على أنه هو الجد المشترك لكل فروع آل الخالدي الذين عاشوا في القدس من أواسط القرن السابع عشر الميلادي إلى نهاية القرن العشرين. وحسب تلك الشجرة فإن القاضي محمود وأخاه الشيخ شرف الدين جد محمد صنع الله هما ابنا عبد القادر بن طه كما هو مبين أدناه.

[7] شولش. نقلا عن وصف إليزابث فن. صفحة 161

القسم الثاني من شجرة العائلة الخالدية المقدسية

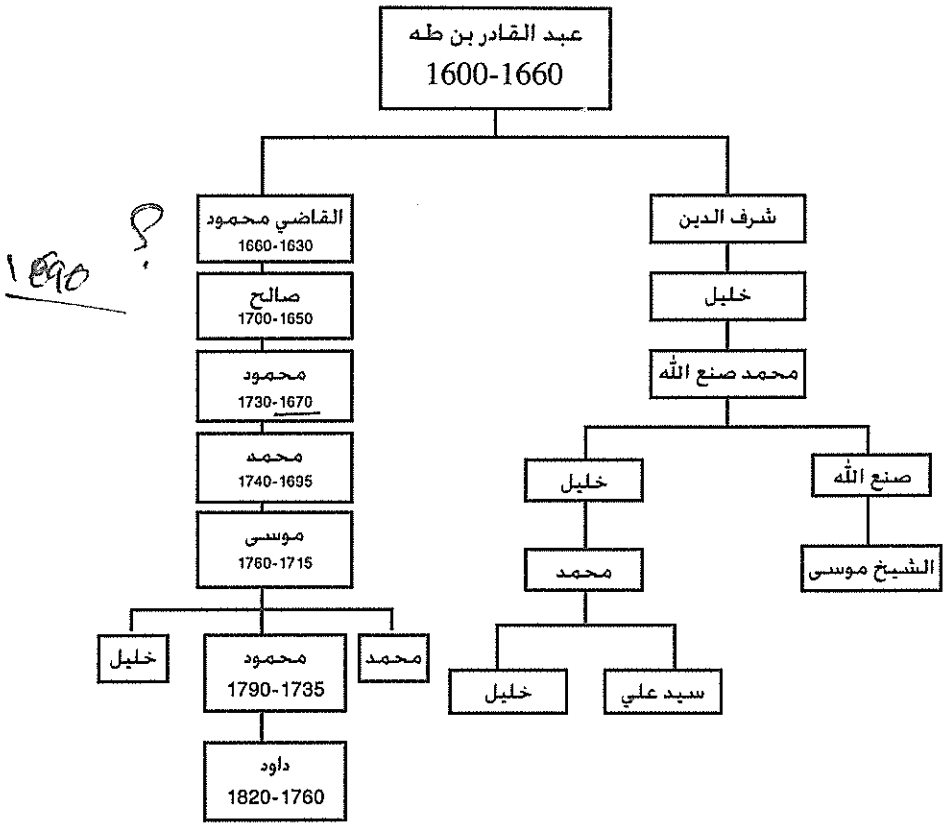

(التواريخ المكتوبة أعلاه تقريبية)

وبالرجوع إلى وقائع المجلس الشرعي الذي عقد عام 1222 هجرية الموافق 1807م، والذي أحتفظ بنسخة عنه، فقد اشتكى كل من الشيخ داود الخالدي (ت – 1820) المذكور أعلاه والسيد عمر بن عبد السلام الحسيني، نقيب الأشراف في ذلك الوقت، على محمد بن الحاج حسين الخالدي (والد محبوبة)

الذي كان متوليا على وقف أحمد بك الترجمان، جدهما لوالدتيهما، يدعيان أن محمد حسين الخالدي استأثر بوقف أحمد بك الترجمان – جدهما لأمهما، يتبين أن محمد الخالدي – جد محمد حسين (1695–1740) هو ابن موسى (1715–1760) الذي تزوج فاطمة ابنة أحمد الترجمان، وله منها ثلاثة أبناء وهم: محمد، وخليل ومحمود. وقد توقفت شجرة العائلة عند محمود وابنه داود وأسقطت الأخوين محمد وخليل، كما أسقطت أبناء داود الذين سوف أذكرهم فيما يلي:

القسم الثالث من شجرة العائلة – القاضي محمود

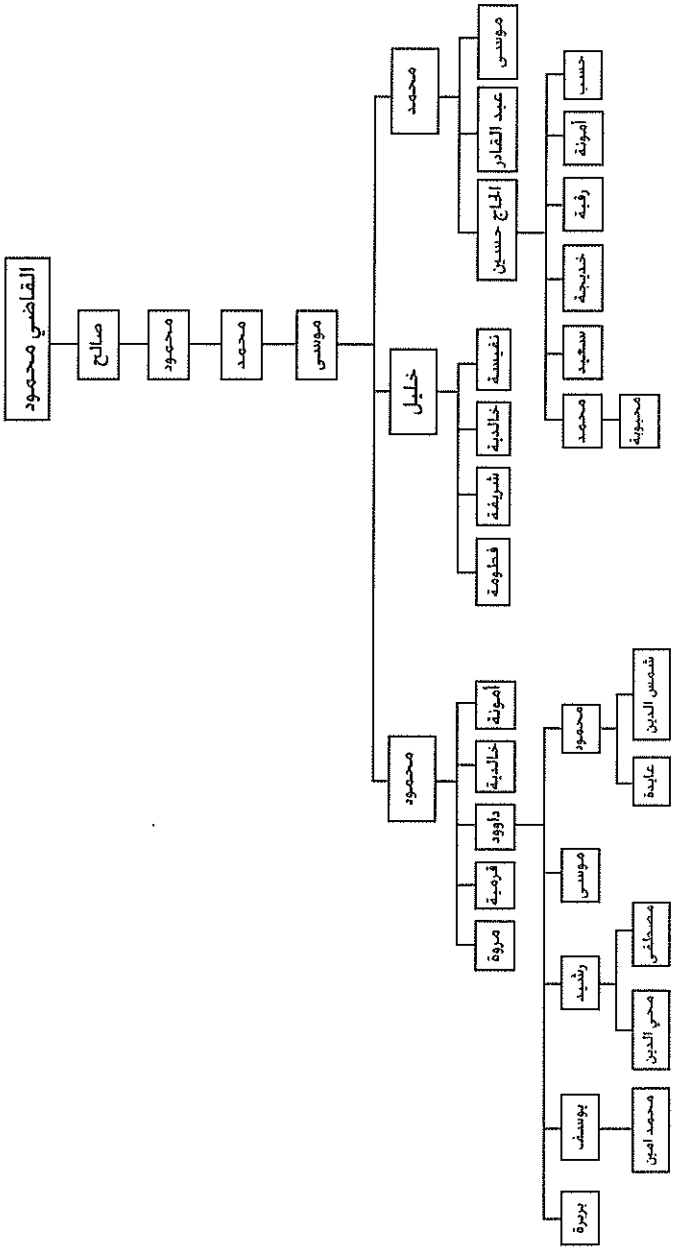

القسم الرابع من شجرة العائلة - (أبناء محمد صنع الله)

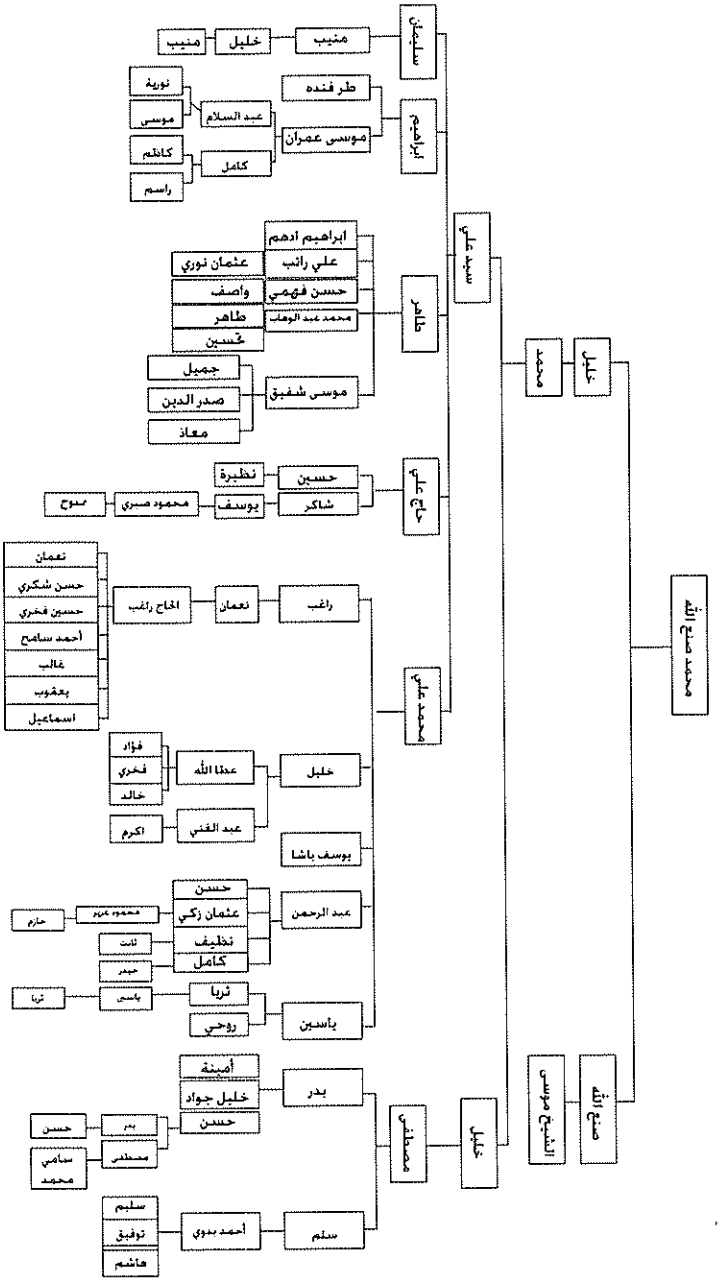

مساكن آل الخالدي في طريق باب السلسلة

اشتغل الكثير من أبناء العائلة الخالدية بالقضاء، وكانت المحكمة الشرعية تقع في مبنى المدرسة التنكزية بباب السلسلة بالقرب من باب الحرم الشريف. ونلاحظ أن أكثر أبناء العائلة الخالدية عاشوا منذ الفتح الصلاحي وفي العهدين المملوكي والعثماني بباب السلسلة بجوار الحرم الشريف في منازل قريبة من مكان عملهم في المحكمة. فمن باب الحرم إلى المكتبة الخالدية كانت محلة باب السلسلة معظمها مساكن آل الخالدي. ويتصدر منزل القاضي محمود الملاصق للمدرسة التنكزية جميع منازل العائلة فهو أقربها إلى الحرم، وأكبرها مساحة وأكثرها وأوسعها غرفا وهو من أملاك أيمة الصخرة المشرفة، ويقع فوق القنطرة الأولى المجاورة لدار المحكمة، وبابه يقع تحت القنطرة على يمين المتجه من الحرم إلى السوق. ويشار إلى هذا المنزل في كل وثائق أبناء القاضي محمود بدار باب المحكمة بسبب جواره للمحكمة الشرعية كما أشرت. وأما القنطرة الثانية التي يصادفها الخارج من الحرم متجها إلى السوق، فجل بيوتها كانت مساكن للعائلة، وأول بيوت القنطرة الثانية على اليسار هو بيت الشيخ داود (ت – 1820) حفيد القاضي محمود، وهو والد كل من محمود ورشيد ويوسف الذين عملوا في المحكمة الشرعية في أوائل القرن التاسع عشر والذين تظهر تواقيعهم على وثائق المحكمة مع تواقيع أبناء عمومتهم الآخرين (راجع ملحق رقم – 1 صفحة 61).

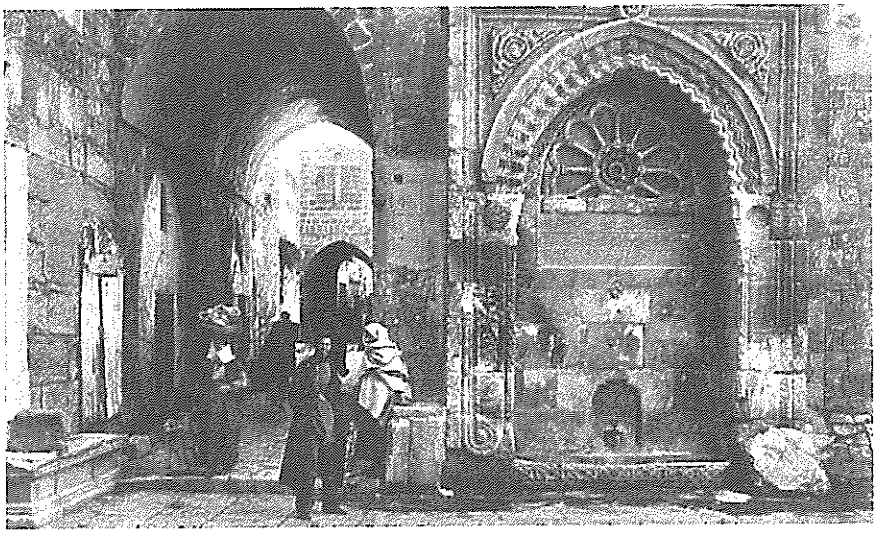

بيت القاضي محمود الخالدي بباب السلسلة – مبني فوق القنطرة الأولى –
(وإلى اليمين يظهر السبيل العثماني الذي يغطي الواجهة الشرقية من حائط ضريح الأمير سعد الدين مسعود)[8]

[8] Edition Fr. Vester & Co., Jerusalem No.87

ويقع مدخل دار الشيخ داود خارج القنطرة، يليه دكان (تحت القنطرة) ثم مدخل الطابق الأرضي للدار ومدخل حاكورة الدار. وكانت الحاكورة تستعمل إسطبلا في القرون السابقة. ويلي ذلك، في وسط القنطرة تقريبا مدخل دار تابعة لوقف صنع الله، كانت في ثمانينات القرن التاسع عشر تعرف بدار نعمان الخالدي وهو والد الحاج راغب ويليها على اليسار في آخر القنطرة دار ياسين بن محمد علي الخالدي. أما الدور الواقعة تحت القنطرة الثانية على يمين المتجه من الحرم إلى السوق فأولها دار ابن لقة (التي تقع في الحوش المعروف باسمه) يليها في وسط القنطرة دار سليم أفندي بن مصطفى بن خليل الخالدي، تليها في آخر القنطرة دار يوسف ضياء الدين الخالدي التي ظلت ابنة أخته السيدة نظيرة الخالدي تسكنها إلى الأربعينات من القرن العشرين، تليها دار تستعمل اليوم ملحقا للمكتبة الخالدية. وإذا نزلنا من هناك إلى اليمين عند التقاء طريق باب السلسلة بطريق الواد، وجدنا في منتصف الطريق دارا كبيرة على اليسار، ظلت ملكا لأحفاد القاضي محمود الخالدي إلى منتصف أربعينات القرن العشرين، وحين نصل إلى تقاطع سوق القطانين مع طريق الواد نكون قد وقفنا أمام حمام العين الذي تعود ملكية معظم الحصص فيه لآل الخالدي كما هو مبين أدناه. ومن حمام العين صعودا إلى عقبة الخالدية منازل كان أكثرها مساكن لآل الخالدي سميت العقبة باسمهم. وإذا عدنا إلى بقية الدور الواقعة في طريق باب السلسلة من موقع داري يوسف ضياء الدين وأخيه الأكبر ياسين إلى المكتبة الخالدية فإن أكثرها من أوقاف العائلة الخالدية.

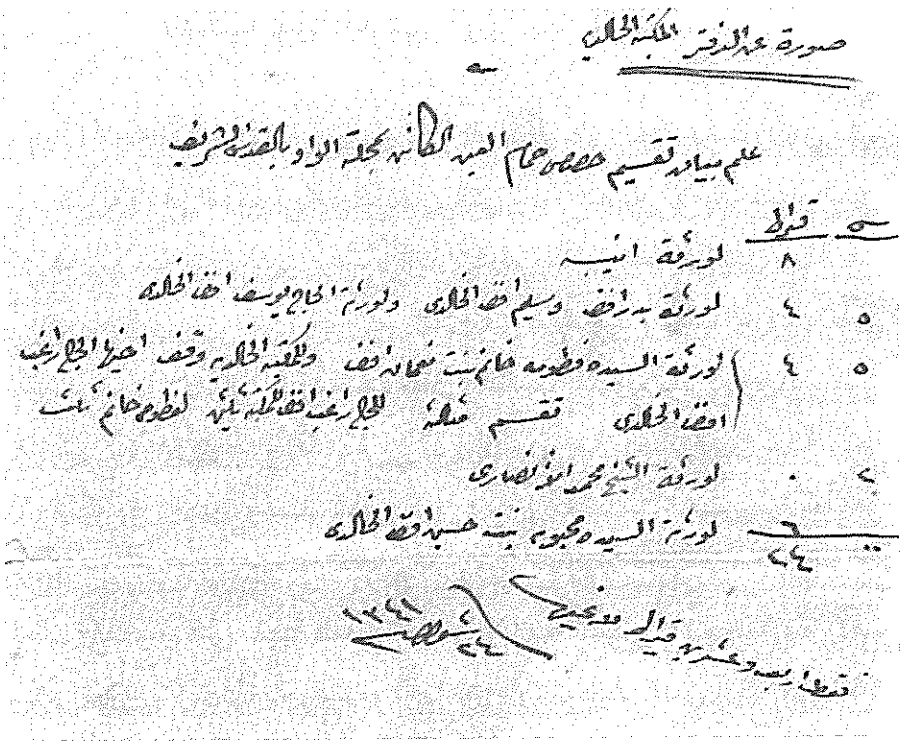

مؤرخة في 24 شوال 1341 هجري الموافق 9 حزيران 1923م

(8 قراريط لآل نسيبة و15,8 لآل الخالدي و 0,2 قيراط لآل الأنصاري)

المكتبة الخالدية في طريق باب السلسلة

يقع مبنى المكتبة الخالدية في طريق باب السلسلة على نحو مئة متر من باب الحرم الشريف، في موقع تربة بركة خان التي تضم ضريح الأمير حسام الدين بركة خان وابنيه بدر الدين وحسام الدين كره. والأمير حسام الدين بركة هذا هو قائد عسكري من أصل خوارزمي قاتل في بلاد الشام تحت إمرة سلاطين المماليك في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الثالث عشر. وقد تزوج السلطان المملوكي الظاهر بيبرس (1260 – 1277) من ابنة حسام الدين بركة بينما عمل ابنيه بدر الدين وحسام الدين كره قائدين عسكريين تحت إمرة الظاهر نفسه[9].

وتعتبر النقوش في باحة المقبرة وعلى واجهة المبنى الخارجية من أهم مصادر توثيق تاريخ التربة والبناء، فإنها تؤرخ وفاة حسام الدين بركة في 644 هجرية (1246) ومرحلتي البناء في 663 هجرية (1265م) وفي 678 هجرية (1280م) وأعمال ترميم أخرى في 792 هجرية الموافق (1390م).

ويمكن القول بأن السمات المعمارية للمبنى نفسه تمثل لمسات من تاريخ القدس المعماري في العصور الوسطى. فبوابة التربة الأصلية الجميلة (التي هي نافذة غرفة المطالعة اليوم)، تجسد مرحلة مبكرة من الطراز المملوكي الجميل. في حين أن النافذة المطلة على طريق باب السلسلة، تشهد على مرحلة معمارية لاحقة. وأما بقية مراحل التعمير والترميم الأخرى فهي عثمانية،

---

[9] وليد الخالدي، المكتبه الخالديه في القدس

كما أن مبنى مسجد عائلة الخالدي المقام في الموقع قد تم بناؤه في عام 1876م.

وحقيقة الأمر أن الأهم من المبنى نفسه هو ما تحتويه المكتبة من نفائس المخطوطات الإسلامية التي اقتناها أبناء العائلة الخالدية على مدى قرون عديدة، ثم جمعها من أبناء العائلة في مكان واحد قاض مقدسي هو الحاج راغب نعمان الخالدي (1866-1952) لتصبح مكتبة عامة للدارسين والمختصين منذ عام 1900م.

وفي المكتبة اليوم ما يزيد على 1200 مخطوطة إسلامية قيمة، منها 18 مخطوطة باللغة الفارسية و36 مخطوطة باللغة التركية العثمانية، وبقية المخطوطات باللغة العربية، كما أن فيها الكثير من الكتب المطبوعة أكثرها طبع في القرن التاسع عشر.

ومع ضياع الكثير من المكتبات الفلسطينية العامة والخاصة نتيجة أحداث عام 1948 وما تلاها، تظل المكتبة الخالدية في القدس اليوم بما فيها من النفائس شاهدا على اهتمام الفلسطينيين بتراثهم وحبهم وتقديرهم للثقافة والعلوم منذ مئات السنين.

صورة تذكارية يوم افتتاح المكتبة الخالدية (1900م)

يقف إلى اليمين مؤسس المكتبة الحاج راغب الخالدي وإلى يمينه العلامة الشيخ طاهر الجزائري ناظر المكتبة العمومية الدمشقية، ثم الشيخ موسى شفيق الخالدي، ثم العلامة الرحالة الشيخ خليل بدر الخالدي، وإلى يمينه الصحافي الشيخ محمد الحبال صاحب جريدة ثمرات الفنون البيروتية[10]

[10] وليد الخالدي، المكتبه الخالديه في القدس

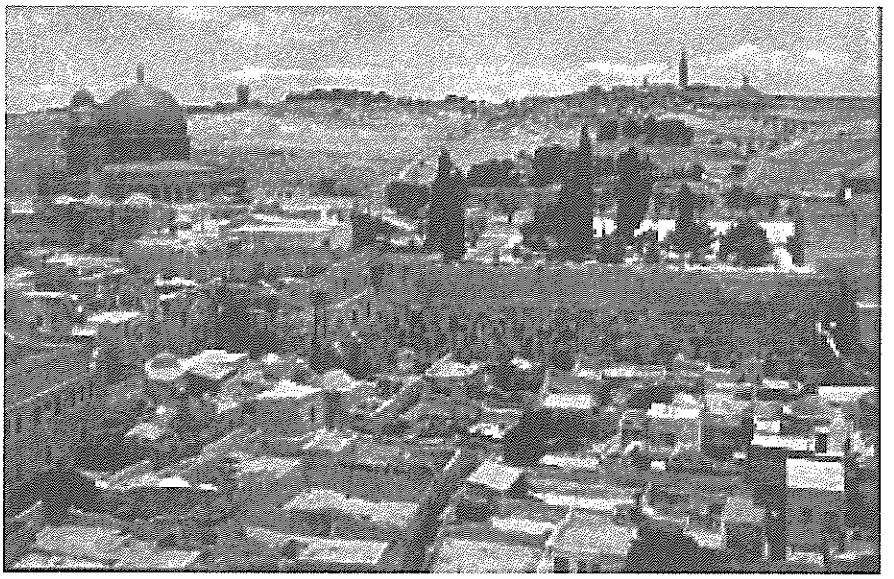

حارة المغاربة قبل هدمها

ويحد المكتبة الخالدية وطريق باب السلسلة من جهة الجنوب الحي الذي كان يعرف بحارة المغاربة والذي تظهر صورته هنا قبل أن تهدمه الجرافات الإسرائيلية عام 1967 لتقيم مكانه (ساحة حائط المبكى). ويظهر في الصورة أيضا (في وسط الطرف الأيمن) "باب المغاربة" وهو من بوابات ساحة الحرم الشريف. ويقع بجوار باب المغاربة في داخل الحرم الشريف مسجد البراق، وهو الموقع الذي ربط فيه النبي محمد صلى الله عليه وسلم دابته البراق ليلة الإسراء والمعراج. ولذلك يعرف حائط سور الحرم الظاهر في الصورة بحائط البراق، بينما يطلق عليه اليهود اسم حائط المبكى وإلى اليسار تظهر مئذنة

باب السلسلة التي يقع تحتها باب السلسلة كما أشرنا من قبل. ويظهر في خلفية الصورة جبل الزيتون الذي يحد القدس الشريف من جهة الشرق.

الجرافات الإسرائيلية تعمل على تسوية حارة المغاربة بالأرض – 1967

القدس داخل الأسوار وخارجها

كانت القدس مدينة صغيرة، ويقول عارف العارف أن عدد سكان البلد في القرن التاسع عشر لم يتجاوز عشرة آلاف نسمة وقد ازداد ليصل ثلاثين ألفا في نهاية القرن. ولم يكن الناس في ذلك الوقت يلبسون الملابس الافرنجية؛ كالبدلة والقميص وربطة العنق، ولا حتى الطربوش الذي بدأ الناس يعتمرونه فقط في عام 1861م. (هذا ما ذكره عارف العارف في كتابه المفصل).

وربما من المفيد أن أذكر هنا أنني علمت من مصادر عائلية أن أول من لبس الملابس الافرنجية واعتمر الطربوش في القدس كان يوسف ضياء الدين الخالدي (1842–1906) الذي كان يلبسها عند عودته من أوروبا، وأن أهل البلد لم يعجبهم الحال آنذاك فشاعت بعض الأهازيج الشعبية التي تشير إلى أن ابن الأكابر تنصّر فلبس لباس الإفرنجية.

أما الوضع خارج السور، فقد وصفه السائح التركي أوليا جلبي[11] الذي زار القدس حوالي عام 1670م، فقال أن جبالها كانت مليئة بأشجار الزيتون وأراضيها مغطاة بالكروم. ويقول الرحالة المصري أسعد اللقيمي الذي زارها عام 1730م، في كتابه سوانح الأنس برحلتي لوادي القدس وهو من مخطوطات المكتبة الخالدية[12]: " توجهت لأرض البقعة... وكان للشيخ محمد الخليلي قصر هناك، فأقمت يومي أجتلي من ذلك الروض؛ فهذا الوادي هو الذي رأى

---

[11] نقل علي خلف صفحة – 16 عن السائح التركي جلبي أنه في ظاهر القدس 43 ألف كرم.

[12] يذكر علي خلف وصف البقعة الفوقا والتحتا عن مخطوط مصطفى اللقيمي الدمياطي وهو من مخطوطات المكتبة الخالدية.

فيه الرسول عليه السلام ليلة المعراج". ووصف اللقيمي لطبيعة تلك المناطق يتطابق مع الوصف الذي نقله علي سعيد خلف عن (الأنس وغيره) في كتابه " شيء من تاريخنا" حيث يقول: إن الأراضي خارج باب العمود أراض مزروعة وهي ملك لأهل قرية لفتة. والى الشمال من باب العمود يقع خان بني سعد وهو المكان الذي يقيم فيه القادمون إلى القدس من جهة الشمال وقد كان يضم جامع سعد وسعيد، (ويمتد إلى مكان معمل الخزف الفلسطيني الذي تستأجره اليوم عائلة بليان الأرمنية من متولي وقف آل الخالدي، وهو أمام مقر القنصلية الأميركية السابق). وإذا سرت باتجاه الشمال الغربي وصلت إلى خان الظاهر وهذه من أراضي لفتة أيضا، قسم منها وقف للإمام الديري الخالدي والقسم الآخر وقف لخان الظاهر. ومن جهة باب الخليل، تنزل الانحدار المعروف "بجورة العناب"، وفيها قناة تصل بركة ماملا ببركة السلطان ويقول (صاحب الأنس) أن هذه الأراضي وقف لآل الديري الخالدي. (وكل هذا الوصف هو للأراضي التي تحيط بأسوار القدس في الفترة التي عاش فيها الأجداد في القرن الثامن عشر والقرن التاسع عشر). فكيف كانت التجارة وكيف كان الوضع الاجتماعي والاقتصادي في المدينة في ذلك الزمن؟

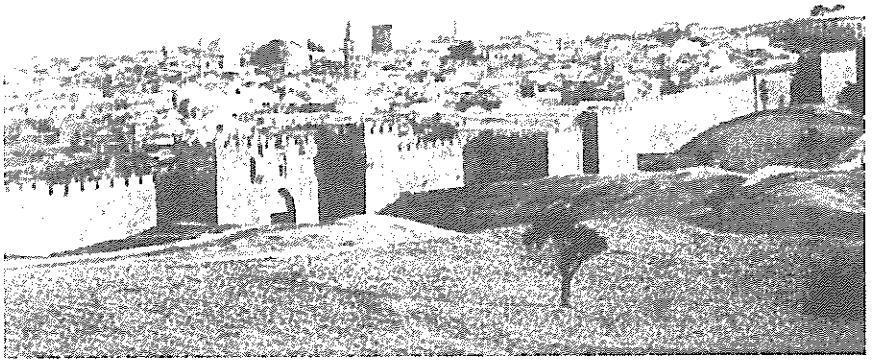

خارج سور القدس عند باب العامود – 1860

ويذكر الكزاندر شولش[13] أن القدس كانت (في القرن التاسع عشر) تحصل على الخضار والدجاج والبيض والحليب والسمسم والتبغ والخشب من القرى المجاورة، والمعاطف الصوفية البسيطة من بيت لحم، والمعاطف الأجود نوعا من دمشق وبغداد، والأقمشة الحريرية من دمشق وحلب. وأما الحبوب ومواشي الذبح فهي من شرق الأردن. وفي سنة 1847، كان في القدس عشرة مصانع للصابون تنتج ما قيمته نصف مليون قرش. وكان الصابون يباع بكميات كبيرة في عيد الفصح حيث كان يشتريها السياح. كما يذكر شولش نقلا عن القناصل الأجانب في القدس أنه في تلك السنة كان جميع إنتاج الزيتون في

[13] شولش صفحة 159 عن التجارة المحلية في القدس.

بيت جالا مرهونا عند بعض وجهاء القدس يذكر من بينهم سليمان وموسى العسلي وعبد الله الخالدي.

أحداث مرت بالمدينة

ولإلقاء بعض الضوء على الأحداث التي عاشتها القدس في مطلع القرن التاسع عشر، اعتمدت على المحاضرة التي ألقاها الدكتور عادل مناع أستاذ التاريخ بجامعة بيرزيت عام 1986 وقدم فيها عرضا لأطروحة الدكتوراة التي نالها من الجامعة العبرية في القدس والتي كان موضوعها "القدس بين حملتين: حملة نابليون عام 1799 إلى حملة إبراهيم باشا عام 1831".

وتتعرض أطروحة د. مناع لتلك الأحداث التي عاشتها القدس (1799-1831) وفيها بعض الوصف لما كانت عليه الحالة الاجتماعية كما يأتي على ذكر أسماء بعض الناس الذين عاشوا هناك في ذلك الزمن. فالقدس في هذه الفترة عاصرت أحداثا تاريخية هامة، منها:

(1) الحملة الفرنسية على بلاد الشام.

(2) ظهور محمد باشا أبو المرق في غزة وامتداد حكمه إلى القدس في بعض الأحيان.

(3) حريق كنيسة القيامة في أيلول 1808، وهو حدث هام أدى إلى إثارة خلافات طائفية بين الطوائف المسيحية. فقام على أثرها بعض رؤساء الطوائف بحراسة الكنيسة بعد توجيه الاتهام إلى الأرمن، وشارك كبار أعيان القدس وعلمائها في الحراسة مع رؤساء الطوائف المسيحية الأخرى.

(4) التمرد في القدس عام 1825: وسبب التمرد كان زيادة الضرائب عام 1824 إلى درجة أعجزت الناس عن دفعها، فأعلنوا العصيان عام 1825 وطردوا المتسلم – وهو المسئول عن الشؤون الإدارية. وحكم القدس في تلك السنة يوسف آغا الجاعوني المسئول عن مخزن (الجبخانة في قلعة القدس)، وأحمد العسلي دزدار آمر القلعة السابق. ولم يستمر العصيان طويلا حيث أخمد بالقوة. [14]

ويذكر مناع أن القاضي الحنفي كان هو السلطة العليا في البلد وكان في الغالب غير مقدسي، يُرسل بتكليف من الباب العالي. وحين يكون القاضي الشرعي مقدسيا يُختار من نخبة أبناء عائلات القدس صاحبة النفوذ. وقد تولى القضاء في تلك الفترة رجال من آل الخالدي، بدأ بعضهم بوظيفة باش كاتب المحكمة الشرعية وهي أعلى الوظائف في المحكمة بعد القاضي لأنه ينوب عن القاضي أحيانا. ويكلف الباش كاتب في أغلب الأحيان بنيابة الحكم (راجع وصف باش كاتب المحكمة محمد علي الخالدي في حجة حاكورة دار رشيد الخالدي المؤرخة في جمادى الثاني عام 1261 هجرية (1845م) (الصفحتين57، 58)، وما كتبه الدكتور عادل مناع في كتابه: " الإدارة والمجتمع منذ أواسط القرن الثامن عشر".

وقبل محمد علي الخالدي كان باش كاتب المحكمة الشيخ موسى أفندي الخالدي الذي ترقى إلى منصب القاضي الشرعي في القدس، ثم تولى القضاء

---

[14] مناع : التمرد في القدس عام 1825.

في المدينة المنورة، وتولى بعدها منصب قاضي عسكر الأناضول وهو ثاني أعلى منصب ديني في الدولة العثمانية بعد منصب شيخ الإسلام.

ويذكر مناع أن من عائلات القدس التي كان لها نفوذ في تلك الفترة عائلتا الخالدي والحسيني. ويذكر أن رجالا من عائلة الخالدي عملوا في المحكمة الشرعية فتولى بعضهم القضاء أحيانا، ثم عملوا كنواب للقاضي الحنفي ونواب للحكم في القدس أحيانا أخرى. أما آل الحسيني فقد عمل أكثرهم في دائرة الأوقاف الإسلامية، فشغلوا منصب مفتي القدس ومنصب أمين الإفتاء ومنصب شيخ الحرم، ومنصب نقيب الأشراف المسئول عن الناس الذين ينتسبون إلى السلالة الشريفة والذين كانت لهم امتيازات وموارد مالية من دائرة الأوقاف الإسلامية بحكم انتسابهم.

وأما العائلات الأخرى فقد كان للكثير منها دورها في المدينة، فعائلة الدجاني (الداوودي) مثلا كان لها سدانة مقام النبي داوود، وعائلة العسلي (الدزدار) تولى بعض رجالها مناصب عسكرية كمنصب قائد القلعة في القدس. ويذكر مناع عائلة النمري والقطب والعفيفي والحموري (الخليلي) وجار الله والبديري.

وفي ما يلي القسم الخامس من شجرة العائلة الخالدية وتظهر فيه أسماء أبناء القاضي محمود إلى القرن العشرين.

القاضي محمود وأبناؤه إلى القرن العشرين

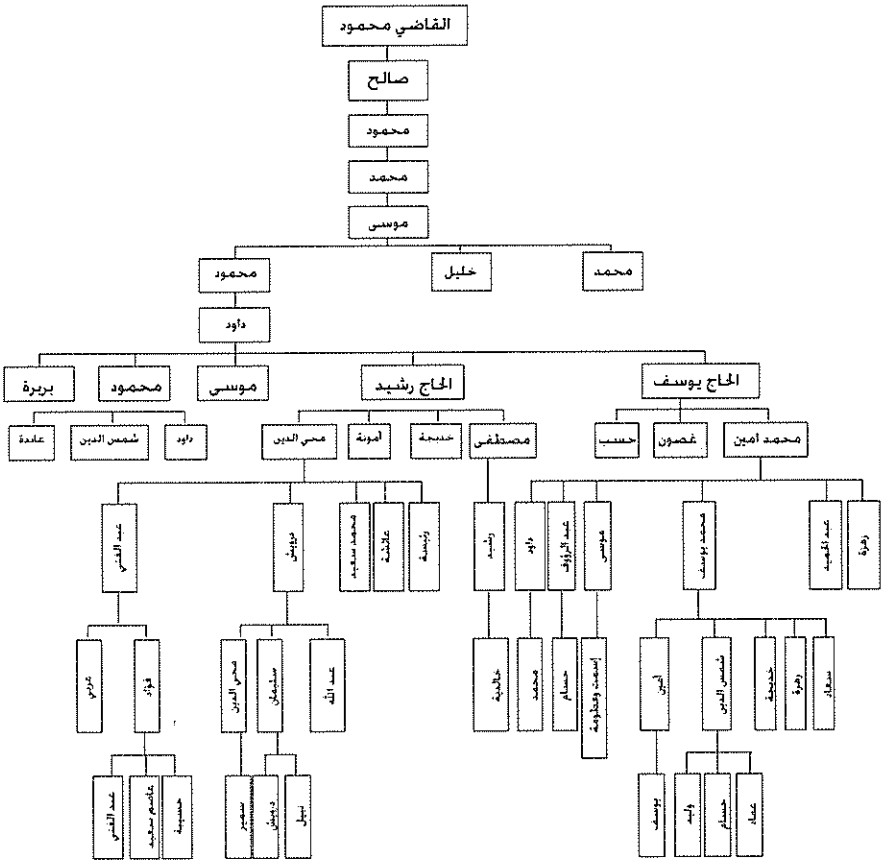

ملاحظة (1): لم نأت هنا على ذكر أبناء محمد وخليل أشقاء محمود بن موسى لضيق المكان – وللرجوع إليهما طالع القسم الثالث من الشجرة.

ملاحظة (2): أضيفت الأسماء الجديده التالية هنا لضيق المساحة وصعوبة وضعها على الشجرة.

1) أمين بن محمد يوسف الخالدي له ابن واحد هو: يوسف.

2) وأبناء شمس الدين بن محمد يوسف الخالدي هم: وليد، ويزيد، وحسام، وعماد.

3) وإبنا محمد بن داود بن محمد أمين هما داود وآمنة.

4) ومحي الدين بن درويش: أبناؤه هم سمير ونجوى وسمية. ولسمير ابن هو إياد وله ابنان هما إيهاب وباسل.

5) وسليمان بن درويش أبناؤه هم درويش ونبيل ونزيهة ونبيلة ونادية. ولدرويش ابن هو سليمان ولنبيل ابن هو إبراهيم.

6) وعبد الله بن درويش له ابنتان هما: عائشة وعبيدة.

7) وعبد الغني بن فؤاد أبناؤه هم: فؤاد ومحمد ومها وربى.

8) وعاصم سعيد بن فؤاد أبناؤه هم: محمد سعيد ورنا وديمة وشرين.

القاضي محمود الديري الخالدي

شغل القاضي محمود منصب القضاء في القدس في النصف الثاني من القرن السابع عشر. وقد سكن في فترة ما في دار باب السلسلة المجاورة تماما للمحكمة كما أسلفت. وما وصل إلينا عنه من روايات عائلية أنه كان له ابن واحد هو الشيخ صالح والد الشيخ محمود الذي عاصر محمد صنع الله. وقد عمل كلاهما في المحكمة في الثلث الأول من القرن الثامن عشر. ولم يُرزَق محمود (الحفيد) إلا بابن واحد هو محمد. ولمحمد أيضا ابن واحد هو موسى الذي عمل في المحكمة الشرعية بالقدس حوالي 1140 هجرية (1739م)، وتزوج السيدة فاطمة ابنة أحمد بن رجب آغا ترجمان المحكمة الشرعية بالقدس في ذلك الوقت، والذي كان معروفا باسم أحمد بك الترجمان وذلك حسب ما جاء في وقفية أحمد الترجمان.

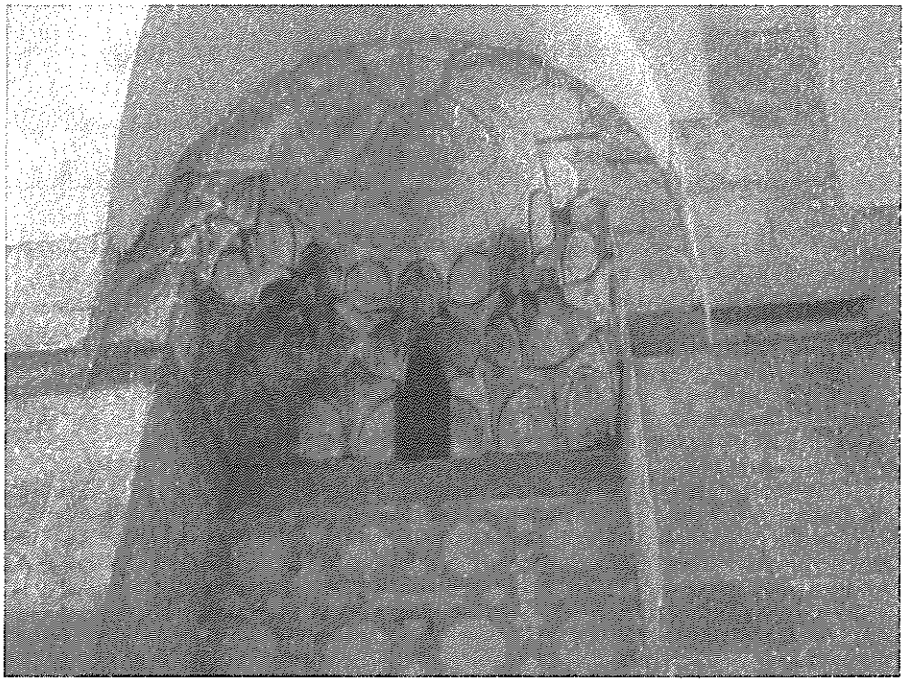

(مقرنصة) مدخل بيت القاضي محمود الخالدي – باب السلسلة

موسى بن محمد بن محمود الخالدي

ذكرنا أن موسى الخالدي تزوج بفاطمة ابنة أحمد الترجمان وله منها ثلاثة أبناء؛ هم محمد، وخليل، ومحمود. وكان للإبن الأكبر محمد ابن واحد هو الحاج حسين الخالدي والإبن الأوسط خليل كان له أربع بنات، والإبن الأصغر محمود كان له ابن واحد هو داود وأربع بنات هن أمونة وخالدية وقرمية ومروة. ولا نعرف الكثير عن أخوات داود، وربما يكون محمد المغربي الذي يتكرر اسمه (هو وابنته) في جداول تقسيم الإرث، هو ابن واحدة من شقيقات الشيخ داود.

الشيخ داود الخالدي وأبناؤه (1799-1853)

داود هو ابن الشيخ محمود ابن الشيخ موسى الخالدي، وهو الإبن الوحيد لمحمود الحفيد الذي مرّ ذكره، وقد اشتغل في المحكمة الشرعية أيام الشيخ موسى ومحمد علي الخالدي. وكان داود يسكن بباب السلسلة كما أسلفنا ومنزله ملك لوقف جده موسى.

ولداود من زوجته الأولى أربعة أبناء وابنة واحدة والأبناء هم محمود وموسى ورشيد ويوسف والإبنة هي بريرة. أما زوجته الثانية السيدة نسب ابنة السيد أحمد أفندي المؤقت، وعلى ما يبدو، فقد تزوجها بعد وفاة زوجته الأولى لأنه جاء ذكرها في حجة مؤرخة في 29 جمادى الثاني 1247 الموافق 1831/12/5، والحجة تدل على أن أبناءه الأربعة وأختهم اشتروا من الزوجة الثانية ما ورثته من زوجها الأول (والدهم) في دار كائنة بباب حطة، بالإضافة إلى ما خصها عن زوجها من (الخلو الشرعي) في دار العائلة الملاصقة

للمدرسة التنكزية بباب السلسلة، كما اشتروا منها القيراط الذي ورثته عن والدهم في الكرم الكائن بقرية بيت سوريك. وكان وكيلها في البيع شقيقها محمد المؤقت وبحضور عميها مصطفى وشاكر المؤقت. وحجة الملكية التي كانت بيدهم مؤرخة في أول جمادى الثانية 1235 الموافق 1820م. فيكون الشيخ داود قد توفي قبيل ذلك التاريخ بفترة وجيزة. وبذلك يمكن أن نستنتج أن الشيخ داود وإن عاصر الحملة الفرنسية على فلسطين، فإننا لا نعرف بالضبط إن كان قد عاصر بقية الأحداث التي مر ذكرها في تلك الفترة، ولكنه بالتأكيد لم يعاصر الحكم المصري الذي استمر من 1831 إلى 1840.

القدس خلال حملة إبراهيم باشا على بلاد الشام

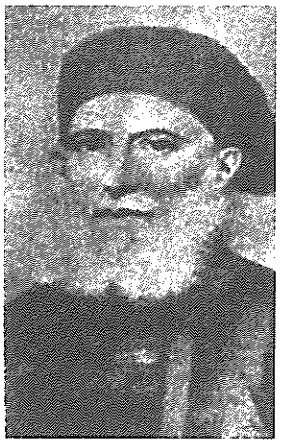

إبراهيم باشا

كما هو معروف، حرك محمد علي الجيش المصري بقيادة ابنه إبراهيم ضد سلطان القسطنطينية عام 1831، واستولى على سوريا الجغرافية بما فيها فلسطين. ولكي يكسب محمد علي رضا الدول الأوروبية على سياسته التوسعية أزال التمييز ضد أتباع الطوائف الدينية غير الإسلامية، ومن جهة أخرى سهل محمد علي للأوروبيين التغلغل السياسي والديني الثقافي فسمح لهم بفتح قنصليات في داخل البلاد وبتوسيع النشاطات التبشيرية.[15]

وكان أهم الأحداث حلول قنصل بريطانيا في القدس سنة 1838 الأمر الذي كان محرما أيام العثمانيين. ولكن لما انسحب المصريون من بلاد الشام عام 1840 كان على العثمانيين أن يواصلوا ما بدأه محمد علي من السماح للقناصل الأجانب بالدخول إلى القدس. فقد شهدت القدس في الأربعينات دخول المزيد من القناصل الأوروبيين (بروسية-1842، فرنسا- 1843، أمريكا- 1844، النمسا- 1849)، فاكتسب الرأي العام الأوروبي اهتماما بالأرض المقدسة ووقعت فلسطين في دوامة تضارب المصالح بين الدول الأوروبية، وصارت القدس تحتل مكانة خاصة منذ عودة سلطة الباب العالي إلى سوريا بوصفها المركز الإداري لفلسطين الجنوبية، بل إن القدس وضعت

[15] شولش صفحة 61

أحيانا ولوقت قصير (1841 و 1854) تحت حكم الباب العالي مباشرة كما ذكر الكزندر شولش.

مطامع اليهود في فلسطين

يقول علي سعيد خلف أنه في عام 1820م كان اليهود في القدس ألفي نسمة داخل السور، ويرجع تكاثرهم إلى ابتداء قدوم اليهود الروس عام 1809م حين بدأت الهجمات العنصرية ضدهم في أوروبا، وقبيل دخول إبراهيم باشا البلاد لم يسكن اليهود سوى حارتهم، فأباح لهم إبراهيم باشا السكن أين يشاءون. وكان من نتيجة اكتظاظ حارة اليهود بالسكان أن دبت فيهم الكوليرا عام 1838م فأتت على أكثرهم.[16]

ومتابعة من ابراهيم باشا في سياسته إزالة التمييز ضد أتباع الديانات الأخرى يقول أسد رستم في كتاب المخطوطات الملكية أن إبراهيم باشا منع اليهود من النزول عن الدابة إذا صادفوا مسلما في طريقهم، وأباح لهم لبس الحذاء الأحمر (حذاء الباشاوات وكبار الوجهاء).[17]

هذا ما حدث في القدس في تلك الفترة (1831–1840)، وقد قامت ثورة ضد إبراهيم باشا، ولكنه أخمدها بسهولة. كما نفي بعض من الأعيان الذين شاركوا في الثورة.[18]

---

[16] علي سعيد خلف، عن إبراهيم باشا وأبناء الطوائف الأخرى صفحة 204

[17] علي سعيد خلف

[18] أطروحة عادل مناع – 1986 م

أبناء الشيخ داود الديري الخالدي

أبناء الشيخ داود الذين عاصروا تلك الأحداث هم محمود وموسى ورشيد ويوسف وأختهم الوحيدة بريرة.

الحاج محمود:

هو الإبن الأكبر للشيخ داود، وقد سكن مع إخوته في دار والده بباب السلسلة. وعمل في المحكمة الشرعية حيث تظهر توقيعاته على بعض وثائق المحكمة. وتزوج محمود من السيدة نسب بنت السيد عمر نسيبة، وتوفي عام 1845 تقريبا.

موسى بن داود:

ثاني أبناء الشيخ داود هو موسى. ولا يوجد بين أيدينا الكثير من المعلومات عنه وإن كنت أرجح أنه عمل بالتجارة وكان له مصبنة في القدس. ولم يكن على قيد الحياة بعد عام 1247 هجرية (1831م) حيث ذكر للمرة الأخيرة حين اجتمع الإخوة الأربعة لشراء حصص زوجة والدهم الثانية السيدة نسب المؤقت.

الحاج رشيد الخالدي:

هو الإبن الثالث لداود حيث ذكر في الوثائق التي سبقت الإشارة إليها أبناء الشيخ داود الأربعة حسب تسلسلهم وتقدم عليه ذكر أخويه محمود وموسى. وعمل رشيد في المحكمة الشرعية مع إخوته حيث يظهر توقيعه على الحجج والمجالس الشرعية إلى جوار تواقيع محمد علي وإبراهيم وخليل وراغب وطاهر

ويوسف ومصطفى أبناء العائلة الخالدية المقدسية الذين عملوا في المحكمة الشرعية آنذاك.

الحاج يوسف:

وهو أصغر أبناء الشيخ داود. وقد جاء ذكره عندما توجه الإخوة الأربعة إلى القاضي الشرعي عام 1829م. ولدي نسخته الخاصة من كتاب "بلوغ المسرات على دلائل الخيرات" ومكتوب عليها وبخط الحاج يوسف نفسه "ملك الفقير الحاج يوسف داود الخالدي سنة 1292 (1876م). كما أنه يتبين من بعض الوثائق العائلية أنه كان على قيد الحياة في 29 رجب 1297 هجرية (تموز 1880).

وأما الابن الثالث الحاج رشيد فقد عاصر الأحداث التي مر ذكرها أيام العهد المصري. ففي المجلس الشرعي (المبينة نسخة عن وقائعه فيما يلي) والذي عقد في بيته بباب السلسلة عام 1846م وكان قد عقد بسبب استحكار الساحة الملحقة بداره، يذكر فيه أن أجرة الحاكورة المستأجرة بلغت آنذاك ستين فضة مصرية (ما يشير إلى أن العملة المصرية ظلت تستعمل في القدس إلى عام 1846م). ومن الطريف أن نذكر أسماء بعض من حضر تلك الجلسة التي عقدت بناء على طلب الحاج رشيد للبت في قضية صحة احتكاره لحاكورة دار العائلة التي كانت وقف جده الشيخ موسى وسكنه في ذلك الوقت.

المحكمة الشرعية في القدس — ورقة الضبط — عدد الصفحة

فقد حضر كما هو مبين في حجة المجلس المشار إليها في الصفحتين السابقتين أهم أفندية القدس، وأنقل هنا أسماءهم وما أضفي عليهم من الصفات والألقاب كما وردت في الحجة الشرعية للتوثيق فقط.

أسماء وألقاب الحاضرين:

(1) استحكر عمدة الفضلاء والسادات الكرام خالدي زاده السيد الحاج محمد رشيد أفندي الخالدي ... ...

أما الحاضرون ليشهدوا، فهم:-

(2) عمدة العلماء والمدرسون العظام السيد مصطفى أفف الحسيني المفتي بالقدس الشريف حالا وأولاد عمه وهم كل واحد من عمدة الفضلاء والسادات الفخام السيد محمد أمين أفف الحسيني وأخواه العلامة الأوحد السيد محمد سعيد أفف الحسيني أمين الإفتاء بالقدس الشريف، والسيد يوسف أفف الحسيني.

(3) وعمدة العلماء والمدرسين العظام ونخبة المدققين الفخام مولانا السيد محمد علي أفف الخالدي باش كاتب محكمة القدس الشريف وخليفة الحكم المنيف بها حالا ونجله عمدة المدرسين الفخام السيد خليل أفف وعمدة الفضلاء الكرام السيد إبراهيم أفف الخالدي وعين المدرسين العظام السيد محمد طاهر أفف الخالدي وأولاد عمهم السيد مصطفى خليل أفف الخالدي وولديه السيد سليم أفندي والسيد بدر وعمدة الفضلاء والسادات الكرام السيد أحمد أفندي جار الله والفاضل السيد خليل بيك الصالح ترجمان محكمة القدس الشريف حالا والسيد محمود صادق النمري معمار باشه بالقدس الشريف حالا وولدي عميه السيد عبد الله عبد الوهاب النمري والسيد إبراهيم حسين بيك النمري والشيخ يوسف

أفندي الخليلي وكاتبه الفقير عبد الرحمن الشهابي وشقيقه السيد وهبة أفندي الشهابي وغيرهم من الثقاة الموجودين ...

أبناء الحاج رشيد داود الخالدي

مصطفى رشيد، وهو ابن الزوجة الأولى للحاج رشيد الخالدي وقد أشير إليها في وثيقة حصر إرث وقفية الشيخ الخليلي، بأم مصطفى المتوفاة عام 1851م، ولم يذكر اسمها صراحة، بل ذكر أنها ابنة يوسف بن يوسف المتوفى عام 1841م، وهذا يدل على وجود خطأ في تاريخ وفاة يوسف الخليلي في حصر الإرث المشار إليه، حيث أن يوسف أفندي الخليلي كان حاضرا للمجلس الشرعي الذي عقد عام 1846م كما هو واضح من سجل المحكمة الشرعية المثبتة في الصورة السابقة.

خديجة رشيد، وهي ابنة السيدة آمنة ابنة مصطفى البديري، الزوجة الثانية للحاج رشيد. وقد تزوجت خديجة أولا ابن عمها شمس الدين بن محمود، وبعد وفاة شمس الدين تزوجت ابن عمها الآخر محمد أمين بن يوسف.

محي الدين رشيد، وهو ابن الزوجة الثالثة السيدة صفية مصطفى البديري شقيقة آمنة الزوجة الثانية للحاج رشيد التي توفيت بعد زواجها بثلاث سنوات. أما محي الدين نفسه فهو موضوع الفصل الثاني من هذا الكتاب وسوف نذكر ما نعرفه عن حياته.

ملحق رقم – 1

(وهو نموذج اختير عفويا لإعطاء فكرة عن بعض وثائق المحكمة الشرعية في القرن التاسع عشر)

الملحق رقم -1 على الصفحة السابقة هو صك شرعي حرر بتاريخ أول_ربيع ثان 1248هجري الموافق 1832/8/28م. ويلاحظ أن هناك تسعة توقيعات لأشخاص من آل الخالدي كانوا مشايخ المحكمة الشرعية. وهم من اليمين إلى اليسار: محمد علي (وهو باش كاتب المحكمة الشرعية كما أسلفنا). ثم توقيع عبد الرحمن الشهابي. يليه توقيع إبراهيم (شقيق محمد علي، وهو والد موسى عمران جد راسم الخالدي)، ثم خليل وراغب (وهما إبنا محمد علي) ثم محمود بن داود الخالدي وهو والد شمس الدين، ثم طاهر (وهو شقيق محمد علي ووالد موسى شفيق). ثم رشيد وهو والد محي الدين، ثم يوسف والد محمد أمين ثم محمد الشهابي وقاسم الترجمان، ثم كاتبه مصطفى الخالدي وهو والد كل من سليم أفندي وبدر الخالدي.

ملحق رقم -2

الكشف على دار القاضي محمود الخالدي الواقعة فوق القنطرة الأولى للخارج من باب الحرم باتجاه السوق، وحكرها يؤول إلى الحفيد رشيد بن داود الذي بدأ بتعميرها عام 1845/1844م:

هذه الدار هي وقف أيمة الصخرة المشرفة، وقد استحكرها القاضي محمود وسكنها فظل الحكر ينتقل إلى أبنائه إلى أن أصبحت خالية من السكان في النصف الأول من القرن التاسع عشر. وكان آخر من استحكرها من أبناء القاضي محمود هو رشيد المتوفى عام 1853م. والحجة التي بين يدي والتي لم أضع صورتها هنا بسبب كبر حجمها، مكتوبة في أول رمضان 1260 هجرية (1844/9/14م)، هي رسالة موجهة من قاضي القدس الشرعي إلى الحاج محمد رشيد الخالدي. ويذكر فيها أن الدار التي هي وقف أيمه الصخرة المشرفة وهي واقعة بطريق باب السلسلة بقرب باب الحرم الملاصق للمدرسة التنكزية من الجهة القبلية، ويحدها من الجهة الشمالية دار السيد خليل بك الصالح ترجمان محكمة القدس الشريف حالا ودار ابن لقة، وغربا دار ابن لقة. وكانت محكرة للحاج محمد رشيد بن داود الخالدي بمبلغ وقدره ستون قرشا أسديا. وقد شكل السيد محمد سعيد القاضي بالقدس الشريف لجنة للكشف على الدار المهدمة والغير صالحة للسكن لتقييم وضعها السيئ وتقدير ما تحتاجه من إصلاح وتقييم أجرة الدار. وحضر مع اللجنة المكلفة بالكشف متولي الوقف بدر الدين أفندي الجماعي. وأما المكلفون بالكشف على الدار فهم:

نائبا باش كاتب المحكمة خليل أفندي الخالدي ومحمد طاهر أفندي الخالدي (والد موسى شفيق). وكتاب المحكمة وهم مصطفى أفندي الخالدي، وابراهيم أفندي الخالدي، ومحمود أفندي الخالدي (وهو شقيق الحاج رشيد)، ومحمد سليم أفندي الخالدي (والد أحمد بدوي)، ولطفي أفندي الشهابي، ووهبة أفندي الشهابي، وبدر أفندي الخالدي (والد حسن والست أمينة والشيخ خليل جواد)، ونعمان أفندي الخالدي (وهو والد الحاج راغب)، وترجمان المحكمة الشرعية خليل بك الصالح، والمقدر محمد أغا والمحضر قاسم. وكاتب الحجة الفقير عبد الرحمن يوسف شهاب الدين. وحضر معهم كذلك معمار باشات القدس الشريف وهم: يوسف صادق النمري ومحمد صادق النمري وأولاد عمهما عبد الله عبد الوهاب النمري ورشيد خليل عبد الجواد النمري والسيد ابراهيم بك النمري، والسيد نور الدين النمري. وحضر معهم عمدة العلماء الأعلام مفتي الديار القدسية مصطفى أفندي الحسيني وأولاد عمه فرع الشجرة الهاشمية السيد محمد علي الحسيني، والسيد أمين أفندي الحسيني، والسيد سعيد أفندي الحسيني والسيد حسين أفندي الحسيني والسيد موسى أفندي الحسيني، وحضر معهم إبراهيم أفندي فيض العلمي وابن أخيه السيد رشيد أفندي. وكذلك حضر خليل أفندي العفيفي والشيخ يوسف أفندي الخليلي والسيد حسن أنيس الدجاني والسيد عثمان الشعباني والحاج عبد الرزاق يحيى قليبه والسيد يوسف غنيم والسيد يوسف العكاوي وغيرهم ممن لهم المعرفة في مثل ذلك من التقاة الموحدين، فوجدوا أن البيت مهدم وخرب مملوء بالأتربة والقمامات ... ، ..إلخ، ووجدوا البيت الذي تحت بيت ابن لقة مملوءا بالأتربة والزبالة. والدرج الذي يوصل منه إلى العلوي منهدم مع ستاراته ويحتاج للإقامة، وساحة الدار

العلوية خربة ومحتاجة للتبليط، والمطبخ والمرفق مشرفان على السقوط. والبيت الراكب على الإيوان السفلي حائطه من الجهة الغربية متفسخة.. .. .. ووجدوا حائط البيت الذي بداخل الإيوان القبلي من الجهة الشرقية المطلة على باب المسجد ساقطا وحائطه المطل على مرافق المدرسة التنكزية وكذلك حائطه الشمالي يحتاجان للنفض والإعادة ووجدوا حيطان الدار محتاجة للمرد والتكحيل، وسائر بيوتها لا تحجب الماء وقت الشتاء لداخل البيوت، وقد وصل ذلك الضرر في وقت الشتاء ... ... إلى أن نزل الماء على الطريق حتى أضر ذلك بالمارين في وقت الشتاء. والأسطحة محتاجة للمدة والتبليط. وليس لأبواب البيوت ولا الطاقات أبواب خشب، ... ... وليست جميع الدار قابلة للسكن ولا بوجه من الوجوه.

وقد شهد الثقاة لدى الكشف ولدينا بوجه المتولي المزبور بأن أجر مثل هذه الدار في كل سنة ستون قرشا أسديا. وليس هناك مال للوقف لتعمر به الدار. وقد أذن متولي الوقف للحاج رشيد الخالدي بتعمير الدار ليكون جميع ما يصرفه في عمارتها بطريق الخلو الشرعي المتعارف عليه بين الفقهاء.

ملاحظة:

لقد دونت الأسماء في نسخة الملحق رقم – 2 حسب الاستعمال اللغوي والوصف الوارد في الحجة الأصلية.

ملحق – 3

موقع بيت القاضي محمود الديري الخالدي بباب السلسلة – والمصدر هو بحث بعنوان القدس المملوكية نشر عام 1989 للدكتور:
Michael Hamilton Burgoyne

ذلك أن في البيت ضريح الأمير سعد الدين مسعود الذي كان أمينا لخزانة المالية في دمشق في بلاط السلطان الناصر محمد بن قلاوون.

ضريح الأمير سعد الدين مسعود

ويقول ميشال بورغوين في بحثه أن الضريح ... يحده من جهة الشرق ساحة باب السلسلة الصغيرة الواقعة أمام باب الحرم ومن جهة الشمال رباط النساء ومن جهة الغرب مساكن يبدو أنها من أيام العهد العثماني ومن جهة الجنوب الطريق العام .

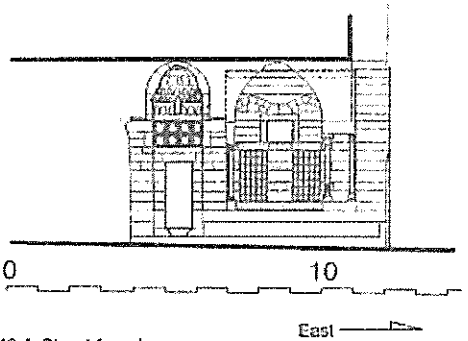

Fig. 13.4 Street façade

مخطط يظهر فيه مدخل الضريح (الذي هو باب الدار) وإلى اليمين نافذتا الضريح المطلتان على طريق باب السلسلة

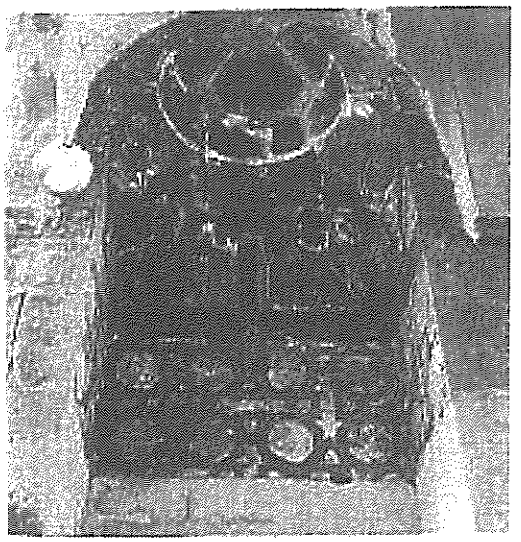

سقف مدخل الضريح والبيت – وتظهر فيه النقوش المطعمة حسب الطراز المملوكي

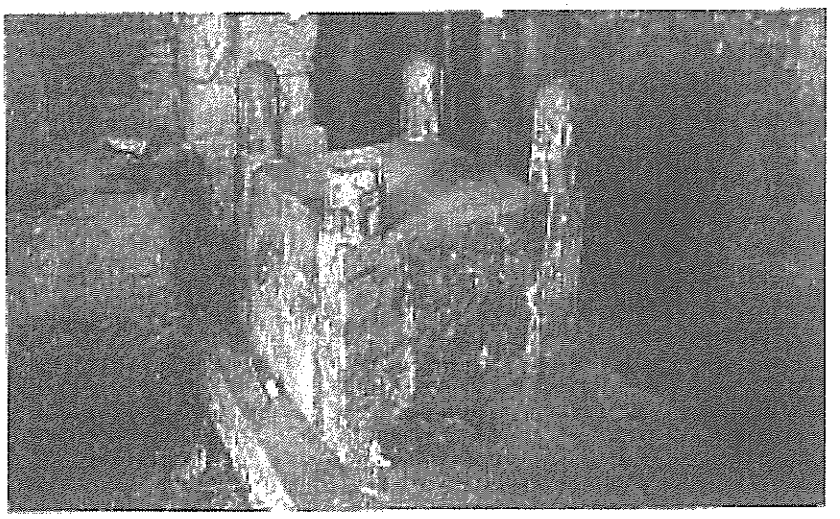

داخل غرفة الضريح

يتكون المبنى من غرفة القبر إلى الشرق ثم الإيوان الغربي (الذي كان يعرف عند العائلة بالدهليز) وبينهما ممر. والدهليز يؤدي إلى غرفة صغيرة تحت مستوى أرض الدهليز نفسه. ومبني فوقها غرفة صغيرة أخرى يمكن الصعود إليها بحوالي عشر درجات.

تاريخ البناء لا يوجد كتابة خاصة تبين تاريخ بناء هذا القبر، ولكن عندما حاول van Berchem الكتابة عن هذا المبنى قال أنه توصل إلى أن هذا المبنى هو التربة السعدية بناء على مؤشرات تاريخية ووصفية للضريح المعروف بالسعدية الذي أخبر عنه مجير الدين بأنه بباب السلسلة، مقابل المدرسة التنكزية وباب الحرم الشريف. وفي سجل القدس هناك بندان يضيفان إلى صحة هذا الافتراض. ويشير البندان إلى أملاك واقعة غربي ضريح السعدية. ويذكر أن تلك الأملاك يواجهها من الجنوب طريق باب السلسلة ومن جهة الشمال المدرسة التنكزية التي كانت تسمى رباط التنكزية (التي هي أيضا حدود الضريح الشمالية). وبما أن رباط التنكزية يقع في الطرف الشمالي الشرقي للساحة الصغيرة الواقعة أمام باب الحرم فهذا يؤكد أنه يمكن التعرف على التربة السعدية من المدخل الهام المقرنص للقبر (والذي هو مدخل بيت القاضي محمود) ومن قضبان الحماية الحديدية التي جاءت على شكل مربعات على نافذتي الضريح الواقع على الزاوية الشمالية لطريق باب السلسلة المؤدية إلى الساحة الصغيرة التي أمام باب الحرم.

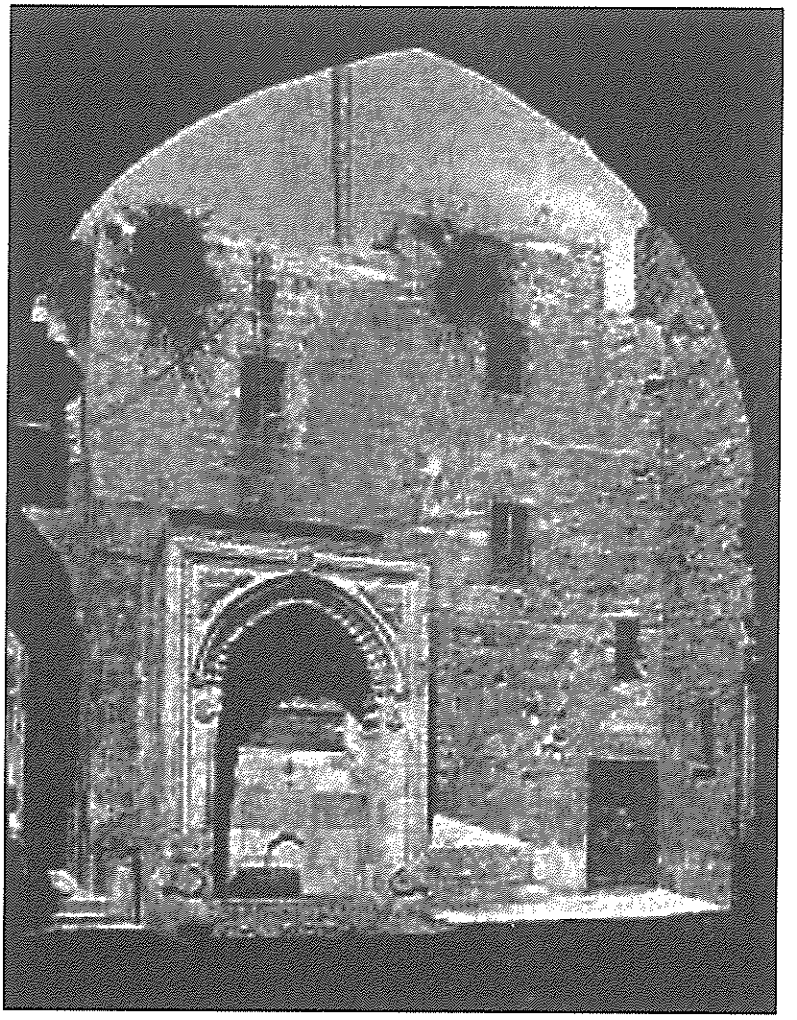

صورة الضريح من الجهة الشرقية وهذا المشهد هو أول ما يصادفه الخارج من باب الحرم– وقد أخفي الضريح ببناء السبيل العثماني (وإلى يسار الصورة يظهر طرف القنطرة الأولى المبني عليها البيت)

ولمحاولة الوصول إلى تاريخ بناء هذا الضريح، فقد اعتمد الباحث على نص وقفية مؤرخة في 27 ربيع الثاني عام 711 هجرية (الموافق 12 سبتمبر 1311م)، حيث يقول مجير الدين الحنبلي أن اسم الواقف هو الأمير سعد الدين مسعود بن الأمير اسفهسلار بدر الدين سنقر بن عبد الله التاستر الرومي، أي أن أصله من آسيا الصغرى. أما مسعود نفسه فقد وصف بأنه كان أمينا لخزانة الدولة في دمشق في بلاط الناصر محمد بن قلاوون.

ومع ذلك كله فيذكر الباحث أنه من الصعب على المرء أن يحدد موقع ضريح مسعود على هذا الأساس لأن المصادر الأساسية لا تعطي إلا القليل. وربما ومن قبيل الحدس والتخمين أن يكون والد مسعود هو أحد أمراء سلاجقة الروم الذين التجأوا إلى دولة المماليك، حيث أن هناك إشارة عابرة إلى القبض على سنقر الرومي من قبل بيبرس الأول، مع أن هذا ليس أساسا جيدا لإيجاد علاقة بين الحدثين.

أما بالنسبة للإبن فقد كان هناك أمين للخزانة في دمشق اسمه الأمير مسعود ظهر في فترة قصيرة أيام حكم الناصر بين (732 – 738 هجري) الموافق (1332–1338م). ومع ذلك فإن أحد السجلات يطرح أمرا يحتاج إلى الفحص الدقيق. ذلك أن الأملاك التي تقع إلى جهة الغرب من الضريح هي وقف للأمير سعد الدين بن الأمير مسعود بن بدر الدين بن عبد الله لأن قبره هو الموجود في الغرفة ذات القبة. وفي رأي الباحث أن هذا الاختلاف في الإسم قد يكون خطأ في التسجيل حيث أن نص الوقفية يشير إلى أن الأمير يتولى الوقف في حال حياته، يليه ابنه ومن بعده أبناء ابنه. والأمر الآخر هو أن تاريخ الوقفية هو 13 ربيع الأول 789 هجرية (الموافق 2 نيسان 1387م).

ويقول المؤرخ الباحث أن ذلك التاريخ قد يكون تاريخا لنسخة عن الوقفية الأصلية. وهكذا نجد أنه ليس لدينا إلا القليل من تاريخ ذلك المبنى لتسجيله.

وفي عام 984 هجرية / 1576م أوقف خدا وردي بن حسن الخلوتي 400 قطعة ذهبية على أربعة من القراء لتلاوة القرآن بصورة يومية في غرفة الضريح. وفي نفس السنة أوقفت الأملاك التي تقع إلى الغرب من الضريح والتي وصفت بأنها بيته هو لتصبح وقفا عليه هو وعلى نسله من الذكور من بعده. وهذا يدل على أنه منذ عام 936 هجرية / 1555م (تاريخ السجل الآخر)، تغير وضع الوقف الذي كان لمصلحة التربة ليصبح وقفا عليه وعلى ذريته من بعده.

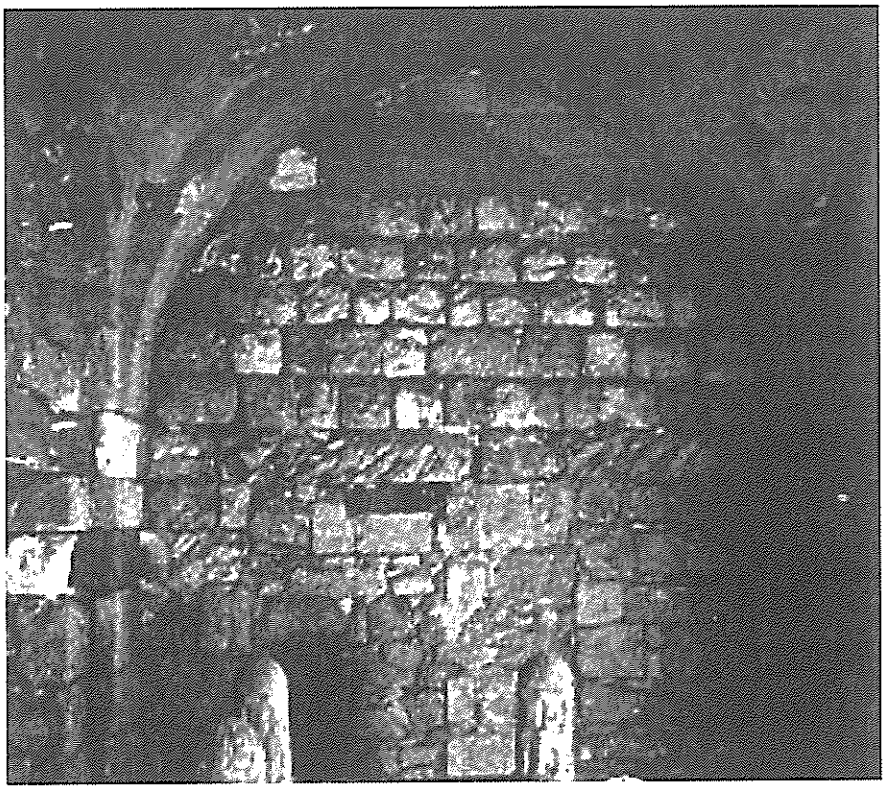

الفصل الثاني

محي الدين أفندي بن الحاج رشيد الخالدي وابنه عبد الغني

(1905 - 1852)

تمهيد:

قبل البدء بالحديث عن محي الدين، دعنا نلقي نظرة على الأوضاع في القدس في هذه الفترة (1852-1905). كيف كانت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية؟

يكرر ألكزندر شولش من معلومات مستقاة من رسائل القناصل الأجانب ومن مصادر أخرى أن عائلتي الخالدي والحسيني ظلتا صاحبتي السلطة في القدس، وأنهما كانتا شوكة في عين المتصرف في النصف الثاني من القرن التاسع عشر[19]، وبناء على التقارير المفصلة للقنصل الألماني، فإن المتصرف رجا القسطنطينية منذ وقت طويل أن تسمح له بوضع حد لحكم الأرستقراط. وسنحت الفرصة سنة 1879 عند قيام النظام الجديد، والانتخابات الجديدة لهيئات المحاكم والإدارة المحلية. وحين فوض الباب العالي المتصرف رؤوف باشا بأن يملأ مجالس القدس بالأعضاء الذين يريدهم، أقدم المتصرف على عزل جميع الخالديين وبعض الأعضاء ذوي النفوذ من عائلة الحسيني من وظائفهم، متهما إياهم بعدم الولاء وإهمال الواجب والفساد. بل إنه أمر

---

[19] شولش. يوسف الخالدي مصلح فلسطيني. (صفحة 280 – 288)

بتدقيق النظر في حقوقهم بملكية بعض الأراضي. وهنا نسيت العائلتان خلافاتهما القديمة، وبمبادرة من آل الحسيني اجتمعتا في التاسع من تشرين الأول 1879 من أجل عقد حلف بينهما بهدف صد هذا الهجوم على مواقعهما في المدينة. وتظلمت العائلتان في عدة برقيات إلى الباب العالي في 9 و10 و11 تشرين أول 1879 من التصرف المخالف للقانون لرؤوف باشا وطالبتا بعزله. وأتبعتا ذلك بعريضة زعم أنها حملت تواقيع 8000 من أنصارهما. وقامت القدس وقعدت وأعطي لقرار المتصرف بعدا سياسيا. ولكن بعد أن هدأت الأحوال في القدس تبين أن آل الخالدي، قبل سواهم، هم الذين كانوا مقصودين بالضرر. فآل الحسيني ظلوا ممثلين في المجلس الإداري وبقي طاهر الحسيني مفتيا. بل إن عمر الحسيني المنافس السابق ليوسف الخالدي على منصب النيابة في مجلس "المبعوثان" عين خلفا ليوسف أفندي في منصب رئيس البلدية. وأما الحسينيون الذين ظلوا في وظائفهم فقد وقعوا عريضة ثقة نظمها رؤوف باشا ردا على عريضة الاتهام السابقة التي وقعها الأفندية. وهكذا كشف رؤوف باشا نفسه؛ حيث أن التغيير الفجائي لآل الحسيني في مواقفهم أظهر أن عمل المتصرف كان إجراءا لمعاقبة آل الخالدي فقط؛ فهم عائلة زعيم المعارضة في مجلس المبعوثان المنحل (يوسف الخالدي)، وتجريدهم وحدهم من مناصبهم كان بتشجيع من الباب العالي. ويبدو أن هذه الضربة قد أودت إلى حين بالتفوق السياسي والإداري لآل الخالدي في القدس[20] .

[20] شولش. تحولات جذرية في فلسطين.

أما مدينة القدس نفسها في تلك العقود فيقول شولش[21] أنها لم تتمتع بمكانة كبيرة لا كموقع تجاري ولا كمركز للإنتاج الحرفي؛ غير أنها كانت تكتسب أهميتها في المقام الأول من الأماكن المقدسة للمسلمين والمسيحيين واليهود ومن المؤسسات التي قامت بسبب هذه الأماكن، ومن الحجاج الذين كانوا يقصدونها. ولكنه يؤكد على أن التحول الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والإداري في تلك الفترة يُعزى إلى شخصيتين بارزتين في تلك المنطقة. ففي القدس برز يوسف الخالدي الذي وصفه شولش بالعقلية السياسية الشامخة الجديدة في فلسطين منذ الستينات، إذ كان عالما وإداريا ملتزما بسياسة التنظيمات. وفي خارج المدينة كان مصطفى أبو غوش الذي لعب دورا هاما كشخصية تاريخية رسخت الاستقرار مما جعل القدس منطقة جذب للسياح في ستينات وسبعينات القرن التاسع عشر.

أما من حيث البناء خارج السور في النصف الثاني من القرن 19، فيقول عارف العارف في كتاب *المفصل في تاريخ القدس*: "ظلت مدينة القدس منحصرة ضمن الأسوار حيث أننا لم نعثر بين حوادث عام 1859م على ما يدل على أنه كانت هناك يومئذ أية دار خارج السور معدة للسكن (انتهى)". ويؤكد شولش ذلك حين يذكر أن سور البلدة القديمة كان في أواسط القرن التاسع عشر يشكل حدود مدينة القدس، وأن المدينة بدأت تتوسع في بداية الخمسينات فبدأ البناء خارج الأسوار. ولما انتهت مهمة سور المدينة في

[21] يتحدث شولش في صفحة 333 عن دور يوسف الخالدي ومصطفى أبو غوش في استقرار القدس ومحيطها مما جعلها منطقة جذب سياحي في الستينات والسبعينات من القرن التاسع عشر.

السبعينات، ظلت أبوابها مفتوحة ليلا، كما أنها لم تعد تغلق وقت صلاة الظهر عند المسلمين[22].

وفي أواخر الخمسينات اشترى موشيه مونتفيوري قطعة أرض كبيرة من أحمد أغا الدزدار، وبنى عليها الحي الذي عرف باسمه وذلك لإسكان فقراء اليهود الذين اكتظت بهم حارة اليهود داخل السور. كما بنى الألمان دار الأيتام شنللر عام 1860م وبنيت المسكوبية في رأس الميدان (المصرارة) عام 1869م، وبنى الفرنسيون دير ومستشفى نوتردام في الثمانينات[23].

وفي ذلك الوقت كان للعائلة كرم كبير في المصرارة، كان يعرف بكرم الحاج يوسف الخالدي. وقد أقيم عليه بناء بسيط من طابق واحد، ربما كان يستعمل من قبل العائلة حين كانت تخرج للنزهة في بعض أيام فصل الصيف، وهو تحت مستوى شارع سانت بول الذي صار يعرف بعد سقوط القدس عام 1948 بشارع شبتي يسرائيل.

يضيف شولش: لما كثر البناء خارج السور، تطورت أساليب ومواد البناء، فاستورد الخشب والحديد من أوروبا، أما القرميد المثنى فاستورد من مرسيليا. وزاد التطور بعد تعبيد الطريق من يافا إلى القدس في نهاية السبعينات ودخل البلاد نمط جديد من البناء، فأصبحت جدران المباني الجديدة أقل سمكا وصارت الغرف تغطى بأعمدة خشبية وبأرضيات من الخشب فوقها أعمدة حديدية وبلاط حجري، وصار خشب الأسطح يغطى بالقرميد[24].

---

[22] شولش. (صفحة 147-149) أهمية القدس تعود إلى أماكن السياحة الدينية وليس كموقع تجاري أو صناعي.

[23] يذكر شمعون لندمان تواريخ بناء الأحياء اليهودية خارج الأسوار.

[24] شولش. تطور البناء ومواد البناء الجديدة في القدس.

السياحة في القدس

ونتيجة لسياسة الدول الأوروبية ومآربها فقد شجعت السياحة في ذلك الوقت، فتوافد الحجاج من أوروبا على الأراضي المقدسة بأعداد كبيرة صارت تزداد مع مرور الأيام. ولما لم يكن من الخانات (الفنادق) ما يكفي لاستيعابهم، فقد كان أكثر الحجاج ينزلون في البيوت والأديرة والهوسبيسات التي كانت ترعاها المؤسسات الدينية. وبما أن هذه المؤسسات كانت تحتفظ بسجلات للحجاج، فقد وصلت إلينا أرقام دقيقة عنها نستطيع منها أن نرى مدى تسارع الزيادة في أعدادهم. وعلى سبيل المثال، نرى أنه زار الأراضي المقدسة سنة 1845م زهاء 5000 حاج، ارتفع العدد في شباط سنة 1858م إلى 9854 حاجا، ثم إلى 13475 حاجا في آذار من السنة نفسها. وسجل الفرنسسكان من سنة 1850–1859 في منازلهم 55763 حاجا. وفي السبعينات كان على القدس أن تتدبر خلال الموسم في كل عام أمر عدد من الحجاج يتراوح بين 10000 و 20000 حاج. وقد نستطيع أن نكون صورة جيدة عن مدى الازدحام الذي كانت تسببه هذه الجموع إذا علمنا أن عدد سكان القدس عام 1850م كان لا يزيد على 15000 نسمة وأن أعداد السياح كانت أحيانا تفوق عدد سكان المدينة[25].

[25] شولش، إحصائيات الحجاج صفحة 145

بدايات التغلغل اليهودي

لم يتوقف اليهود عن محاولاتهم الاستيطان في القدس، فدخلوها بشتى الوسائل واكتظت بهم حارة اليهود داخل السور وتفشت بينهم الأوبئة. فبنى لهم المحسن اليهودي حي المنتفيوري خارج السور في عام 1860م. كما يروي مردخاي سلمون أن والده وأصدقاءه من سكان حارة اليهود في البلدة القديمة اشتروا أرض حي نحلات شفعا التي تقع بين شارع يافا ومقبرة ماميلا بصورة عفوية من الفلاحين الذين كانوا يزرعون الخضار في أحد الحقول هناك وبنوا عليها بيوتا سكنوها في السبعينات[26]. كما أنشئت في تلك الفترة جمعيات يهودية عديدة لشراء الأراضي وبناء المساكن، فأقامت صفوفا من البيوت الموحدة الشكل لكي توفر المساكن لليهود الذين زاد تدفقهم إلى البلاد في تلك الفترة. ففي عام 1874 بني حي مئة شعاريم (موشيرم) شمال القدس وفي عام 1892م أنشئت البخارلية[27].

ويذكر علي سعيد خلف أنه لما اختير يوسف باشا الخالدي، رئيس بلدية القدس، مندوبا عن القدس في مجلس المبعوثان العثماني كان أول إنسان عربي يتحدث عن خطر التملك اليهودي في فلسطين والقدس خاصة في مجلس المبعوثان. ولم تأت صرخة يوسف بالنتيجة المرجوة إلا عام 1882م حين صدر قانون يمنع اليهود من دخول فلسطين أو الهجرة إليها أو شراء الأراضي فيها. وفي تلك السنة أصدر الصدر الأعظم رؤوف باشا أمرا بمنع

---

[26] روى ابن مردخاي شولومن كيف اشترى والده وأصدقاؤه من سكان حارة اليهود بالبلدة القديمة حي نحلات شفعا بشارع يافا في (شالوم مي يوروشاليم لمتخيل)– مجموعة كراسات لتعليم اللغة العبرية.

[27] علي سعيد خلف، صفحة 214

اليهود من تنفيذ رغباتهم أينما وجدوا. ولكن تلك المجهودات لم تتكلل بالنجاح بشكل مفيد، فقد نجح اليهود عام 1885 بإدخال 5000 مهاجر منهم خلسة إلى القدس؛ فأمر الوالي بتعقبهم والقبض عليهم، ونجحوا بالقبض على 400 فقط من حارة اليهود بالبلدة القديمة[28].

[28] علي سعيد خلف، عن قانون 1882م ونتائجه. صفحة 214

محي الدين الخالدي

(السيرة الذاتية)

ولد محي الدين في القدس بدار باب السلسلة عام 1852م (1268هجرية) وتوفي في المصرارة يوم السابع من رجب 1323هجرية، الموافق 7 أيلول 1905.

ولما توفي والده الحاج رشيد عام (1853م) لم يكن محي الدين قد تجاوز بضعة أشهر من العمر. ولم يمض وقت طويل حتى تزوجت والدته السيدة صفية البديري من عمه الحاج يوسف كما أسلفنا. وهكذا فان محي الدين تربى في كنف عمه الحاج يوسف.

طلب محي الدين العلم صغيرا في المسجد الأقصى، حتى إذا بلغ السادسة عشرة من عمره أشارت عليه أمه بالذهاب إلى المحكمة الشرعية ليتدرب على العمل شأنه في ذلك شأن جده وأبيه وأبناء عمومته من آل الخالدي الذين سبقوه. وفي عام 1868م بدأ محي الدين يومه الأول والأخير هناك، فعندما عاد من العمل إلى البيت أخبر والدته بقراره عدم العودة إلى المحكمة الشرعية لأنه لم يجد متعة في العمل في الأمور التقليدية المعتادة في المحكمة.

لم يكن محي الدين بعيدا عما كان يجري في القدس، فكثيرا ما رأى أفواج السائحين تتدفق في طرقها الضيقة وتتزاحم على الحوانيت التي تبيع لهم التحف والهدايا التذكارية المقدسية. وقد أوحت هذه المشاهد لمحي الدين بما يمكن أن يبدأ به هو. ففكر في بداية بسيطة. وكان في السادسة عشرة من

العمر عندما استأجر دكانا صغيرا يقع في الطريق الضيقة الموصلة بين حارة النصارى وكنيسة القيامة قرب مسجد عمر، وصار يبيع فيه تلك الهدايا التذكارية المقدسية والشموع والحلي الفضية والحجارة الكريمة كالعقيق والكارب وغيرها مما يقبل عليه الحجاج والسائحون. وما كاد العمل في محل الهدايا التذكارية ينجح حتى بدأ محي الدين يفكر بمشروع آخر كان أيضا له علاقة بالسياح والحجاج.

نقل السياح والحجاج من يافا إلى القدس

كانت يافا في ذلك الوقت الثغر الوحيد في جنوب فلسطين، وكانت أهم مرفأ للتجارة الخارجية ولنزول الحجاج والسياح القادمين إلى الأماكن المقدسة، ومع ذلك فلم تر مشروعات تطوير ميناء يافا وسكة الحديد (يافا/القدس) النور حتى سنة 1882. (وبدأ تشغيل الخط الحديدي بين يافا والقدس عام 1892). غير أن بلدية القدس عملت على تسيير خط للعربات بين البلدين عام 1872م ولكن هذا الخط توقف بعد ثلاثة أشهر بأمر من متصرف القدس الجديد كامل باشا الذي ظن أن المشروع كان بدائيا[29]. وهنا تجلت طموحات وأحلام محي الدين وهو في العشرين من العمر، فأسس مع بعض الشباب من أبناء المدينة شركة لنقل الحجاج والسائحين بواسطة العربات من يافا إلى القدس والى سائر المواقع ذات الأهمية؛ وكان مركز الشركة الرئيسي ومكاتبها خارج السور من جهة باب الخليل. وبعد فترة من الزمن اختلف الشركاء وحاول بعضهم

[29] شولش، "يافا وارتباطها بالقدس" صفحة 163

الاستئثار بالشركة لصغر سن محي الدين، فسوى الأمر معهم ثم صفيت الشركة وأخذوا حقوقهم وصارت شركة النقل ملكا خاصا له.

من هنا بدأ العمل في شركة النقليات السياحية. وفي ذلك الوقت (أواخر السبعينات) زاد محي الدين البناء في أرض المصرارة (أرض عمه وحماه، التي كانت تعرف بكرم الحاج يوسف) فبنى المكاتب والإسطبلات واشترى عربات جديدة وحسن وضع السائقين ومظهرهم، فصاروا يلبسون زيا خاصا (يونيفورم) ويعملون وفق جداول منتظمة للسفر. ومن سائقي العربات المذكورة أسماؤهم في سجلات محي الدين: صالح الجاعوني، ومحمد الأسمر (أبو عبد)، وموسى شرف، وأبو أحمد العوج (وهو ألباني تزوج من السيدة فاطمة ابنة مصطفى أبو غوش). ونقلا عن ألكزاندر شولش (صفحة 171) فقد كان هناك عام 1877 حوالي 10000 حاج و4000 طن من البضائع المستوردة وحوالي 1500 طن من البضائع المصدرة ويوجز الجدول- 40 وسائل النقل ورسوم الطرق في تلك السنة كما يوجز الجدول رقم – 41 دخل الحكومة السنوي من تجارة النقل بين يافا والقدس سنة 1881[30].

[30] الكزاندر شولش.

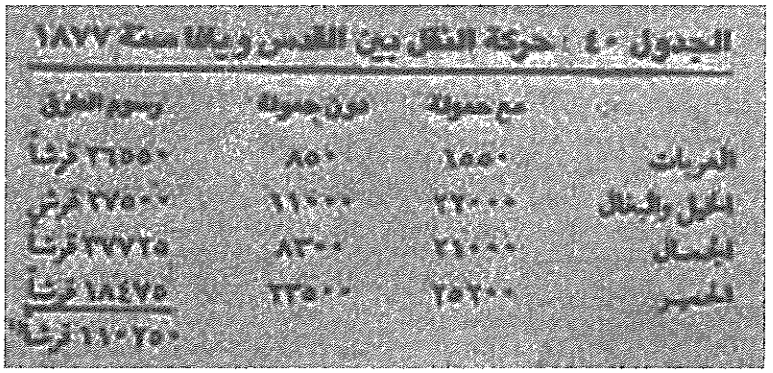

الجدول ٤٠ : حركة النقل بين القسن وبيلا سنة ١٨٧٧

	مع حمولة	دون حمولة	رسوم الطرق
العربات	١٨٥٠٠	٨٥٠٠	٢٦٥٥٠ قرشا
الخيل والبغال	٢٢٠٠٠	١١٢٠٠	٢٧٥٠٧ قرش
البغال	٢١٠٠٠	٨٣٠٠	٢٧٧٢٥ قرشا
الحمير	٢٥٢٠٠	٢٣٥٠٠	١٨٤٧٥ قرشا
			١١٠٢٥٠ قرشا

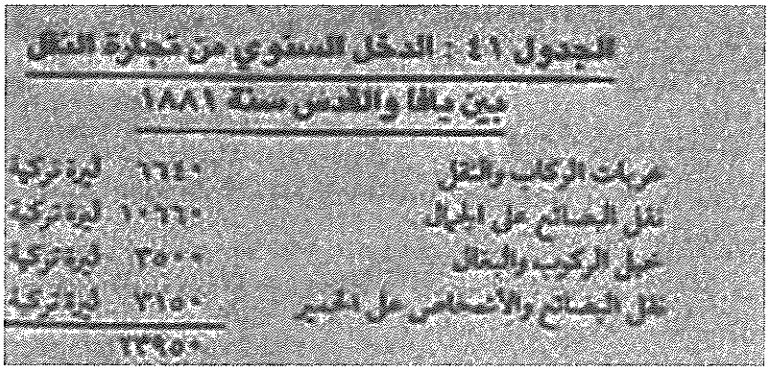

الجدول ٤١ : الدخل السنوي من تجارة النقل بين ياڤا والقدس سنة ١٨٨١

عربات الركاب والنقل	١٦٤٠	ليرة تركية
نقل الصناع على البغال	١٠٦٦٠	ليرة تركية
خيل الركوب والنقل	٣٥٠٠	ليرة تركية
نقل الصناع والأشخاص على الحمير	٢١٥٠	ليرة تركية
	١٣٢٥٠	

اشتغال محي الدين بالالتزام

(1) الالتزام أو جباية الأعشار: يتحدث كتاب تلخيص الحقوق الموضوعة للقانوني سعادتلو كاظم بك أفندي مدير مكتب الحقوق الشاهاني (ترجمة كمال قزح –عام 1896م) عن الالتزام أو جباية الأعشار فيقول إن العشر هو المبلغ الذي يستوفى عن المحصولات الزراعية ويؤخذ عينا بوزن المحصول وكيله، أو

بدلا برضاء الطرفين حين الاستيفاء. وأحيانا يؤخذ العشر بالتخمين والتقدير وذلك إن كان العرف في تلك المنطقة هو اتباع ذلك[31].

(2) الملتزم: يكون الملتزم من تبعة السلطة السنية ولا يكون من مأموري الدولة ولا من أولادهم ولا من أقاربهم المشتركين معهم بالتجارة. وعند حلول وقت المزايدة يوفد مأمور من طرف الوالي إلى هيئة مجلس الإدارة ليكونوا مأمورين على مزايدة الأعشار العلنية.

(3) كيفية المزايدة: يجب على من يرغب التزام الأعشار أن يراجع مجلس الإدارة قبل أسبوع واحد ويبين باستدعاء خاص المبلغ الذي يريد أن يلتزم بقدره ولا حاجة لذكر أسماء القرى التي يرغبها. ولا يقبل من طالب الالتزام الزيادة على قلم من أقلام الأعشار إلا قدر ضعفي قيمة أملاكه وأملاك كفيله معا.

ويستحضر إلى مجلس الإدارة كل من زاد في قيمة أعشار القرى التي وصلت إلى حدها الموافق في المزايدة بالنظر إلى درجة المحصول في السنة الحالية والسابقة وما قبلها من الفيض والبركة ويكلف بالضم أو بكف اليد. فإذا زاد يعاد المزاد، ومن يستنكف يكتب أنه كف يده. وبعد انقطاع الرغبات وظهور أنه لم يبق في قائمة المزايدة أحد بدون أن يكف يده، تعطى القائمة إلى الدلال لينادي عليها في صفة دار الحكومة وساحتها بأنه سيسحب الآن قرار دادة عليها بمبلغ كذا وكذا. فإذا لم يوجد من يزيد بعد هذا الإعلان، يكتب الطالب

[31] كتاب الحقوق الموضوعة. القاضي كاظم بك مدير مكتب الحقوق الشاهاني، في تعريف الالتزام.

على القائمة في حذاء اليكون "قبلت بمبلغ كذا" و يؤرخ ويوقع عليه، وإذا كان له كفيل كتب "وأنا كفلته".

تكتب أسماء القرى التي سحب عليها قرار دادة في يوم واحد على ورقة مساء اليوم الذي سحب فيه القرار دادة وتعلق خارج باب الحكومة في مكان ظاهر. ويقبل عليها الضم (أي زيادة المبلغ) بمقدار لا يقل عن ثلاثة في المائة في مدة أقصاها 48 ساعة. وبعد انقطاع الضمائم، تعاد عملية كف اليد. ثم تكرر العملية ... الخ.

(4) كيفية استيفاء البدلات العشرية: على الملتزم أن يدفع بدلات الأعشار على أقساط متساوية في مدة ستة أشهر اعتبارا من وقت إدراك المحصولات بالنسبة لمحلها.

نعلم من مصادر عائلية أن محي الدين أفندي اشتغل بالالتزام، ولكننا لا نعلم بدقة في أي سنة بدأ بذلك، وان كنت أرجح أن يكون قد بدأ في أواسط السبعينات (1875–1880) بعد أن نجح مشروع عربات النقل وبعد بناء الطابق الثاني في كرم الحاج يوسف في المصرارة، ذلك أنه بين يدي سند يبين الدين على أحد أهالي بيت ساحور مؤرخ في 1295 هجرية وهذا يوافق عام 1878م تقريبا أي عندما كان محي الدين في السابعة والعشرين من العمر. أما بقية ما لدي من دفاتر فأكثرها مؤرخة من 1311 والى 1321 مالية، وهذا يوافق السنوات الأخيرة من القرن. وقد روت لي رئيسة ابنة محي الدين (1880–1956) أن والدها كان في بعض السنين يضمن الأعشار عن قرى من رام الله وقضائها شمالا، وأحيانا يمتد الالتزام الى قضاء الخليل وبئر السبع جنوبا، وكان لدى محي الدين عدد كبير من المحاسبين الذين اشتغلوا في

التخمين وتحصيل الأعشار. وروت كيف أن قوافل الجمال كانت تأتي محملة بالغلال والسمن والعسل والزبيب فتصل إلى المصرارة في منتصف الليل فيستيقظ أهل الدار الذين كانوا يسكنون في الطابق العلوي على ضجيجها، وبعد إناخة الجمال، يبدأ العاماون في البيت بتنزيل الأحمال ويبدأ الطبخ والنفخ، وبعد أن يتناول القادمون طعامهم ينصرفون قبل بزوغ الفجر.

محي الدين وأعماله التجارية

كثرت أعمال محي الدين افندي وزادت تجارتة ونمت اتصالاته في داخل فلسطين وخارجها. وقد كانت العائلة تحتفظ بصناديق مليئة بدفاتر محي الدين الضخمة وسجلاته العديدة في أحد مخازن البيت في البلدة القديمة، ومع الأسف فقد أتلفت هذه الوثائق الهامة في أواخر الثلاثينات وأوائل الأربعينات من القرن العشرين نتيجة للجهل وعدم معرفة قيمتها. وفي عام 1949 عثرت بطريق الصدفة على إحدى تلك الرسائل فاحتفظت بها، وما زلت أحتفظ بها إلى اليوم وقد عرفت منها شيئا عن بعض نواحي نشاطات محي الدين. وهذه هي الرسالة المؤرخة في 5 رجب 1308 هجري وهذا يوافق 14 شباط 1891م.

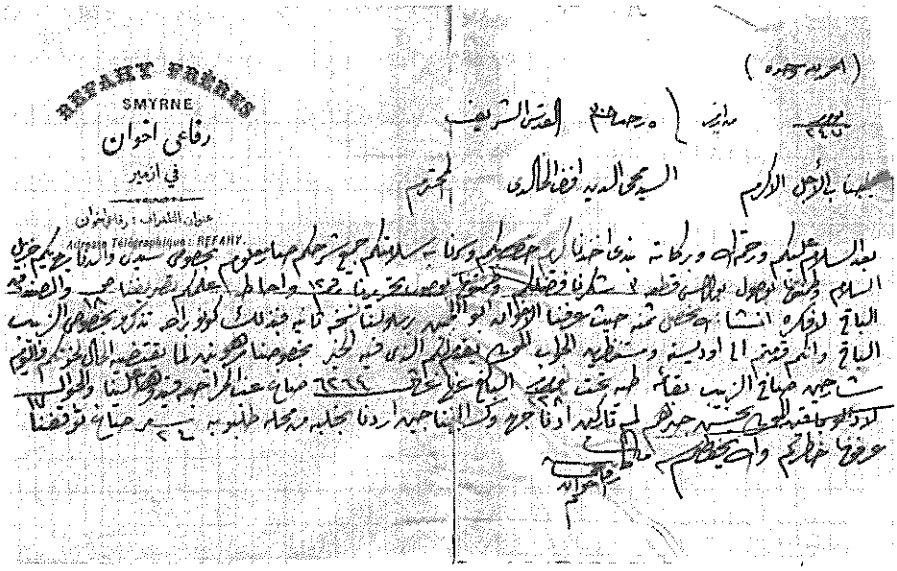

REFAHY FRERES
SMYRNE

رفاعي أخوان

في إزمير

عنوان التلغرلف – رفاعي أخوان
Adresse Telegraphique: REFAHY

الحمد لله وحده

نومرو 247 من ازمير في 5 رجب سنة 1308 إلى القدس الشريف

جناب الأجل الأكرم السيد محي الدين أفف الخالدي المحترم،

بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته نبدي أخذنا كريم خطابكم وسررنا به سلامتكم. جميع شرحكم صار معلوم. بخصوص سيدي والدنا يهديكم جزيل السلام. وطمنتنا بوصول بوالس قطعة 3 شكرنا فضلكم. وطمنتنا بوصول تحريرنا رقم 12، وأحاط علمكم تصريفنا صفحة 18، والصندوق الباقي لا فكره انشاء الله نحصل ثمنه حيث عرفنا الاخوان أبو الجبين يرسلوا لنا نسخة ثانية. فبذلك كونوا براحة. تذكروا بخصوص الزبيب الباقي وأنكم قدمتم إلى أوديسة ومستنظرين الجواب؛ المولى يقدم لكم الذي فيه الخير. بخصوصنا مرهونين لما يقتضيه الحال لخدمتكم.

واليوم شارحين صافي الزبيب بقائمة طيه تحت نومرو 228 البالغ عنها غرش 6264 صاغ غب المراجعة قيدوها علينا. والحوال 17 لا زالوا باقين،

المولى يحسن جبرهم؛ لم تاركين أدنى جهد. وكسر الفناجين أردنا نجلبه من محله، طلبوا به سعر 24 صاغ توقفنا. عرفونا خطرتكم والله يحفظكم

كاتبه ...

وهذه هي صورة القائمة المرفقة:

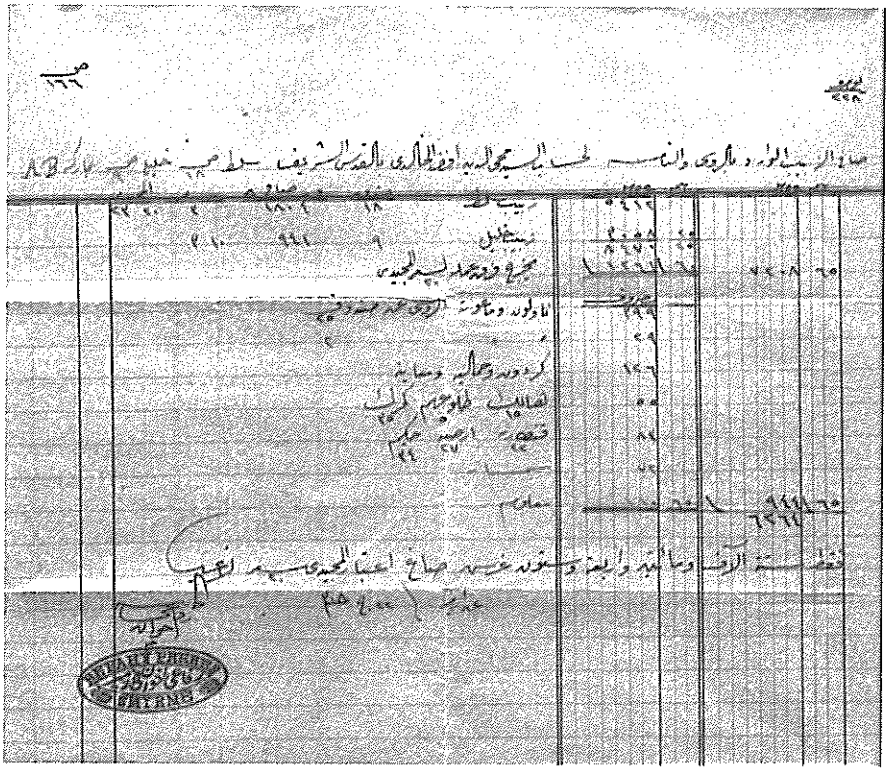

نومرو – 228 ص – 166

صافي الزبيب الوارد بالروسي والنا... لحساب السيد محي الدين أفف الخالدي بالقدس الشريف سلط

ص–18 خليلي ص–9 بماركة AB

5412	زبيب سلط	18	صندوق	صافي 1804	سعر–3	المجيدي	20	23
3058 25	زبيب خليل	9	صندوق	941			10	3
8470 25								
7208 65	60	1261		بخرج فرق عملة لسعر 20 المجيدي				

مصروف

399	ناولون وماعونة الروسي عن 25 صندوق
29	ناولون وماعونة 2 صندوق
126	كردون وحمالية ومعاينة
55	طلوعهم–5 كمرك–35
83	قنطارية–22 أرضية–27 حكيم– 34
72	سمسار
65 944 65 180	معلوم

فقط ستة آلاف وأربعة وستون قرش صاغ اعتبار المجيدي سعر 20 لا غير.

التوقيع والختم[32]

[32] ملاحظة: ابقينا الكتابين الواردين بأعلاه بالصيغة الأصلية كما وردت.

ماذا نقرأ في رسالة رفاعي أخوان؟

على الرغم من أن هذه الرسالة هي الوحيدة التي وجدتها بطريق الصدفة، وهي مكتوبة بتاريخ يوافق 14 شباط 1891 كما أسلفنا، فإننا نستنتج منها ما يلي:

(1) لم تكن هذه الرسالة هي الوحيدة التي تلقاها محي الدين، فهناك إشارة إلى رسالة أخرى كانت قد وصلت إليه من رفاعي هي الرسالة رقم-12. ثم إن هناك بوالص قطعة- 3 كانت قد وصلت لمحي الدين من رفاعي أخوان. ويضاف إلى ذلك إشارة إلى تجار آخرين هم الإخوان أبو الجبين.

(2) لم تقتصر تجارة محي الدين على التصدير، فالإشارة إلى الفناجين في هذه الرسالة تجيز لنا أن نفترض أن محي الدين كان يستورد بعض السلع الأخرى أيضا.

(3) لم تكن علاقة محي الدين التجارية مع إزمير فقط، ففي الرسالة إشارة إلى سفره إلى أوديسة (على البحر الأسود)، ولا أظن أن محي الدين كان يسافر إلى أوديسة للسياحة فقط، فقد أخبرني حفيده فؤاد عبد الغني أن محي الدين كان يرسل بعض رجاله إلى أوديسة وغيرها بمهمات تجارية باستمرار.

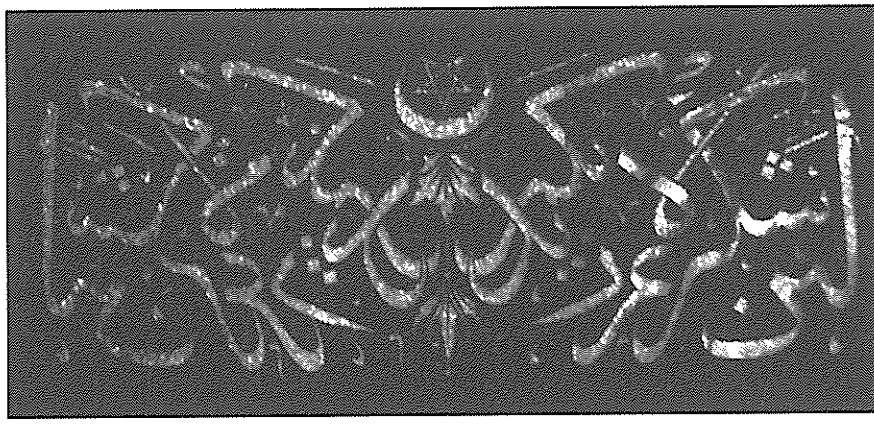

صورة للوحة كانت معلقة في مكتب محي الدين – 1895

وفاة محي الدين

لقد توفي محي الدين بعد مرض (الاستسقاء) الذي لم يمهله طويلا. كان ذلك يوم السابع من رجب سنة 1323 هجرية الموافق السابع من أيلول 1905م. وهكذا فقد قضى عن عمر يناهز الرابعة والخمسين بعد حياة قصيرة نسبيا ولكنها حافلة بالعمل وروح المبادرة والنشاط. وعند وفاة محي الدين ترك ديونا كثيرة ظلت في ذمم الناس لسنوات طويلة، وظل الورثة يجمعون ما يستطيعون منها إلى عام 1910/9 تقريبا.

أما بالنسبة لشركة النقل فقد استمرت بالعمل إلى أن صفيت نهائيا بعد حوالي خمس سنوات في شباط من عام 1910 وجرى جرد نهائي لموجوداتها فكانت كما يلي:

السروج:

العدد		العدد	
7	سروج رجالية أول باب	1	سرج نسائي أول باب
3	سروج رجالية ثاني باب	3	سروج نسائية ثاني باب
11	سرج رجالي ثالث باب	1	سرج نسائي ثالث باب
4	سرج عربي للخيل	2	سرج عربي/ معركة

المعدات:

10 لجم ثوالث 7 مشمعات عربية 6 مخالي جدد

8 مخالي 10 لجم جوز افرنجي 11 (جوز فوانيس) أول باب

10 لجم عربية 10 زخمات وسروعة جدد

45 رشمات

الخيول والأبقار:

20 حصانا 17 بقرة مع سبعة عجول

ماذا نقرأ في قوائم جرد الإسطبلات؟

(1) أن النقل كان على العربات للسفر بين المدن القريبة وللمسافات الطويلة.

(2) وجود العديد من السروج الرجالية والسروج النسائية يدل على تسيير مجموعات من السياح الرجال والنساء كانت تسافر على ظهور الخيل إلى المغطس على نهر الأردن وإلى غيرها من المواقع التي لم تتوفر بينها الطرق الممهدة للعربات. ولا بد أن تلك المجموعات كانت تحتاج إلى مرافقة حراسة قوية لتأمين سلامة السائحين.

(3) وجود الفوانيس يدل على أن السفر كان يتأخر أحيانا لساعات من الليل، كما يدل وجود مشمعات العربات على تأمين السفر حتى في أحوال الطقس المختلفة.

طريق القدس أريحا – 1870

دار المصرارة الصغيرة

بنى محي الدين بالاشتراك مع ابن عمه محمد أمين دار المصرارة الصغيرة التي وضع مخططها المرفق في مارس عام 1899 وانتهي بناؤها عام 1900م. وفيما يلي نسخا عن الخرائط التي وجدتها بين أوراق محي الدين وهي مؤرخة في مارس 1899م.

رسومات وخرائط الدار الصغيرة التي تم بناؤها في المصرارة (1900)

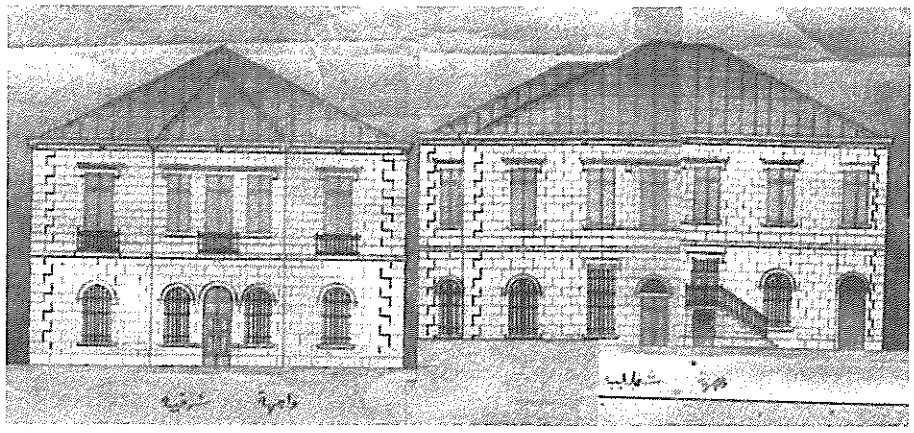

واجهة شمالية

واجهة شرقية

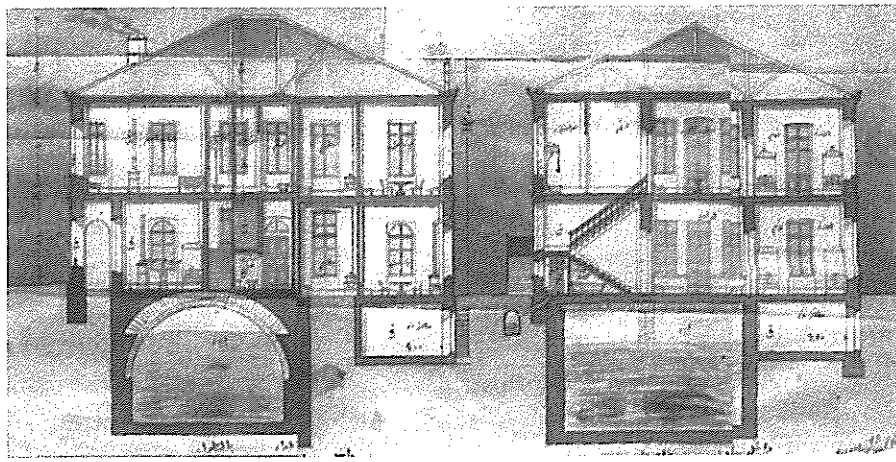

داخل الدار بالعرض　　داخل الدار بالطول

(ويلاحظ البئر داخل الدار)

واجهة قبلية　　واجهة غربية

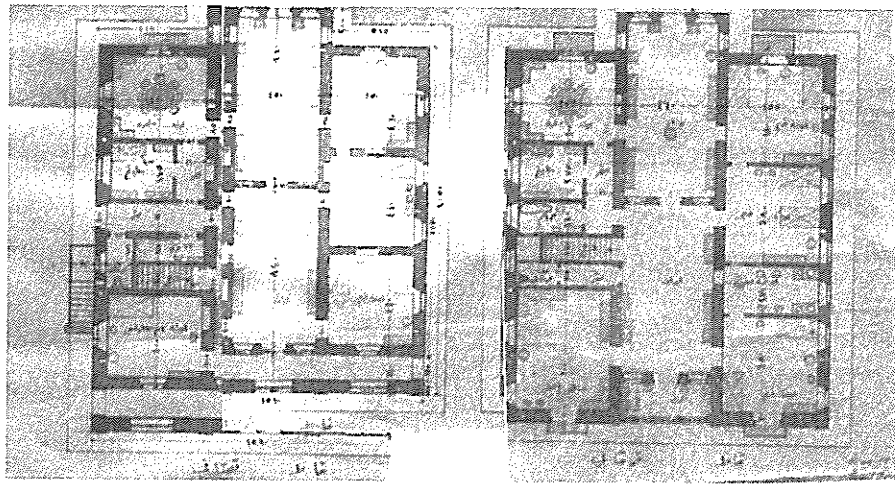

مقطع فوقاني

مقطع تحتاني

أموال وديون متروكة

كان لمحي الدين عند وفاته أراض كثيرة وديون عديدة. وقد باع الورثة الكثير من الأراضي، أما الديون فقد ضاع أغلبها. وقرأت في آخر دفاتر التصفية المعدة عام 1910 تقريبا أنه كانت لمحي الدين بعض الديون على قرية ارطاس عن أعشار عام 1318 مالي (1903م) - مبلغ 5461,10 قرشا. وعن أعشار أعوام 1319 و1320 و1321 مالي (1905/1904)- مبلغ 20018,30 قرشا. والديون الباقية على قرية الخضر عن أعشار 1320 مالى (1905م)- مبلغ 3346,20 قرشا. (علما بأن أكثر أوراق محي الدين كانت قد أتلفت كما أسلفنا).

تحالفات محي الدين

(1) كانت طبيعة أعمال محي الدين وخصوصا شركة النقل تقتضي عقد تحالفات مع شيوخ الجبل كآل عبد الهادي في الشمال لتأمين سفر العربات ومجموعات السائحين المتجهة إلى الناصرة وطبريا.

(2) وأما العربات التي كانت تتنقل بين القدس ويافا، فكان لابد من عقد تحالف مع السيد مصطفى أبو غوش الذي كان مكلفا من الدولة العثمانية بحماية الطرق بين القدس ويافا. وقد ذكر ألكزندر شولش[33] أنه بعد انتهاء الحكم المصري وعودة العثمانيين عين آل أبو غوش رسميا حراسا على الطريق ابتداء من سور القدس حتى الساحل. وظل مصطفى زعيما لآل أبو غوش إلى حين وفاته.

(3) وتطورت العلاقة بين محي الدين ومصطفى لتصبح علاقة صداقة شخصية وحميمة ونذكر أنه بعد وفاة مصطفى ظلت ابنتاه فاطمة ونفيسة تعيشان في بيت محي الدين وأبنائه إلى حين وفاتهما. إذ توفيت فاطمة أبو غوش عام 1940 في بيت الحفيد فؤاد عبد الغني في القدس وتوفيت شقيقتها نفيسة في بيت رئيسة ابنة محي الدين في مصر عام 1953.

---

[33] شولش، عن دور مصطفى أبو غوش ومدى تأثيره على التحول الاقتصادي في الستينات والسبعينات من القرن 19.

عرب السواحرة

كانت تربط بين محي الدين وعرب السواحرة (الذين يقطنون جبل المكبر) علاقات عمل وطيدة في تلك الفترة وكثيرا ما اعتمد عليهم محي الدين في حراسة أملاكه وتجارته وعربات النقل ومجموعات المسافرين على ظهور الخيل. ولم تنقطع علاقتهم مع العائلة حتى نهاية الاحتلال البريطاني لفلسطين. أذكر منهم حمدان الحسن سرور، الذي لم ينقطع عن التواصل مع العائلة إلى أوائل الخمسينات من القرن العشرين، وأبناء أخيه حسين وحسن ومحمد صياح وهم أبناء زوجته صبحة العبد. كما أذكر ابن عم حمدان وهو أحمد الحسن السرور الذي كان شقيق شيخة التي أرضعت الحفيد فؤاد وظلت هي الأخرى تزور العائلة إلى ما بعد 1948. وكانت شيخة تعتبر نفسها من أهل البيت، فتأتي للزيارة في كل رمضان وتقضي وقتها في الصلاة في الحرم. كما أذكر حسين وعبد الله لوزة وهم من نفس العائلة، وقد عمل آباؤهم لدى محي الدين، فتواصلوا هم مع العائلة بعد ذلك.

بعض صفات محي الدين

(1) كان محي الدين خفيف الروح محبا للنكته، ويروى أن أحد منافسيه في المزايدة على الأعشار، ويقال أنه كان من آل الحسيني، لما يئس من الحصول على الإلتزام في إحدى السنوات قرر أن لا يذهب إلى جلسة المزايدة النهائية فأرسل وكيلا عنه اسمه عواظ ليقف أمام الأفندي وذلك إمعانا منه في إحراج محي الدين. ولما علم محي الدين بنية منافسه، أرسل ليلا عربة خاصة إلى أريحا ليحضر أحد العاملين ليكون ممثلا له يوم المزاد.

(2) وكان محي الدين، مثل الكثيرين من أهل ذلك الزمان، محبا للطرب ومجالس الأنس ويحكى أنه كان له مجلس خاص في المناسبات كالأعياد وغيرها يحييه (الآلاتية)، العازفون، والمغنون مثل زكي أفندي مراد وغيره من مطربي حلب.

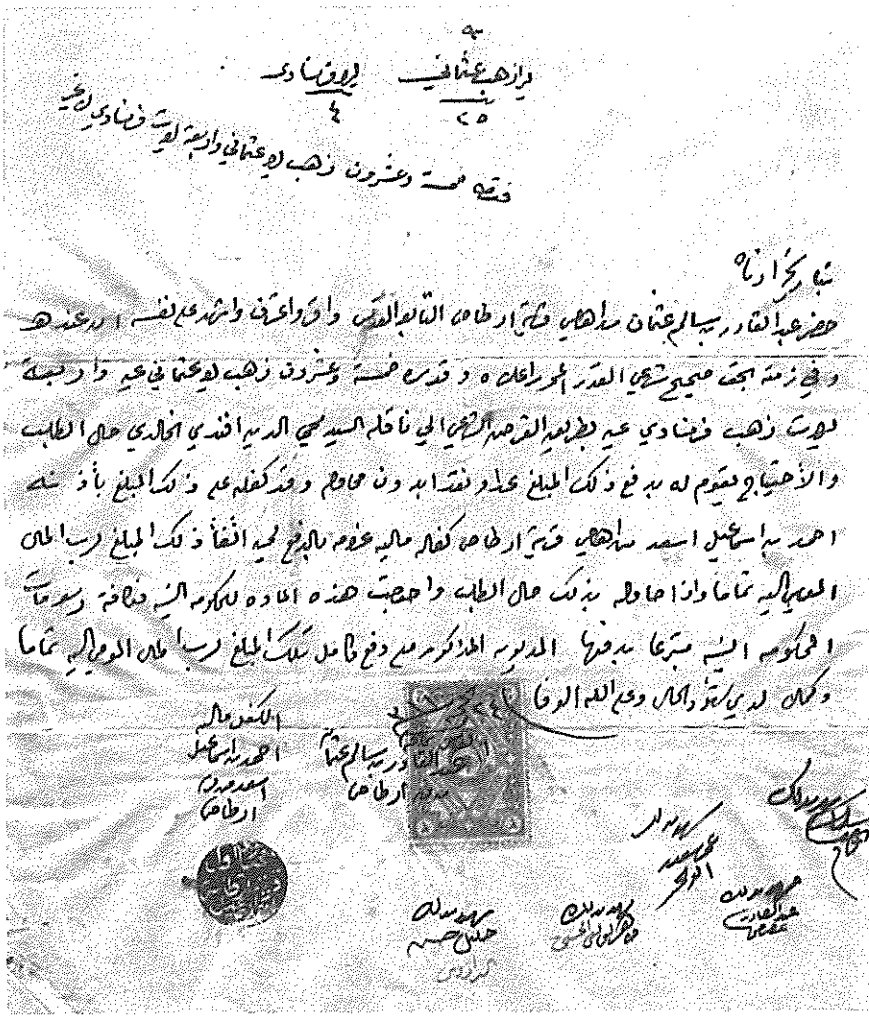

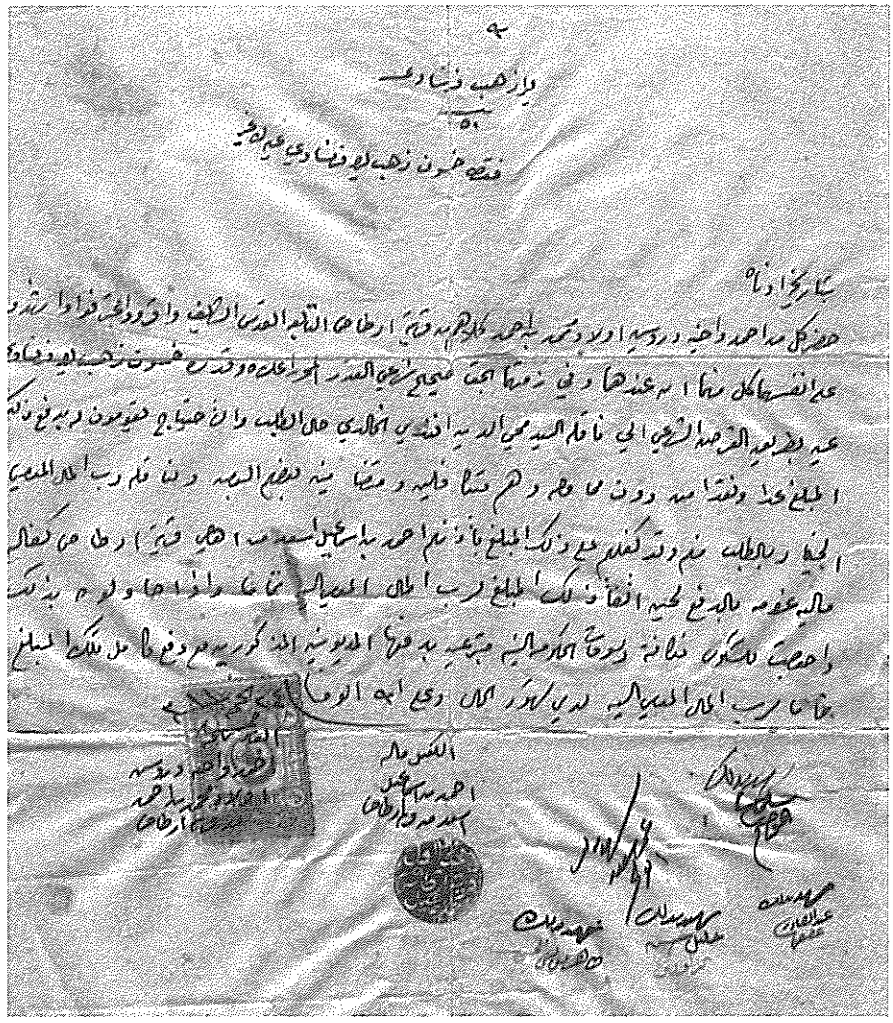

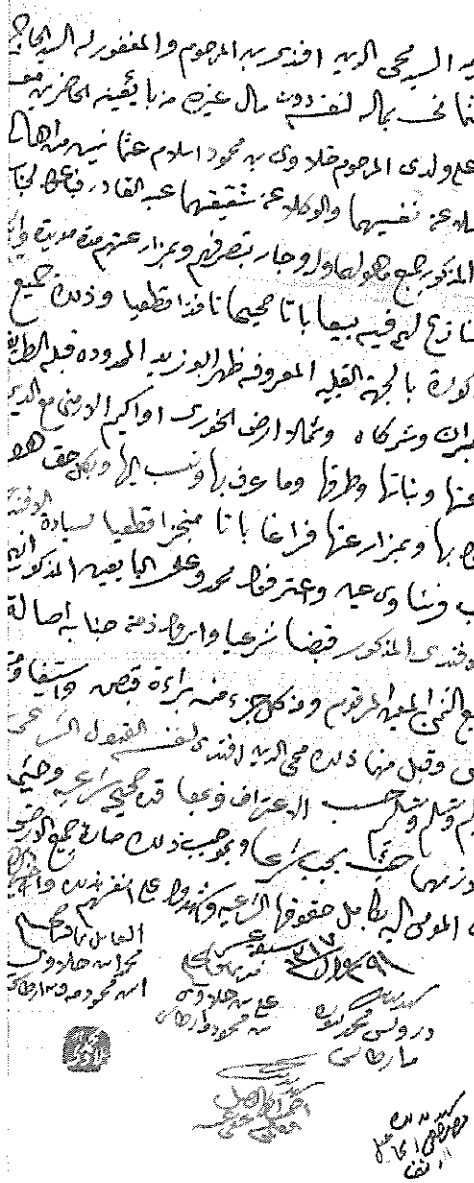

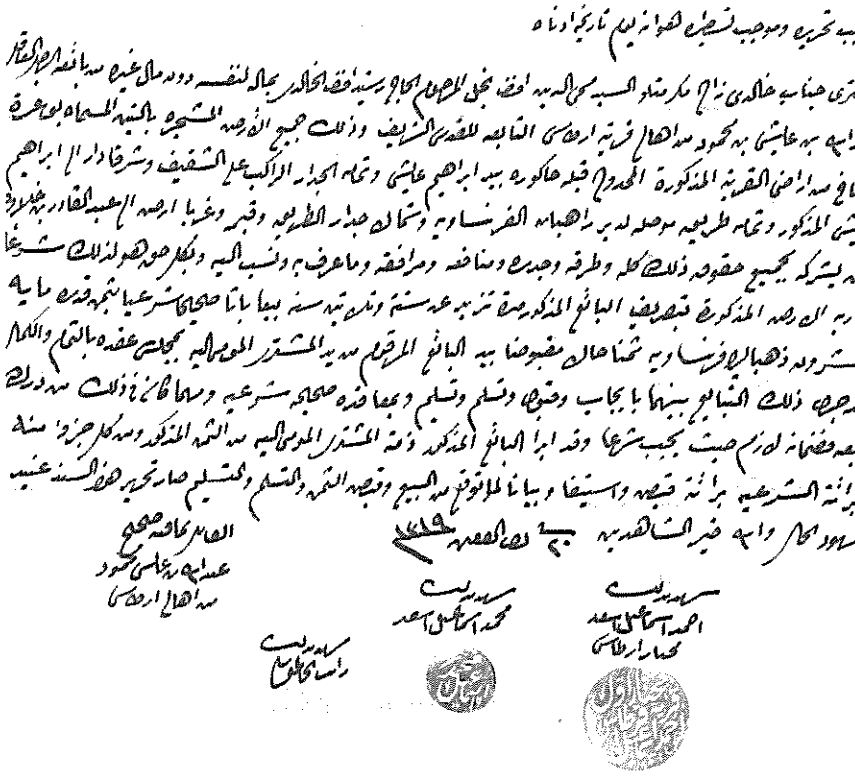

سبب تحريره وموجب تحريره لهذه الحجة بتاريخ أدناه

اشترى جناب عائدي بن إلياس بن مكرم بن إلياس بن يوسف بن يحيى المعلم الحاج يوسف قطان الحارة بحالة نقد رائج مالك عينها بذمة البائع الحاج عبد الله بن عايشي بن محمود بن إسماعيل قرية أرطاس التابعة للقدس الشريف وذلك جميع الأرض المعروفة بالكنبة المسماة بوعرة المناوخ من أراضي القرية المذكورة المحدود من قبلة حاكورة بيد إبراهيم عايشي وتمام الحد الراكب على الشقيف وشرقاً دار إبراهيم عايشي المذكور وتمام طريقه موصلة لبر إهباب الفرسان وشمالاً حد الطريق وقبره وغرباً أرض الحاج عبد القادر بن عبد ربه وبيده وبشركه يجميع حقوقه ذلك كله وطرقه وحدوده ومنافعه ومرافقه وما عرف به ونسب إليه وبكل حق وصوله ذلك شرعاً وعشرة ذهباً إفرنسا وبه ثمناً حال مقبوضاً بيد البائع المرقوم بيد المشتري الموما إليه بمجلس عقده بالتمام والكمال وقد حرر ذلك البائع بينهما بإيجاب وقبول وتسلم وتسلم وبحافظه صحاح شرعية وسلماً فارغاً ذلك بيده وبيعه فضاه لازم حيث يجب شرعاً وقد أبرأ البائع المذكور ذمة المشتري الموما إليه بذمة الثمن المذكور وبه كفل جزءاً منه البراءة الشرعية براءة قبضه واستيفاء وبياناً للواقع بيد البيع وقبضه التام والتسلم والتسليم صار تحريره في الثالث عشر شهر آذار وابريل الفرنجي سنة ١٨٩٩ ألف وثمانمائة وتسعة وتسعين

الفقير عامله صحيح
عبد الله بن علي محمود
من أهالي أرطاس

سمسار البيت
أحمد إسماعيل أحمد
من أرطاس

سمسار البيت
محمد إسماعيل أحمد

سمسار البيت
راشد خليل [illegible]

توفي محي الدين يوم الخميس 1905/9/7

حجة وراثة تظهر تاريخ وفاة محي الدين 7 رجب 1323 الموافق الخميس 1905/9/7 وهي صادرة في يوم العشرين من رجب 1323 هجرية

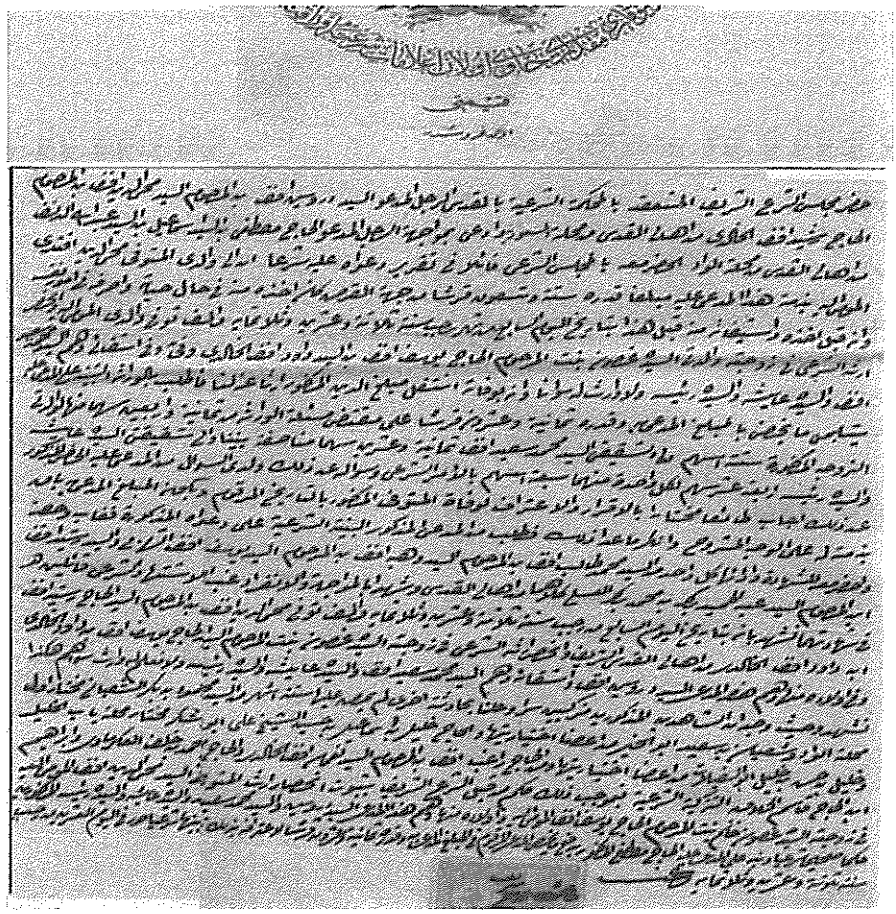

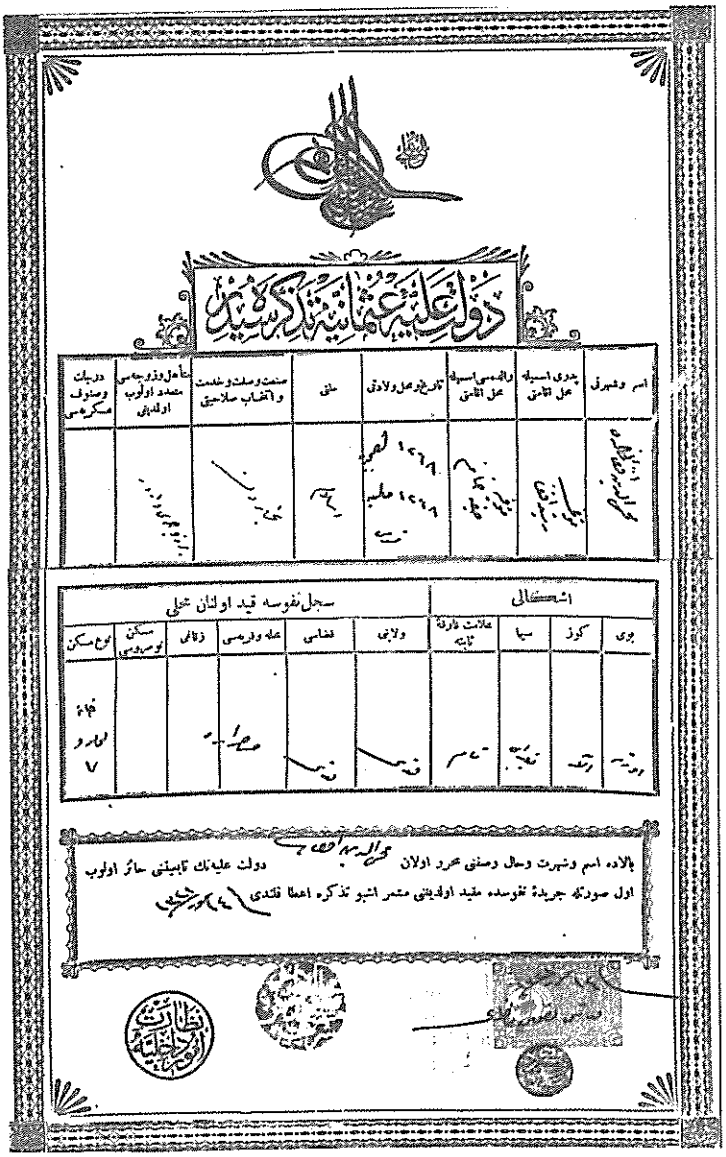
دولت علیه عثمانیه تذکره سیدی

اسم وشهرتی	پدری اسمیله عمل ثانی	والده‌سی اسمیله عمل ثانی	تاریخ مولد ولادتی	ملتی	صنعت وصلت وشغلت واشتغاب سلاحیق	تأهل وزوجه‌سی متعدد اولوب اولدیغی	درجات وصنوف عسکریه‌سی
محمد الدين			١٢٩٩ لغيه ١٢٩٩ عليه				

اشعالی				سجل نفوسه قید اولنان محلی				
بوی	کوز	سیما	علامت فارقهٔ ثابته	ولایتی	قضاسی	علمه ودرسی	زقاقی	نوع مسکن	مسکن نومروسی
								خانه اجاره ٧	

بالاده اسم وشهرت وحال وصنعی محرر اولان محمد الدين دولت علیه‌نك تابعیتی حائز اولوب
اول صورتله جریدهٔ نفوسده مقید اولدیغی متمر اشبو تذکره اعطا قلندی

نظارت امور داخلیه

شهادة ميلاد محي الدين

أبناء محي الدين

درويش أفندي

ولد محمد درويش عام 1871م في دار باب السلسلة، فكان الإبن الأكبر لمحي الدين. ونحن مع الأسف لا نعرف الكثير عن طفولته. أما في شبابه، فقد كان درويش أفندي (قبضاي و شيخ شباب). وقد توفي وهو في أوج شبابه (44 عاما) وكان أكبر أبنائه الذكور (محي الدين) لم يبلغ السابعة من العمر، وقد خلف من الأبناء ثلاثة ذكور هم محي الدين وعبد الله وسليمان. ومن الإناث ثلاث بنات هن: حسب وزهية ورسمية. وكل ما أخبرتني به ابنته زهية أنها تتذكر أنه كان يلبس حذاء أحمر اللون.

محي الدين

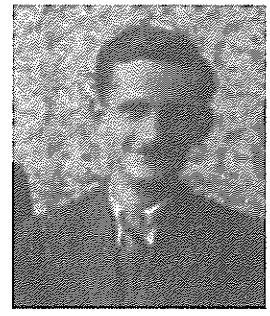

عبد الله

سليمان

عبد الغني بن محي الدين

ولد عبد الغني بباب السلسلة عام 1289 مالي (الموافق 1289 هجري) وذلك حسب شهادة ميلاده المؤرخة في 1299 مالي. وتاريخ ميلاده يوافق يناير 1874م. وهو الإبن الثالث لمحي الدين حيث أن أخته عائشة مولودة في يناير 1873م.

دراسته وشهاداته

أتم عبد الغني دراسته في القدس عام 1895م ثم انتقل إلى بيروت حيث مكث هناك حوالي السنتين (1896 و1897) ومن ثم سافر إلى الآستانة حيث التحق بمكتب الحقوق عام 1897م وتخرج منه عام 1901. وكان عبد الغني محبا للدراسة فتفوق دائما في دروسه. واحتفظت عمته حسب شقيقة محي الدين لأمه بأكثر الشهادات المدرسية التي حصل عليها عبد الغني كما احتفظت ببعض الرسائل التي كتبها لها عبد الغني من الآستانة. وقد ذكر في رسالة كتبها إلى عمته في 1 محرم 1317 هجرية (1900م) أنه التحق بمحكمة التمييز في اسطنبول. ومحكمة التمييز هذه كانت محكمة عليا لكل المملكة، ووظيفتها أن تدقق في الأحكام التي ترفع إليها وتصلح كل خطأ يقع في الحكم وكل مخالفة قانونية. وأعتقد أن هذه الشهادات التي وصلت إلينا هي بالإضافة إلى أنها تعطي فكرة عن مستوى عبد الغني الدراسي، فهي سجل نادر لما كان يدرس في مدارس تلك الأيام.

وفيما يلي بعض النماذج لشهادات عبد الغني وأوراقه الأخرى:

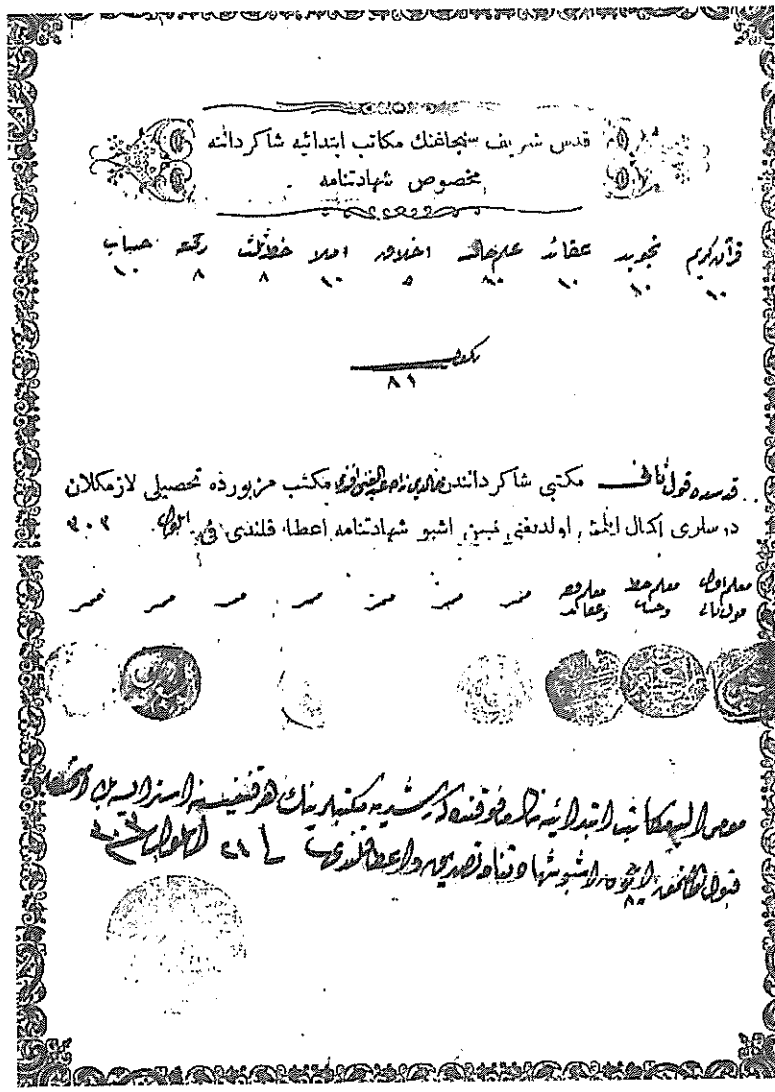

21 أيلول 1303 مالي – حوالي 1888م

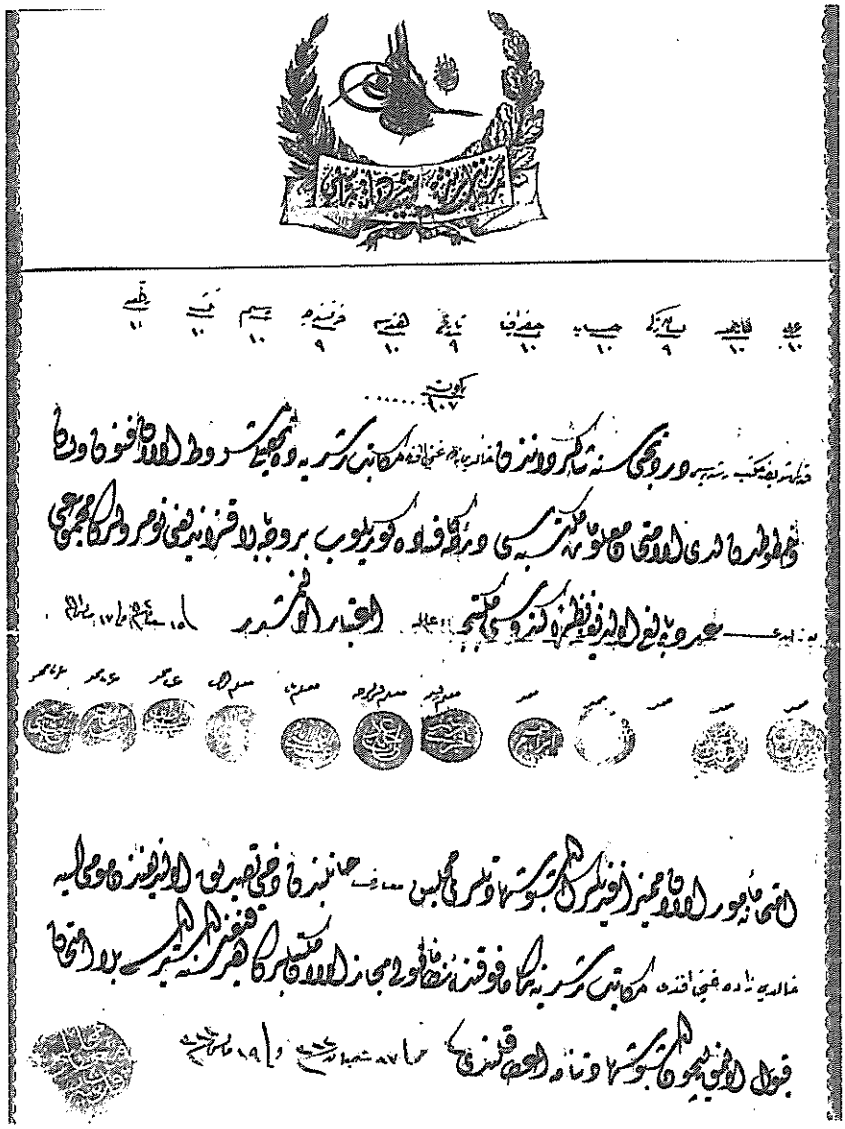

17 شعبان 1312 هجري – 13 شباط 1895م

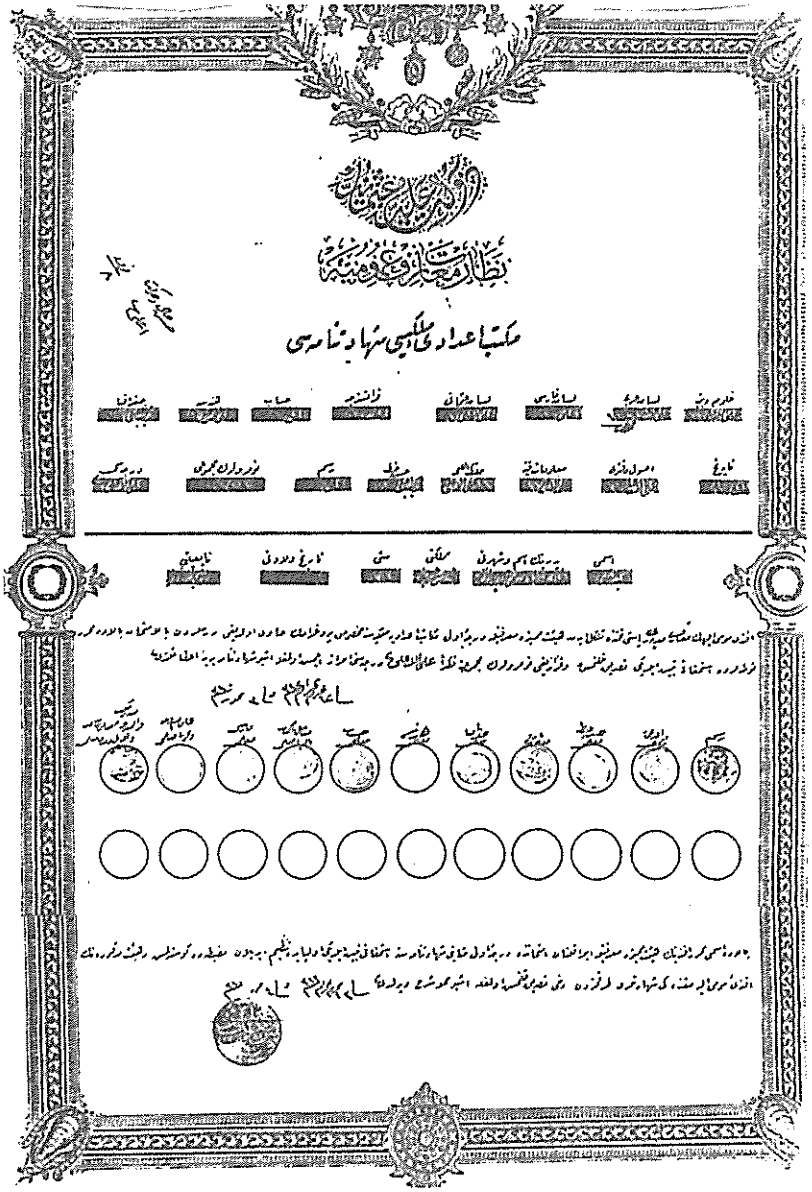

12 محرم 1312 هجري – 16 تموز 1894م

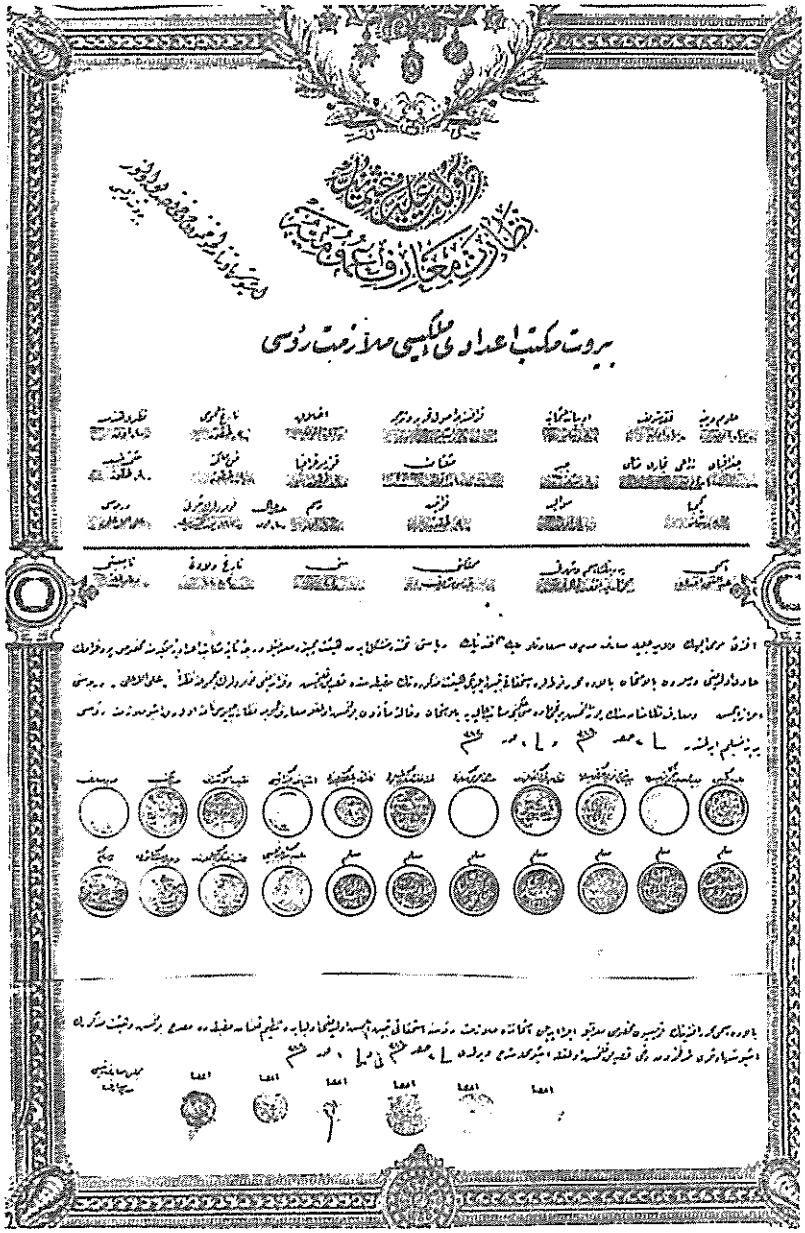

2 صفر 1314هـ الموافق 15 تموز 1896م

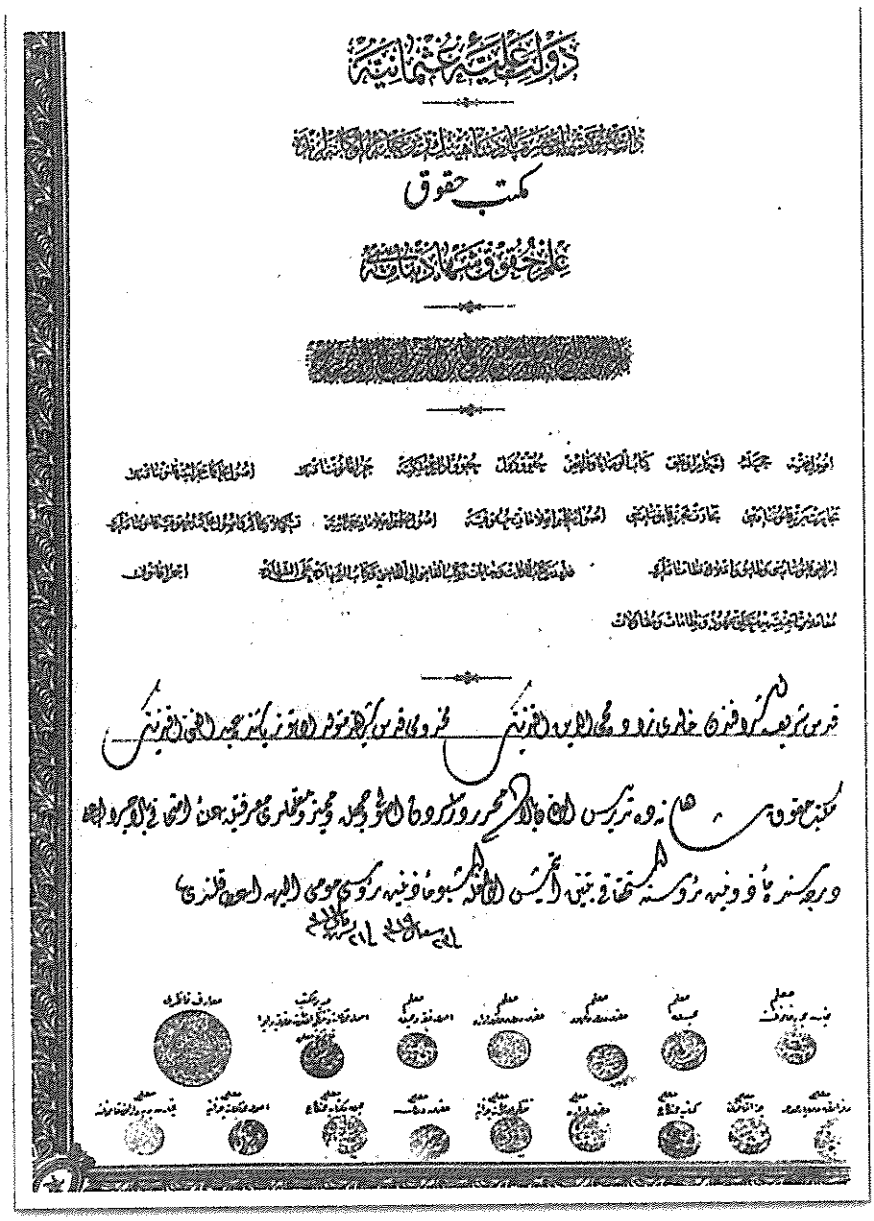

شهادة مكتب الحقوق – 21 نوفمبر 1317 مالي

23 شعبان 1319 هجري – 5 كانون أول 1901م

أوراق أخرى

تذكرة المرور: وهي بمثابة أوراق ثبوتية للتصريح بالسفر صادرة عن اسطنبول في 13 جمادى الأول سنة 1319 هجري، الموافق 15 آب 1317 مالي.

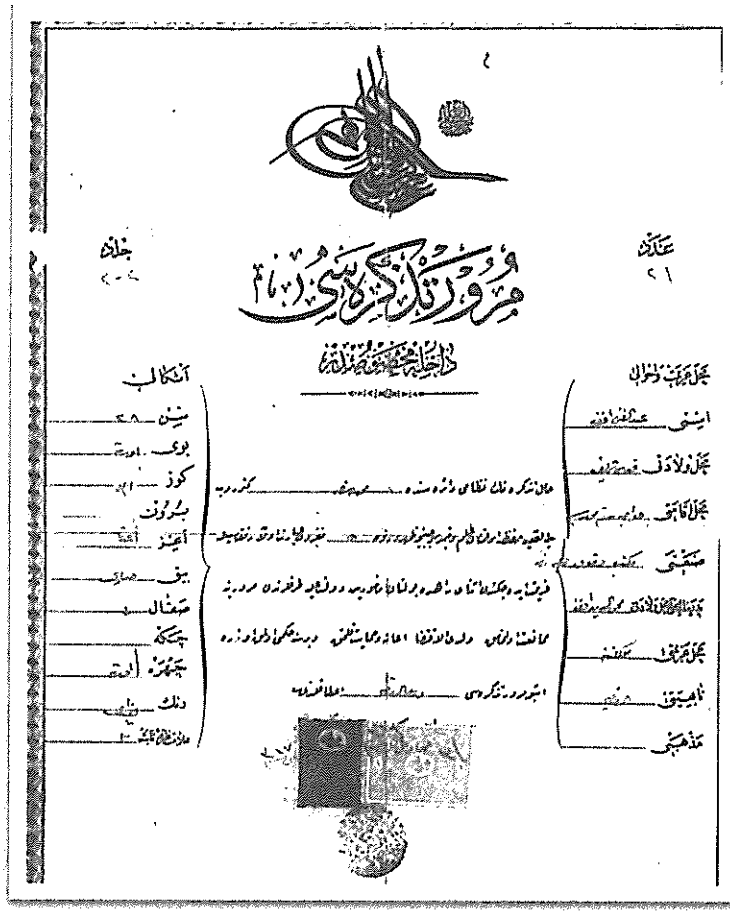
مرور تذكره سی

ويلاحظ أنه على شهادة ميلاد عبد الغني نفس عنوان محل الإقامة – خواجة رستم محله سي ظ مقابل باب همايون جاده سي 158 وتاريخ 28 تشرين ثان 1315 مالي.

زواجه

تزوج عبد الغني عام 1897م من السيدة حسيبة ابنة الشيخ حامد البديري (1300 – 1326 هجرية). وهي شقيقة كل من الدكتور عمر الفاروق البديري والمحامي الحاج توفيق والسيد أحمد صبحي البديري الذي انضم فيما بعد إلى جيش الشريفين في الحجاز كما سيأتي ذكره. وقد رزق عبد الغني بابنه البكر محمد عربي عام 1898م وفي عام 1900 رزق بابنته رقية التي توفيت في سن الطفولة. ثم رزق بمحمد فؤاد في 14 ربيع الأول 1320هجرية (الموافق السبت 21 / 6 / 1902) وذلك حسب شهادة الميلاد التركية.

لم يكن من العادة تعليم البنات في ذلك الزمن، ولكن حسيبة درست قبل الزواج عند الشيخة زهرة، المعلمة التي كانت معروفة عند أهل القدس في تلك الأيام، فتعلمت القراءة والكتابة وحفظت شيئا من القرآن، ثم درست في مدرسة مار يوسف فتعلمت اللغة الفرنسية كما تعلمت بعض الأشغال اليدوية، وما زلت أذكر في صالون البيت القديم قطعتين مشغولتين من الستان الأبيض عليهما من الرسوم المدهونة بألوان زيتية فاتحة يغلب عليها اللون الزهري واللون الرمادي والأخضر الفاتح، وكان يقال أنها من شغل حسيبة.

دولت علیه عثمانیه تذکره سیدر

اسم و شهرتی	پدرینك اسمیله محل اقامتی	سنی	مسقط و محلت و معیشتی	تاریخ و محل ولادتی	مذهبی	انتساب صلاحیتی
عربي		١	٠	١٣١٧ قدس	اسلام	

اشكال				محل اقامتی			
بوی	کوزلری	یقی مقدار	علامت بارزه ثابته	جلکث	دائره	محله	ذقاق	مسکن و سرویسی	نوع مسکن
٠	٠	٠	٠	قدس					خان

بالاده اسم وشهرت وحال وصفتی محرر اولان عربي بن عبد الفتاح
دولت علیه‌لك تابعیتی حائز اولوب اول صورتله جریدهٔ نفوسه
مقید بولندیغنی مشعر اشبو تذکره اعطا قلندی ١٣١٨

شهادة ميلاد الإبن الأصغر – فؤاد

رسائل عبد الغني

لقد عثرت على بعض الرسائل التي أرسلها عبد الغني من اسطنبول إلى القدس وكلها رسائل شخصية، أكثرها موجه إلى عمته حسب، ومنها رسالة إلى خاله محمد أمين على نفس ورقة رسالة عمته ورسالة واحدة إلى والده. وواضح أن جميع الرسائل مأخوذة من أوراق حسب خانم؛ ذلك أنني لم أعثر على أية رسائل وجهت إلى أمه، غصون ابنة الحاج يوسف أو لأخيه درويش مع أنه هناك إشارة في بعض رسائله أنه كتب لأخيه درويش؛ ففي رسالة مؤرخة في 4 مارس 1315 (1 ذي القعدة 1316–الموافق 1899/3/13) يذكر عبد الغني أنه بلغه نبأ وفاة والدة زوجته ((السيدة نفيسة كمال)) وأنه كتب لدرويش بعض كلمات التعزية يطلب منه أن يبلغها لزوجته حسيبة على لسانه، ويطلب من عمته حسب تبليغ التعزية لخالنا الشيخ حامد أفندي البديري. وفي رسالة مؤرخة في 29 شوال 1317 هجري (1900/3/2) يصف تأثره لوفاة حماه الشيخ حامد نفسه.

الأحوال السياسية أيام عبد الغني

يقظة العرب

كانت بداية ظهور الوعي السياسي والمطالبة بالتحرر والاستقلال سابقة لبداية بروز الحركة الصهيونية في طورها التنظيمي. وقد تتبع جورج أنطونيوس في كتابه **يقظة العرب** بداية الحركة العربية الحديثة منذ عام 1868 حيث أطلق رواد النهضة الأدبية والعلمية العربية الحديثة صرختهم الشهيرة: "تنبهوا واستفيقوا أيها العرب"[34]. والتي بفضلها أمكن تأسيس أول حركة قومية سرية سنة 1875. كما أنه كان لأفكار عبد الرحمن الكواكبي المناوئة للاستبداد ومطالبته بإرجاع الخلافة إلى عرب قريش وتشديده على دور العرب في الإسلام، صداها البعيد بين المثقفين العرب. ويؤكد الدكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه "تاريخ فلسطين الحديث" أن الدلائل الثابتة المتوفرة تشير إلى أن فلسطين لم تكن معزولة عن التيارات والاتجاهات السياسية الجديدة في المنطقة. ففي أعقاب وقفة عرابي في وجه الغزو البريطاني لمصر بعث القنصل البريطاني في القدس بتقارير سنة 1882 حول تجاوب عرب فلسطين مع ثورة عرابي إلى حد أدى إلى هياج واضطرابات في كل من القدس ويافا فيقول، "... إن المسلمين المحليين يعطفون بعمق على عرابي بوصفه مسلما يحارب ضد المشركين وأيضا وبشكل خاص بوصفه بطل الجنس العربي المسلم ...."[35]

---

[34] عبد الوهاب الكيالي. تاريخ فلسطين الحديث (عن يقظة العرب. صفحة –39).

[35] الكيالي. ردة افعل في القدس لثورة عرابي.

ولا بد أن يكون سكان فلسطين قد شعروا بالأخطار التي صارت تهدد الإمبراطورية بعد احتلال فرنسا لتونس عام 1881 واحتلال بريطانيا لمصر سنة 1882. كما أن أحداث الإسكندرية وثورة عرابي لم تكن بعيدة عن أهل القدس ويافا كما ذكر القنصل، فقد لجأ بعض زعماء الحركة إلى يافا وغزة بعد احتلال مصر. وفي تقرير آخر للقنصل البريطاني في القدس سنة 1884 حول ردة الفعل الفلسطينية لثورة المهدي في السودان يفيد أنه على الرغم من عدم إيمان مسلمي فلسطين بالجانب الديني من حركة المهدي، " فإن هناك تعاطفا مكبوتا مع المهدي كعربي يناضل من أجل جنسه العربي ضد السيطرة العثمانية، وسوء الحكم العثماني." ولا ننسى أنه في خضم كل تلك الأحداث بدأ مشروع الاستيطان الصهيوني وكان قد أخذ صورته المنظمة عام 1882 وعبد الغني مازال في التاسعة من العمر. وكانت القدس أكثر المدن الفلسطينية تأثرا بهجرة اليهود واستملاكهم الأراضي في منطقتها قبل ذلك. فكما أسلفت عند الحديث عن القدس خارج الأسوار في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان المليونير اليهودي موشيه مونتفيوري قد اشترى من أحمد آغا الدزدار قطعة الأرض التي بنى عليها الحي المعروف باسمه عام 1860.

ويروي مردخاي سولومون أن والده وبعض أصدقائه من سكان حارة اليهود في البلدة القديمة خرجوا للنزهة خارج السور في عصر أحد أيام الصيف في السبعينات من القرن التاسع عشر فاستوقفهم الفلاحون الذين كانوا يعملون في الأرض الواقعة بين شارع يافا ومقبرة ماميلا وسألوهم لماذا أتيتم إلى هنا؟

فأجاب والد مردخاي: جئنا لشراء الأرض. وعلى الفور، تحدثوا عن السعر، وتم الشراء، وبني على تلك الأرض الحي المعروف باسم نحلات شبعا[36].

وكانت قد نشأت جمعيات يهودية عديدة في السبعينات لشراء الأراضي وبناء المساكن. ففي عام 1874 بني حي مئة شعاريم (موشيرم) شمال القدس. وفي عام 1892 أنشئت البخارلية[37].

لم تكن الدولة العثمانية تهتم بهذه النشاطات، ولكن المثقفين من أهل القدس لم يكونوا في غفلة عن هذه الصفقات المريبة، وكان أول من حذر من أخطارها يوسف ضياء الخالدي الذي كان رئيسا للبلدية في أوائل السبعينات، والذي يجمع المؤرخون (كما يروي شولش) على أنه من أبرز ممثلي الفكر على مستوى الإمبراطورية العثمانية وليس على نطاق فلسطين فقط. ولما اختير يوسف ضياء مندوبا عن القدس في البرلمان العثماني (مجلس المبعوثان) عام 1876 كان أول إنسان يتحدث عن خطر التملك اليهودي في فلسطين[38]، ولم تأت صرخة يوسف ضياء بالنتيجة المرجوة إلا عام 1882 حين صدر قانون يمنع اليهود من دخول فلسطين أو الهجرة إليها أو شراء الأراضي فيها. ولكن لسوء الحظ، لم تشهد فلسطين حركة مقاومة منظمة للمشروع الصهيوني طوال عهد السلطان عبد الحميد. وفي عام 1891 قدمت فئة من أعيان القدس عريضة إلى الصدر الأعظم عبرت فيها عن رأيها المعارض للهجرة اليهودية

---

[36] شالوم ميوروشاليم لمتخيل.(الكراسة الثانية)

[37] علي سعيد خلف، (عن نشاط المؤسسات اليهودية في البناء خارج سور القدس)، وشمعون لندمان عن نفس الموضوع.

[38] ملاحظات علي سعيد خلف عن موقف يوسف الخالدي من شراء المؤسسات اليهودية للأراضي.

وطالبت بمنعها وتحريم استملاك اليهود للأراضي[39]، (عندها كان عبد الغني في السادسة عشرة من العمر، ويجوز لنا أن نفترض أن والده حضر اجتماع الأعيان أو سمع به أو حضره عبد الغني مع والده للحديث في شأن تلك العريضة على الأقل وذلك لقربهم من يوسف الخالدي.

[39] الكيالي، عريضة وجهاء القدس عام 1891 (صفحة 42).

زعيم المعارضة في مجلس المبعوثان

يوسف ضياء الدين باشا الخالدي

ولسوء الحظ كان الحكم التركي فاسدا ووقف السلطان عبد الحميد في وجه الحركات الإصلاحية وتمادى في الدكتاتورية والظلم بعد تعليق الدستور وحل المجلس في 14 شباط عام 1878، فطرد يوسف ضياء الخالدي من اسطنبول[40] وبدأ رؤوف باشا متصرف القدس في تلك الفترة في الانتقام من آل

[40] شولش، حل عبد الحميد المجلس في 14 شباط 1878 وأبعد يوسف الخالدي وبعض الأعضاء عن اسطنبول. صفحة 285

الخالدي عائلة زعيم المعارضة في المجلس، الذين كما يقول القنصل الألماني في أحد تقاريره كانوا شوكة في عين المتصرف[41]، فأبعدهم عن جميع مجالس الإدارة في منطقة القدس. وزاد كره الناس للحكم التركي في فلسطين في تلك الأيام الاستمرار في زيادة نفوذ قناصل الدول الأوروبية كإنجلترا وفرنسا وألمانيا وتوسع الامتيازات الخاصة التي منحتها الدولة للحركات التبشيرية ولليهود والأجانب في فلسطين[42]. ففي تقرير آخر كتبه القنصل الألماني عام 1884 يقول فيه:

"إن الحكم التركي لا هو بالمحترم ولا هو بالمحبوب ... وإن الأتراك اعتبروا غاصبين وإن الناس ما زالوا يترحمون حتى الآن على الحكم المصري الذي يتمثل في ذاكرتهم على أنه حكم عربي"[20].

وفي عام 1895، عندما كان عبد الغني في الحادية والعشرين من العمر سافر إلى بيروت لاستكمال دراسته قبل الالتحاق بمكتب الحقوق في اسطنبول. وقضى في بيروت حوالي السنتين، التقى عبد الغني خلالهما ببعض الشباب العرب الذين حملوا أفكارا قومية إصلاحية مماثلة لأفكاره التي كان ليوسف ضياء أثر كبير في تكوينها. وأحب عبد الغني قوميته العربية واعتز بها إلى حد ربما أنه جعل أصدقاءه المقربين يلقبونه، ب "أبو عربي". وبالفعل عندما رزق عبد الغني بابنه البكر عام 1899 أسماه "عربي" علما بأن هذا الإسم لم يكن من الأسماء الشائعة في ذلك الوقت، بل ربما كان الإبن عربي هو الطفل الوحيد في القدس الذي حمل هذا الإسم.

---

[41] شولش، انتقام المتصرف من آل الخالدي. صفحة 286

[42] الكيالي؛ عن تقرير القنصل البريطاني سنة 1884.

وفي الفترة التي قضاها عبد الغني في بيروت واسطنبول تابع مع غيره من الشباب العرب نشاط الحركة الصهيونية خصوصا بعد المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في بازل في آب 1897، ولا بد أنهم تحدثوا وناقشوا أخبار المقابلة التي تمت في القدس بين هيرتسل والقيصر الألماني فيلهلم في (تشرين الثاني 1898) حيث رجا هيرتسل القيصر الألماني التوسط لدى السلطان عبد الحميد لتبني المشروع الصهيوني، ذلك أنه في تلك الفترة بالذات أظهر أحد أعلام فلسطين البارزين، يوسف ضياء الخالدي، اهتماما غير عادي بمخططات زعيم الحركة الصهيونية، وكتب يوسف رسالته الشهيرة المؤرخة في (آذار 1899) لهيرتسل والتي طالب فيها أن تتوقف الصهيونية عن محاولات تحقيق مشروعها بالمعنى الجغرافي، "وترك فلسطين بحق الله بسلام."[43]

ولا بد أن كل هذه الأمور كانت تقلق عبد الغني كما أقلقت كل الشباب المثقفين في تلك الأيام. وعبد الغني الذي كان على اتصال مع عمه يوسف ضياء في اسطنبول لابد وأن يكون قد تحدث معه في تلك الأمور. على كل حال، لا توجد لدي سوى إشارة واحدة في رسالة عبد الغني الوحيدة التي بين أيدينا والتي كان قد أرسلها لوالده في 18 مارس 1315 مالي الموافق 1899 يعبر فيها عن قلقه الذي وصل إلى "درجة لم يرها من قبل نظرا لما هو جار في القدس من أخبار العالم المكدرة". فما الذي كان جاريا في القدس من الأخبار المكدرة سوى مقابلة هرتسل مع القيصر الألماني.

---

[43] شولش، رسالة يوسف ضيا الخالدي إلى هرتسل. صفحة – 289

جزء من رسالة عبد الغني لوالده أرسلها من اسطنبول إلى القدس. وهي مؤرخة في 18 مارس 1315 مالي وهي تقريبا في عام 1899م (ويلاحظ في السطرين الأخيرين الجملة المشار إليها أعلاه عما كان جاريا في القدس من أخبار العالم المكدرة).

لما فشلت مقابلة هرتسل للإمبراطور الألماني ولهالم الثاني في إسطمبول حاول الاستمرار في استكمال مساعيه في القدس ويرى هرتسل في الصورة واقفا يحدث الإمبراطور في حفل استقبال لم يدع إليه أقامته الجالية اليهودية في القدس يوم 29 أكتوبر 1898 للإمبراطور

امبراطور ألمانيا يزور القدس – عام 1898

وفاة عبد الغني

عندما رجع عبد الغني من اسطنبول إلى القدس بعد إنهاء الدراسة في مكتب الحقوق عام 1900 كان يحمل (فرمان) توظيف في إحدى ولايات الدولة وذلك حسب ما كانت الدولة العثمانية تتبعه من توظيف أبناء العائلات في وظائف مرموقة في الولايات. غير أن والده لم يوافق على ذلك، والسبب ربما يكون هو الوضع الصحي الذي كان به عبد الغني ساعة وصوله.

لا نعرف بالضبط سبب وفاة عبد الغني، ففي تلك الفترة كثرت المؤامرات، ونشط العملاء في دس السم للخصوم. وعندما وصل عبد الغني إلى القدس لم يكن في صحة جيدة، فما الذي حصل بالضبط؟ ما الذي حصل قبل مغادرته اسطنبول؟ أو بعد مغادرتها بقليل؟ كل هذه الأمور ظلت غامضة. فلقد اشتد

المرض عليه بعد وصوله. وتوفي بعد ذلك بقليل في تموز عام 1902 عن عمر يناهز الثامنة والعشرين، ففجعت وفاته الجميع الذين فوجئوا بها. وروت لي شقيقته رئيسة (وربما يكون ذلك نقلا عن زوجها موسى شفيق) أن يوسف ضياء الخالدي عبر عن حزنه في ذلك اليوم قائلا، "وفاة هذا الشاب خسارة كبيرة، والله إني لأفديه بخمسة شباب من آل الخالدي".

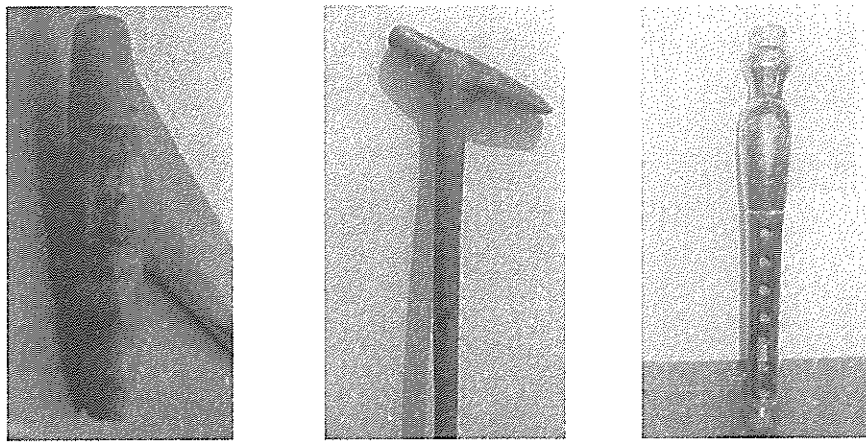

من مقتنيات عبد الغني الشخصية: صفارة خشبية طولها حوالي 28 سم، وعصا خشبية مقبضها على شكل شيخ ملتح يعتمر الطربوش
لا يتجاوز طول العصا 56 سم

محمد سعيد بن محي الدين: (1882-1918)

هو أصغر أبناء محي الدين الذين ظلوا على قيد الحياة وشهد دخول الجيش الإنكليزي أرض فلسطين، وكان له أخ أصغر منه هو عبد المحسن توفي في سن الصبا. ولا نعرف شيئا عن طفولة سعيد أو صباه، حيث أنني لم أجد شيئا من أوراقه أو أوراق أمه غصون، وقد قيل أن شقيقته رئيسة حضرت يوم وفاته وأخذت كل ما يخص أخيها ووالدتها من الأوراق وحتى المقتنيات الشخصية. ظلت العائلة، كما ذكرنا من قبل، تسكن في المصرارة. ولم تسكن باب السلسلة في البلدة القديمة إلا قبل دخول جيش الاحتلال البريطاني بشهر أو شهرين.

الحرب العالمية الأولى (1914-1918)

على الرغم من أن الدولة العثمانية لم تدخل الحرب إلى جانب ألمانيا والنمسا إلا في نوفمبر 1914 إلا أنها أعلنت النفير في آب من تلك السنة. فوردت إلى القدس أوامر من الباب العالي بإعلان نفير الحرب (السفر برلك). وفي صباح اليوم التالي دقت الطبول ونفخ في الأبواق وعلقت على الجدران منشورات تعلن فيها الأحكام العرفية وأمر الناس من سن العشرين إلى سن الأربعين بمراجعة دوائر التجنيد وأنذر المتخلفون بالعقوبات الشديدة. وفي ذلك اليوم كان محمد سعيد في الثانية والثلاثين من العمر. ولكي يتجنب الملاحقة من دائرة التجنيد استصدر شهادة ميلاد مزورة لابنة له مزعومة اسمها (مظفر

خانم) حسب شهادة الميلاد التي لدي. وسبب استصدار تلك الشهادة، أن المتزوجين ومن لهم أطفال كانوا يعفون من التجنيد.

يظهر في الصورة من اليمين إلى اليسار: أحمد جمال باشا قائد الجيش الرابع ثم أنور باشا ناظر الحربية ثم مفتي القدس الشيخ كامل أفندي الحسيني (شقيق الحاج أمين) – والصورة في الحرم بجوار مسجد الصخرة عام 1916[44]–

[44] عن كتاب عام الجراد – سليم تماري.

ولقد أخبرني فؤاد عبد الغني نقلا عن عمه سعيد أن فلسطين وأهلها دفعوا ثمنا باهظا نتيجة الحرب في الأرواح والأموال ومصادرة المواشي وقطع الأحراش والأشجار المثمرة من أجل الوقود. وبما أن البلاد صارت ساحة قتال ضد الإنكليز المسيطرين على مصر فقد عانت غزة ويافا من الخراب والتدمير وقامت السلطات العثمانية بترحيل السكان عن تلك المناطق. وأضيفت إلى ذلك كوارث الطبيعة حيث غزا الجراد (1915–1916) فلسطين وأنهك الأهل، ثم جاءت الأوبئة، كالكوليرا والتيفوس والتيفود، فأضافت آلاف الضحايا إلى قائمة الوفيات.

وقبل دخول الجيش البريطاني إلى القدس في ديسمبر 1917، خاف أهل القدس، الذين كانوا يسكنون خارج أسوار البلدة القديمة، خافوا من بطش الجيش البريطاني الغازي، خصوصا بعد أن سمعوا عن حوادث النهب والسلب والاغتصاب والفوضى التي تعرض لها أهل دمشق عند دخول جيش الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق ((ويذكر أن جيش الثورة العربية الكبرى الذي قاده فيصل بن الحسين، كان في معظمه من البدو أي جنود غير نظاميين شاركوا ضد القوات العثمانية طمعا في الحصول على الذهب الذي كان لورنس يعدهم به)). ولما أخل لورنس بوعده لهم، كانت فرصتهم عندما دخلوا دمشق فاستباحوها. ولذلك خاف أهل القدس أن يصيبهم من الجيش البريطاني ما أصاب أهل دمشق يوم انسحب منها الجيش العثماني.

لورنس العرب ورجاله البدو أيام كانوا يقومون بعمليات التخريب خلف الخطوط التركية (1916)[45]

وفاة محمد سعيد بن محي الدين

دخل الإنجليز القدس في ديسمبر 1917 ولم يتعرض المقدسيون لما تعرض له الشاميون، ولكن بعد دخولهم انتشر وباء التيفوس، هذا الوباء الخبيث الذي ينتشر بواسطة القمل خلال الحروب. وقد كان محمد سعيد كثير التردد على المسجد الأقصى للصلاة في تلك الفترة، فتوفي نتيجة لهذا الوباء عن عمر يناهز السادسة والثلاثين من العمر.

---

[45] المصدر David Fromkin.

القاضي محمد يوسف الخالدي: (1881 – 1952)

محمد يوسف هو ابن محمد أمين ابن الحاج يوسف الخالدي الذي مر ذكره في الفصل الأول، ووالدته هي السيدة خديجة خانم ابنة الحاج رشيد وشقيقة محي الدين أفندي.

ولد محمد يوسف في بيت العائلة بباب السلسلة عام 1298 هجرية (1881م)، وأكمل دراسته في القدس. ثم سافر إلى اسطنبول عام 1317 هجرية (1899م) برفقة والده محمد أمين وذلك حسب ما جاء في إحدى رسائل عبد الغني المؤرخة في الرابع من شعبان من تلك السنة.

أكمل محمد يوسف دراسته في اسطنبول فنال شهادة الحقوق من جامعة استنبول عام 1905م، وظل يتنقل بعدها في سلك القضاء طوال سنوات العهد العثماني وعهد الانتداب البريطاني. فمن يافا حيث عمل مستنطقا عام 1907، إلى محكمة بداية القدس عام 1910 ونابلس عام 1913، انتقل محمد يوسف إلى لواء حوران حيث شغل منصب مدعي عام البقاع عام 1914. وما بين سنوات 1915 – 1918 كان عضوا ثم رئيسا للمحكمة الجنائية للواء حوران التي كان مقرها في درعا.

بعد نهاية الحرب العالمية وتقسيم بلاد الشام إلى أربع دول خاضعة للانتداب الأوروبي عاد محمد يوسف إلى القدس فشغل عدة مناصب في سلك القضاء

في عدد من المدن الفلسطينية كان آخرها منصب حاكم صلح في المحكمة المركزية بالقدس ظل يشغله إلى عام 1937.

وعندما سيطرت القوات الإسرائيلية على الجزء الغربي من مدينة القدس عام 1948 انتقل محمد يوسف وعائلته إلى القاهرة حيث توفي هناك عام 1952.

الفصل الثالث

آخر الأفندية

فؤاد عبد الغني (1901/09/19 – 1988/07/11)

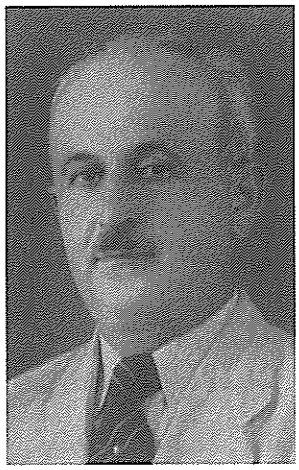

ولد فؤاد حسب شهادة الميلاد التركية في 14 ربيع أول سنة 1320 هجرية الموافق (7 حزيران 1318 مالي)، وهذا يوافق يوم السبت 21 حزيران 1902 ميلادية. ولكن حسب سجلات دائرة الصحة في القدس فإن تاريخ ميلاده هو(19 / 9 / 1901)، وكانت والدته السيدة حسيبة في العشرين من عمرها حين ولدته. وهو الإبن الثالث لعبد الغني حيث كان الإبن الأول عربي (1898–1904)، وكانت رقية (1900–1901) الإبنة الثانية.

وحين ولد فؤاد كان محي الدين أفندي قد انتهى من بناء الدار الجديدة التي كانت قيد الإنشاء عام 1900/1899 في المصرارة، فأسكن محي الدين فيها ابنه عبد الغني العائد من اسطنبول، ولكن عبد الغني ما لبث أن توفي في حزيران 1902م. وبعد وفاة عبد الغني بحوالي ست سنوات توفيت زوجته السيدة حسيبة (1907).

أيام المدرسة

بدأ فؤاد الدراسة في مدرسة الحي، ولم تكن معلمته الأولى سوى الشيخة زهرة، تلك التي مر ذكرها كمدرسة لوالدته حسيبة، ومن ثم أرسل إلى المكتب السلطاني. ولبعد المدرسة عن البيت، كان يذهب برفقة أحد العاملين عند العائلة.

ومن نوادر فؤاد في الأيام الأولى في المدرسة أنه كان عندهم أستاذ تركي اسمه قريطم أفندي. وذات مرة كان قريطم أفندي يشرح درسا باللغة التركية ولم يكن فؤاد يفهم كل ما يقال بتلك اللغة. ولما شعر قريطم أن فؤاد لم يكن متابعا لكلامه، أشار إليه وقال: أولان، ترجم لهم ما قلته. فوقف فؤاد وصار يروي النكات للطلاب، على لسان قريطم. ولما ضج أولاد الصف بالضحك والصخب اندفع قريطم نحو فؤاد ليضربه، فهرب فؤاد من الصف وقريطم يركض خلفه. ولما صار قريبا من باب المدرسة لمحه العامل المرافق الذي كان ينتظره، فدخل إلى المدرسة هائجا، حالفا أنه سوف يكسر رأس قريطم لأنه تعدى على ابن الأفندي. وهنا اختلف المشهد، وصار فؤاد يركض وراء المرافق باكيا يرجوه أن لا يضرب قريطم ويقول له: "ما عمليش إيشي، اتركه، والله ما عمل لي إيشي".

وفي المدرسة انضم فؤاد إلى فرقة الموسيقى المدرسية، ويظهر هنا في الصورة إلى أقصى اليمين وهو يحمل الآلة التي يعزف عليها، بينما يظهر في الصورة من أبناء الصف حمدي القزاز، راكعا، يحمل الصاجات، وحسام الخالدي (السادس من اليمين) يحمل الزمارة (الكلارنيت) وغلام أسمر (الجالس في الأمام وهو يحمل الطبل الصغير ثم صار فيما بعد ضابطا في الجيش). وكان فؤاد كلما التقى الضابط الأسمر في الأربعينيات من القرن الماضي يتندران بما كان يجري في مدرستهم في تلك الأيام.

في ذلك الوقت كان الأستاذ نخلة زريق (1860 – 1921) أستاذا للغة العربية، واشتهر بفضله وعلمه، وعرف عنه أنه كان يلبس العمة ويحفظ القرآن ويستشهد بآياته بين الحين والآخر. ولكن يبدو أن الطالب فؤاد الذي لم يكن تلميذا عاديا في الصف قد أزعج الأستاذ لكثرة حركاته وتعليقاته على ما كان يجري خلال الدرس، فسأل الأستاذ طالبه الجديد ما اسمك يا ولد؟ فأجاب:

اسمي فؤاد عبد الغني. فقال الشيخ نخلة: "والله عال، كانت القدرة ناقصة بتنجانة، فجاء فؤاد عبد الغني خّلاها طافحة ملآنة".

في تلك الأيام من أوائل العقد الثاني من القرن العشرين (1911 – 1912) كانت وسيلة النقل الوحيدة التي اعتاد الناس أن يروها في شوارع البلد هي العربات التي تجرها الخيول. ولما جاءت إلى القدس أول سيارة تسير على الآلة الغازية ووقفت باب الخليل، سرى نبأ وصولها في البلد كالنار في الهشيم. وركض الأولاد في الشوارع متجهين إلى المكان الذي وقفت فيه تلك العربة العجيبة التي تمشي بدون خيول. وكان فؤاد من بين هؤلاء الأولاد المندهشين الذين ركضوا صاخبين خلف العربة وهي تغادر البلد بدون خيول تجرها.

ولما نشبت الحرب العظمى، لم ينتظم الطلاب في صفوف الدراسة بشكل مقبول. ولكن مع استقرار الأمور بعد انتهاء الحرب عام 1918 انضم فؤاد والكثير من أبناء العائلة إلى الكلية الإنجليزية لتعويض ما فاتهم وتخرجوا منها عام 1923/1922.

فريق كرة القدم في الكلية الإنجليزية بالقدس – عام 1921

ويظهر في الصف الخلفي حارس المرمى وإلى يمينه فؤاد عبد الغني وإلى يمين فؤاد يقف حسام الدين الخالدي أحد لاعبي الفريق. أما مدرب الفريق فهو الرابع من اليمين في الصف الثاني وفي الصف الأمامي يجلس لاعبان معهما كرة قدم عليها الحروف الأولى للكلية والتاريخ 1921

بعض الأخبار

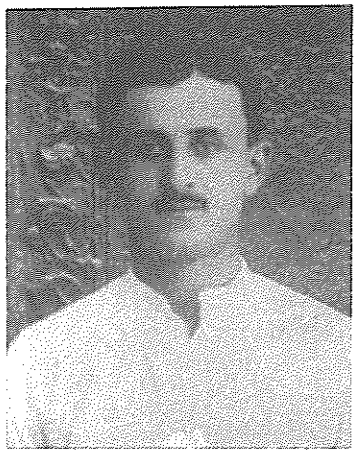

(1) جولة في مغارة سليمان

في عام 1921 قدم لزيارة القدس بعض الشخصيات الإنجليزية وحلوا ضيوفا على سانت جورج. وعندما قاموا بزيارة لمغارة سليمان التي تمتد إلى مسافات طويلة تحت البلدة القديمة، حيث يقع مدخلها خارج سور البلدة القديمة من الجهة الشمالية بين باب العمود وباب الساهرة، وبعد أن ساروا مدة طويلة في المغارة ضلوا طريق العودة إلى نقطة الدخول. ولكن بعد فترة من الضياع تذكر فؤاد بعض ملامح طريق الدخول وصاح بالمجموعة: اتبعوني. فتبعوه إلى أن أوصلهم إلى المكان الذي دخلوا منه. وهنا هتف أحد أساتذة الكلية، وكان قائدا للجولة وهتف معه الجميع للإشادة بفؤاد.

(2) عين جدي: رحلة محفوفة بالخطر

لم تكن زيارة عين جدي في ذلك الزمن سهلة ولم تكن مأمونة. ومع أن طريق أريحا كانت صعبة وذات تعرجات كثيرة، إلا أنه لم يكن يتفرع عنها طريق خاصة إلى عين جدي كما هو اليوم. كما أن الخطورة الحقيقية كانت تكمن في وجود أعداد كبيرة من قطاع الطرق من البدو ينتشرون في التلال المحيطة بالطريق. ولما تحدث أحد الأساتذة في موضوع الرحلة مع مجموعة من الزائرين الأجانب، قال له فؤاد: لعلي أستطيع تدبير الأمر. وبالفعل تمكن فؤاد من تأمين خطة الرحلة بمساعدة عرب السواحرة الذين كانوا يعملون عند الجد

محي الدين. وكان بعضهم ما زالوا يعملون عند العائلة ويقيمون في أملاكها في المصرارة.

وفي اليوم المعهود، جمع فؤاد من عرب السواحرة ما يزيد على ستة عشر مسلحا لمرافقة الرحلة. ولما بدأت المجموعة تسير في البراري متجهة نحو عين جدي، قسم المسلحون إلى مجموعتين من الكشافة، تتكون الأولى من اثنين يتقدمان الركب ببضع مئات من الأمتار، ويلحق بهم رجال المجموعة الثانية والتي كانت مكونة من أربعة من الكشافة ساروا متباعدين، وكانت مهمتهم دعم المجموعة الأولى عند حدوث أية مواجهة مع قطاع الطرق. وأما بقية المسلحين فساروا متباعدين ومحيطين بالركب بشكل دائري.

وبعد ساعة من الزمن، لمح الكشافان اللذان كانا في المقدمة بعض البدو من قطاع الطرق يتربصون خلف إحدى الصخور. فبلغت المجموعة الرئيسية بذلك قبل حدوث أي مواجهة، ثم تقدم اثنان من المجموعة الثانية من الكشافة نحو قطاع الطرق من جهتين مختلفتين وفاجآ البدويين وصاحا عليهما وهما يشهران سلاحهما، فنهض البدويان من مخبئهما رافعين أيديهما. كان صدر كل منهما عاريا، إلا من الجاعد الملفوف حولهما وسلاح الفشك الذي بحوزتهما.

وربما كان يحيط بالمكان أكثر من مجموعة من قطاع الطرق الذين راقبوا الركب عن بعد وآثروا عدم التحرش به لما رأوا الحراسة المشددة المرافقة. وعلى أي حال فقد كانت تلك هي المواجهة الوحيدة مع قطاع الطرق طوال الرحلة.

أبناء عائلة الخالدي الذين التحقوا بالكلية الإنجليزية: ويرى في الصورة هنا فؤاد عبد الغني جالسا وعن يمينه ابن خالته هاشم أحمد بدوي الخالدي وعن يساره حسام عبد الرؤوف الخالدي. (الصورة مأخوذة عام 1922)

مرافقة العم محمود عزيز الخالدي لمقابلة الكولونيل ديدس

كتب الدكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه " تاريخ فلسطين الحديث" أنه في تلك الفترة، أي بعد أن استقر الأمر للاحتلال البريطاني، بدأ الناس يتنبهون للنوايا المبيتة للبريطانيين والصهاينة. فبعد أيام قليلة من دخول اللنبي إلى القدس يقول الكيالي أن الكولونيل ديدس التابع للبعثة العسكرية المصرية كتب يصف ردود الفعل الأولية لتصريح بلفور فقال: "إن نبأ تصريح بلفور فيما يتعلق بفلسطين جديد على أهل القدس وقد أحدث قدرا غير ضئيل من المخاوف بين العناصر التي بلغني أنها تحاول مقابلتي".[46]

وحدثني فؤاد الذي لم يكن يبلغ السابعة عشرة من العمر في ذلك الوقت أن عمه محمود عزيز الخالدي اصطحبه حين ذهب لمقابلة الكولونيل ديدس وتسجيل احتجاجه على الوضع الجديد بعد الاحتلال. فاستقبله الكولونيل حداد بك وهو ضابط مصري كان مع البعثة. وظل فؤاد يذكر من تلك المقابلة استنكار العم محمود عزيز للاحتلال ولتصريح بلفور الذي يعطي لليهود وطنا قوميا في أرض فلسطين العربية وتكرير محمود عزيز لعبارة: "البلاد بلادنا" بالفصحى طول مدة المقابلة. ولما فشل حداد بك في إقناع محمود عزيز أن وعد بلفور لن يؤثر أبدا على وضع أهل البلد العرب، صاح محمود عزيز بغضب وهو يهم بالخروج "البلاد بلادنا"، مما دفع حداد بك إلى أن يرد قائلا باللهجة المصرية: يا أخي البلاد بلادكم، هو حد واخدها منكم.

---

[46] الكيالي، (صفحة – 88)، ديدس وردود الفعل الأولية لوعد بلفور.

ويذكر عبد الوهاب الكيالي أنه في تلك الفترة ظهرت في القدس جمعيات بارزة كالمنتدى الأدبي، والنادي العربي، ونادي الإخاء والعفاف ومنتدى آل الدجاني و(جمعية الفدائية) – وهي هيئة فدائية سرية كانت تضم عددا من رجال البوليس والدرك. وكانت نشاطات هذه الجمعيات تتناول إعدادا شاملا للثورة. ويضيف الكيالي أن تقريرا سريا لأحد العملاء الصهاينة تكلم عن اجتماع للفدائية حضره 16 عضوا، ويكشف التقرير أن الجمعية كان لها اتصالات مع زعماء العشائر في شرق الأردن وقد ألقى السيد جودت الحلبي أحد زعماء تلك المنظمة خطابا كشف فيه النقاب عن تطرف هذه الحركات فقال: " ... إن عملنا الرئيسي ينبغي أن يكون ضد اليهود ولكن إذا ساعدتهم الحكومة فسنكون ضدها أيضا". ودعا السيد محمود عزيز الخالدي الذي كان ينتمي لعدة جمعيات سرية إلى اغتيال بعض زعماء اليهود في يافا وحيفا لبث الذعر في قلوب من يفكرون بالهجرة إلى فلسطين[47].

[47] الكيالي، اجتماعات بعض الجمعيات السرية، ودور محمود عزيز الخالدي فيها. (صفحة 118، 119)

أمام ضريح خالد بن الوليد في حمص (1925) يقف فؤاد إلى اليسار وبجواره صديقه عارف الترجمان وفي الطرف الآخر يقف عمر الأنصاري

وصول هربرت صامويل إلى القدس

ويرى في استقباله من اليسار إلى اليمين: لورنس العرب (توماس لورنس) والشريف عبد الله بن الحسين ومارشال الجو سير جفري ساموند ثم هربرت صامويل ثم وندام ديديس الذي مر ذكره

سلطة الاحتلال ولعبة التوازنات

لعب المندوب السامي البريطاني بذكاء على الساحة الفلسطينية. فقد علم ما كان للإسلام من نفوذ في فلسطين أيام العثمانيين حيث كان القاضي الحنفي الذي يعين من قبل الباب العالي هو السلطة العليا، وكان مخولا بتعيين القضاة في البلدان. أما وضع السلطة المحتلة الجديدة فقد كان محرجا؛ فهي سلطة مسيحية، يرأسها مندوب سام يهودي، وعليها أن تسيطر على أغلبية مسلمة لتهيئة الوضع في فلسطين لتتمكن من إقامة وطن قومي لأقلية يهودية قادمة من أوروبا. ولكي توجِد سلطات الاحتلال سلطة إسلامية تكون بديلا للقاضي الحنفي، أعطي المفتي كامل أفندي الحسيني لقب مفتي القدس الأكبر، وعين رئيسا للجنة الأوقاف المركزية ورئيسا للمحكمة الشرعية العليا في القدس. ولكن في نفس العام قامت بعض الاضطرابات خلال موسم النبي موسى اعتقل على اثرها بعض الشخصيات، أما الحاج أمين الحسيني الذي كان قد ألقى خطابا اعتبر تحريضيا فهرب إلى شرق الأردن وعزل موسى كاظم باشا الحسيني من رئاسة بلدية القدس وعين راغب بك النشاشيبي بدلا منه؛ وهنا احتدت شدة النزاعات العائلية في القدس.

ويذكر الكيالي أنه صادف أن توفي مفتي القدس كامل أفندي الحسيني عام 1921، فانقسم الرأي العام على نفسه من حيث الشخص الذي ينبغي أن يخلفه. فعائلة الحسيني التي كانت تحتفظ بهذا المنصب منذ أجيال رشحت الحاج أمين أفندي الحسيني شقيق كامل أفندي، بينما رأى المتعلمون من أهالي القدس ممثلين برجال القضاء رأيا مختلفا. ولم يمض وقت طويل حتى عاد الحاج أمين الحسيني من شرق الأردن يحمل كتاب عفو من هربرت صمويل،

وقدم نفسه كمرشح لمنصب المفتي. وعندما جرى الاقتراع، جاء ترتيبه من حيث أصوات المنتخبين، في أسفل قائمة المرشحين، بينما حصل الشيخ حسام الدين جار الله على المرتبة الأولى وحصل الشيخ خليل الخالدي على المرتبة الثانية.

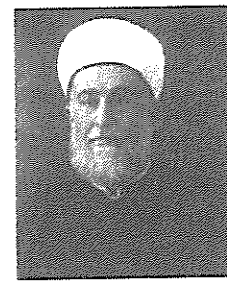

الشيخ حسام الدين جار الله

الحاج أمين الحسيني

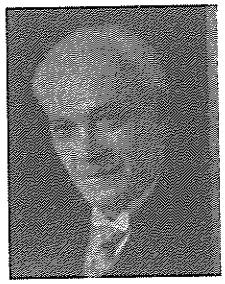

راغب بك النشاشيبي

ويورد الدكتور الكيالي تفاصيل أخرى عما جرى فيقول: "سرعان ما تدخلت السلطة وحملت الشيخ حسام الدين على التنازل، وتولى الحاج أمين الحسيني منصب المفتي، ثم لبى على وجه السرعة دعوة المندوب السامي صمويل إلى مأدبة غداء أقيمت على شرفه لهذه المناسبة في 1921/4/25. ولكي يدعم المندوب السامي منزلة الإسلاميين أمر بإنشاء المجلس الإسلامي الأعلى في يناير من عام 1922، وأعطى رئيس المجلس (الحاج أمين) صلاحيات واسعة، منها سيطرة فعالة على الواردات المالية لدائرة الأوقاف الإسلامية، وصلاحية توظيف وإنهاء خدمات موظفي المحاكم الشرعية، ودوائر الأوقاف، وصلاحية تسمية قضاة الشرع. وهكذا فقد أوجد المندوب السامي بديلا لمنصب

قاضي الشرع الحنفي العثماني من جهة، وتفادى استعداء آل الحسيني في حركة توازن بينهم وبين خصومهم الجدد آل النشاشيبي من جهة أخرى"[48].

فؤاد عبد الغني: نشاطاته ومشروعاته

يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه تاريخ فلسطين الحديث "إن المسرح السياسي الفلسطيني شهد فترة فريدة من الركود والشلل بين (1923-1929). وكان من أهم أحداث تلك الفترة الصراع من أجل السيطرة على المجلس الإسلامي الأعلى بين آل الحسيني وآل النشاشيبي. وفي خضم تلك المنافسة طغى هذا الصراع بين العائلتين على الصراع الوطني ضد الصهيونية"[49].

وبالنسبة لفؤاد أفندي فقد اقتصر نشاطه في العشرينيات على إدارة أملاك العائلة بالإضافة إلى بدء مشروعات شخصية في محاولة منه لاستثمار ما وصله من أموال ورثها عن جده محي الدين وعن السيدة حسب خانم ابنة الحاج يوسف التي كانت قد عينت نفسها وصية على فؤاد بعد وفاة والدته فحفظت له مجموع استحقاقاته من إرثه عن جده بالإضافة إلى كتابة وصيتها الشخصية في محرم عام 1331 هجري (كانون الأول 1912) والتي خصت فيها فؤاد بثلث أموالها المنقولة كالمصاغ والأموال النقدية والمواشي والأموال غير المنقولة وعينت الشيخ موسى البديري وصيا من بعد وفاتها لتنفيذ وصيتها هي والمحافظة على أموال فؤاد لحين بلوغه سن الرشد.

---

[48] الكيالي، انتخاب الحاج أمين الحسيني مفتيا. (صفحة – 144)

[49] الكيالي، فترة 1923 – 1929 والخصومات بين حزب عائلة النشاشيبي وحزب عائلة الحسيني. (صفحة 188)

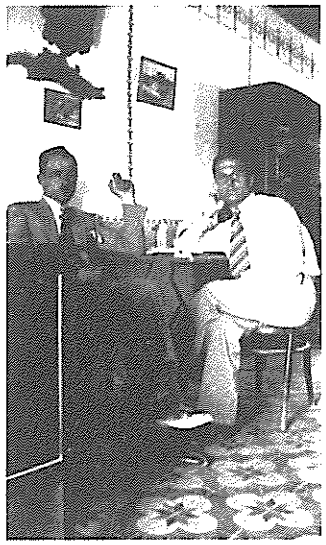

اتخذ فؤاد من أحد مباني المصرارة مقرا للعمل. وتمكن بشتى الوسائل أن يرفع إيجارات البيوت والدكاكين والورش التي تخص العائلة في وقت كان فيه قانون حماية المستأجر ساري المفعول. وعين شخصا مسؤولا (اسمه أبو معروف) للإشراف على الكراج والخيول والأبقار التي كانت موجودة هناك، يساعده في العناية بالأبقار والخيول حمدان الحسن سرور وزوجته نغموشة، وهم من عرب السواحرة الذين مر ذكرهم عند الحديث عن محي الدين الجد. وكان مع حمدان زوجة أخيه صبحة العبد التي تزوجها هو بعد وفاة أخيه صياح. أما اهتمام فؤاد الشخصي (الذي يرى في الصورة جالسا في مكتبه مع سكرتيره حنا كيروز) فانصب على إدارة أمواله الخاصة التي ظلت إلى وقت قريب تحت إشراف الشيخ موسى البديري الذي كان قد عين من قبل السيدة حسب وصيا شرعيا على أمور فؤاد المالية. وقد تمكن فؤاد من استثمار تلك الأموال وإدارتها بنجاح ملحوظ أثار انتباه الكثيرين. وبالإضافة إلى استثمار بعض تلك الأموال في البنوك الأجنبية التي كانت تعمل في القدس (وكان أحدها بنكو دي روما) فقد عمل فؤاد في الزراعة، وكانت له مزرعة في غور الأردن كانت تعرف بالبصة. (وصارت فيما بعد تعرف ببصة الخالدي).

مشاريع فؤاد عبد الغني الزراعية

والبصة في فلسطين هي نبع ماء غير متدفق، ولكنه نزاز تظل مياهه تنساب ببطء شديد إلى أن تملأ حفرة مجاورة إلى مستوى معين ثم تتوقف. وكانت بصة الخالدي تقع على الطريق الترابية التي تصل بين أريحا والمغطس على نهر الشريعة بالقرب من دير مار يوحنا الذي يقع على النهر أيضا. والمزرعة تبعد عن أريحا حوالي ستة كيلو مترات وعن النهر حوالي ثلاثة كيلو مترات، ومساحتها الإجمالية 1200 دونم؛ يقع منها حوالي 1000 دونم على يسار الطريق من أريحا إلى المغطس والجزء الباقي، (حوالي 200 دونم) يقع على يمين الطريق. وكان الجزء الأصغر من المزرعة الذي يقع على يمين الطريق يروى في فصل الشتاء من وادي القلط الذي يخترق المزرعة على يمين الطريق أيضا. وعلى مسافة غير بعيدة من البصة يقع دير حجلة وبساتين دير حجلة التي استأجرها فؤاد في العشرينيات وصارت جزءا من مشاريعه الزراعية.

أحب فؤاد مزرعته الجديدة، التي يحيط بها حرش كبير من الأشجار؛ وفيها البراري الممتدة التي كان فؤاد يمارس فيها هواية ركوب الخيل والصيد بصحبة الكثير من أصدقائه الذين يظهرون معه في صور ألبوم العائلة، بينما يركض كلبا الصيد تانغو وفيديل خلف الحصان وهما يحاولان اللحاق به. والصيد لم يكن في البر فقط، فالمزرعة قريبة أيضا من نهر الشريعة حيث كانوا يذهبون لصيد البط في الصباح الباكر. وفي البصة كانت الشطحات وولائم الخرفان المشوية للأصدقاء من العائلة ومن غير العائلة. ومجمل القول أن فؤاد كان حين يذهب هناك ينسى هموم الدنيا ومشاغلها، إلا حبه لتلك الأرض.

وقد حاول جهده طوال سنوات عديدة أن يحول البصة إلى مزرعة ناجحة. فبدأ بتوسيع الحفرة التي كانت بجوار النبع النزاز ووضع فيها موتورا صغيرا لسحب المياه منها لري المزروعات، ولكن هذا النبع البطيء لم يكن كافيا إلا لري مساحة صغيرة جدا من الأرض، لا تفي بطموح فؤاد. ثم فكر بحفر بئر في الحرش بالقرب من النزاز لعله يأتي على نبع أكبر يمكنه من زيادة المساحة المزروعة. وبالفعل كلف مهندسا روسيا شابا بهذه المهمة كان والده يعمل ميكانيكيا في كراج للسيارات في المصرارة. فعمل ذلك المهندس الشاب على حفر بئر في الحرش، إلى أن جاء ذات صباح إلى مكتب فؤاد في المصرارة ليخبره أن المياه تدفقت من البئر الذي يحفره، ولكنها لسوء الحظ مياه مالحة لا تصلح لري الأرض، الأمر الذي أصاب فؤاد بخيبة أمل كبيرة. ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه، فاستعان ببعض المختصين الذين أشاروا عليه بإحضار المياه من نهر الشريعة الذي كان يبعد عن المزرعة حوالي ثلاثة كيلو مترات. وفعلا بدأ بالمشروع الضخم الذي كلفه أموالا طائلة؛ فوضع موتورا كبيرا على النهر (قرب دير مار يوحنا) وقريبا من مزرعة صديقه اللبناني جان شامية.

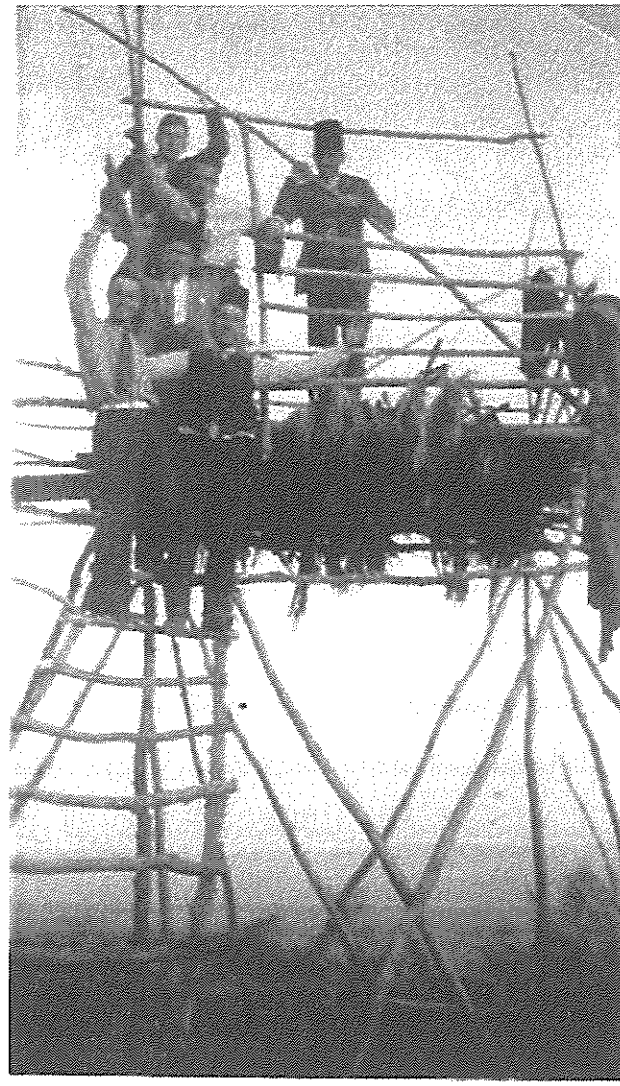

في البصة في الغور، أيام الصيف الحارة، كان النوم في الخلاء على العريشة (ويرى فؤاد فوق العريشة معتمرا الطربوش، أما سكرتيره حنا كيروز فيقف على السلم ملوحا بيده للمصور بجانب شقيقه يوسف الذي يعتمر الطربوش هو الآخر)

-1928 -

صار الموتور يدفع المياه من نهر الشريعة إلى المزرعة في خط للأنابيب امتد حوالي 3 كم. كما أنشئت في المزرعة شبكة قنوات إسمنتية منظمة لإيصال المياه إلى جميع الأرجاء.

وبعد الانتهاء من المشروع بدأ نشاطه في الزراعة، فخصص قسما من الأرض لزراعة الموز (حيث يقال أن الحاج جودت الحلبي كان أول من أحضر أشتاله من الهند إلى فلسطين)، وخصص قسما آخر لزراعة الحمضيات التي كان فؤاد يحضر أشتالها من يافا، وقسما ثالثا للخضار والحبوب.

كانت البصة أرض خير، وأذكر أن فؤاد أخذني معه إلى البصة في الأربعينيات وعندما هم بتفقد المزروعات على ظهر أحد خيول المزرعة حملني ووضعني أمامه. ولما اقتربنا من الحقل المزروع بالقمح، وجه الحصان إلى داخل الحقل فكانت سنابل القمح تكاد تعلو رأس الحصان.

ومع أن المزرعة أخذت كل وقت فؤاد في تلك السنوات، إلا أن الكثير من العقبات والمشاكل التي كانت تعترض العمل هناك منعت فؤاد من تحقيق آماله وطموحاته التي كانت بلا حدود. وكان أهم هذه العقبات، مشاكل موتور المياه على نهر الشريعة. وعلى الرغم من وجود ميكانيكي مسؤول عن تشغيل الموتور وصيانته بصفة مستمرة، إلا أن المشاكل كانت تحدث فيصاب الموتور بخلل، ويتوقف عن العمل، ثم تتوقف المياه ويتسبب ذلك بموت المزروعات. ربما كان سبب تلك المشاكل عدم كفاءة الميكانيكي المقيم، وربما عدم التخطيط الصحيح أصلا. ولكن المشاكل كانت تطرأ بين حين وآخر. لم يكن فؤاد يقضي جل وقته في المزرعة، كما أن الاتصالات والمواصلات لم تكن

سهلة في أواخر العشرينيات وأوائل الثلاثينيات من القرن الماضي. والموتور كان بعيدا عن المزرعة وعن أريحا حيث يبعد موقعه عن المزرعة 3 كم، وتبعد المزرعة عن أريحا 6 كم، وأريحا لم تكن تلك البلدة العامرة التي نعرفها اليوم، والمواصلات بين أريحا والقدس لم تكن ميسرة كما نعرفها اليوم. وبعد أن يصل الخبر إلى فؤاد ويبدأ البحث عن الميكانيكي المختص والبحث عن القطع اللازمة لإصلاح الموتور ثم العودة إلى موقع الموتور على النهر تكون المزروعات قد ذبلت من شدة العطش. وربما يموت الزرع قبل أن تصل قطع الغيار المطلوبة للموتور. وزاد الطين بلة أن فؤاد اعتقل من قبل السلطات البريطانية إبان ثورة 1936– 1937، ولما أفرج عنه منع من مغادرة القدس، وفي تلك الفترة تعطل العمل في المزرعة بشكل كامل، فترك العمال المزرعة ولم يبق فيها إلا رئيس العمال حسن وزوجته شمسة. حتى أن فؤاد اضطر في تلك الأيام إلى إرسال الأبقار والمواشي إلى بعض معارفه في أكثر من قرية خارج القدس. ولم يتحسن وضع البصة إلا في بداية الأربعينيات حين عاد إليها فؤاد وعاد حسن وشمسة من جديد للعيش هناك.

فؤاد وحنا مع عمال المزرعة

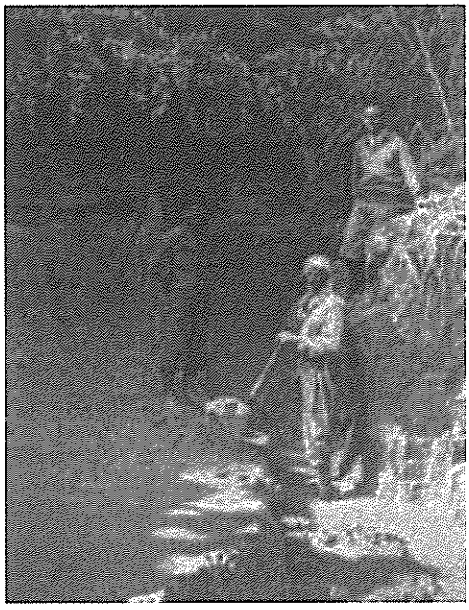

عند النهر

فؤاد وحنا مع حسن رئيس العمال عند تحضير موقع سحب المياه

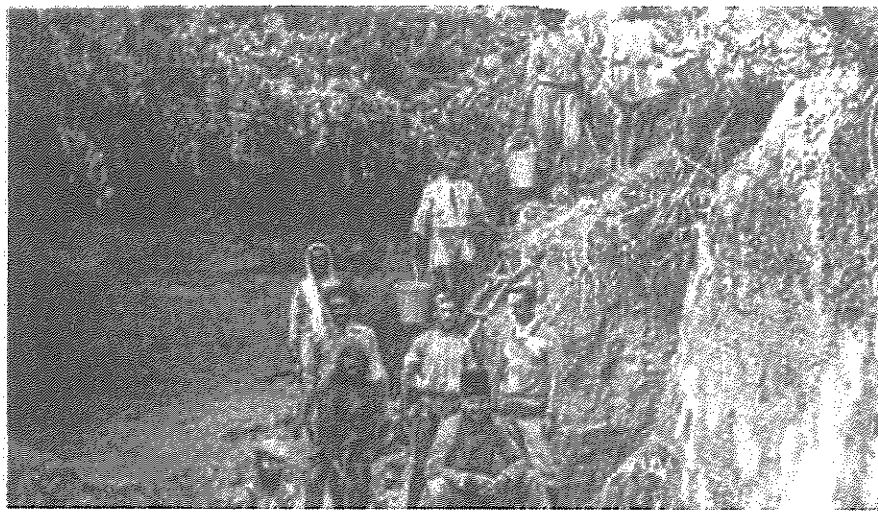

بدء العمل بإعداد الموقع على النهر

فؤاد وحنا يحتفلان بوصول مياه النهر إلى المزرعة (1929)

في ساعة استراحة – حنا يتأمل جملا صغيرا

بعد انقضاء ساعات العمل، لا بد من زيارة البحيرة – البحر الميت

في العشرينيات عند بدء مشاريع فؤاد الزراعية، اتجه إلى تربية الأغنام. كان عنده بضع مئات من رؤوس الغنم كلف برعايتها مجموعة من عرب السواحرة بإشراف حمدان الحسن وأبناء أخيه الذين كانوا يتنقلون بها طلبا للمراعي حسب المواسم.

وعندما وصل الشريف عبد الله بن الحسين إلى شرق الأردن مغادرا الحجاز بعد أن استولى عليها آل سعود عام 1923، كان برفقة الشريف الكثير من الحجازيين الذين توجه بعضهم للعمل في فلسطين. ووصل إلى بصة الخالدي أكثر من عشرين شابا منهم طالبين العمل هناك، فوظفهم فؤاد في بساتين دير حجلة السبعة التي كان قد ضمها إلى مشاريعه الزراعية بعد أن استأجرها من الدير. كان قرار توظيف الحجازيين موفقا، فقد كانت لديهم خبرة فائقة في العناية بأشجار النخيل وإنتاج أحسن أنواع البلح والتمور، ومثل هذه الخبرة لم يكن يتقنها الفلاح الفلسطيني والريحاوي على وجه الخصوص. وقد ظل هؤلاء الحجازيون يعملون في تلك البساتين حتى بعد أن تركها فؤاد عام 1937 حين منعته سلطات الاحتلال البريطانية من مغادرة القدس أيام الثورة الفلسطينية. وظلت عناقيد البلح المختلفة الألوان وأطيب أنواع البلح الرطب والتمور تصل إلى بيت فؤاد أفندي في الأربعينيات كهدية سنوية منهم. وكان أكثر هؤلاء الحجازيين مودة ووفاء لفؤاد أفندي عبد الله الحجازي الذي ظل يزور فؤاد عبد الغني في القدس حتى عام 1948.

فؤاد والإخوة كيروز

الإخوة كيروز من أصل لبناني. استقر والدهم أنطون في القدس حيث عمل في دير مار مارون، وتزوج من سيدة إيطالية من عائلة إكلر. كان له منها ثلاثة أبناء وثلاث بنات. وكان الإبن الأكبر ميشيل يعمل في تجارة الأثاث. أما الإبن الأوسط يوسف، وهو أكبر من فؤاد بحوالي سنتين أو ثلاث سنوات، فقد عمل في دكان مانيفاتورة في حارة النصارى بالبلدة القديمة عند معاذ بن موسى شفيق الخالدي (1923). وهناك قابل فؤاد عبد الغني يوسف كيروز لأول مرة. أما الأخ الأصغر حنا فهو من جيل فؤاد. وعندما كنت أزور بيروت في الخمسينيات من القرن الماضي كان يوسف كيروز يصر على أن يستضيفني في بيته بالحمرا. وفي تلك الزيارات المتعددة لم يتحدث يوسف إلا عن القدس وعن صديقه فؤاد.

أخبرني يوسف كيروز أنه تعلم التجارة وأصولها وأساليبها ومسك الدفاتر من معاذ الخالدي الذي كان يحمل الجنسية السويسرية ويقيم في سويسرا، ولكنه قدم إلى القدس من سويسرا في أوائل العشرينيات وعمل في التجارة ، ففتح دكانا في حارة النصارى في القدس، وعمل يوسف كيروز عنده. وهناك تعلم أصول التجارة واستيراد البضائع وتوزيعها والتعامل مع التجار. لكن إقامة معاذ الخالدي في القدس لم تكن طويلة، فقد أصيب بخيبة أمل كبيرة جراء تعامله مع التجار المحليين والصفقة التجارية عنده تتم بكلمة شرف.يقول يوسف أن معاذ كان إنسانا راقيا رفيع الأخلاق، صادقا في تعاملاته، وأما التجار الذين تعامل معهم فلم يفوا بكلمتهم ولم يكونوا شرفاء، فاستغلوا طيبة قلبه ولم يسددوا ديونهم، فسرقوه وخسر معاذ خسارة كبيرة فأفلس وقفل عائدا إلى سويسرا.

وروى لي يوسف كيف التقى بفؤاد أفندي بعد سفر معاذ الخالدي. قال: بعد سفر معاذ أصبحت بلا عمل، فذهبت إلى البنك لأطلب قرضا بمبلغ 200 جنيه فلسطيني لفتح دكان أمارس فيها الخبرة التي اكتسبتها من معاذ. ولما رفض مدير البنك طلبي لعدم وجود كفيل موثوق، خرجت من عنده ساخطا، ووقفت أعبر عن خيبة أملي بغضب لأحد الأشخاص في القاعة فأشار لي أن أذهب إلى فؤاد أفندي الذي كان يقف في الطرف الآخر من القاعة وكان يتحدث إلى بعض الناس. قال إذهب إليه فإن وضع توقيعه على طلبك سوف تأخذ القرض. ذهبت إليه فكفلني وأخذت القرض وبدأت العمل.

ومن خلال صداقة فؤاد ويوسف كيروز تعرف على أخيه الأصغر حنا (1924)، الذي كان، كما أسلفنا، من جيل فؤاد. أعجب فؤاد بحنا ووجد فيه الجدية والطموح والنشاط والأمانة والإخلاص. وبالإضافة إلى الذوق الفني الذي تحلى به حنا، كان يجيد اللغة الفرنسية والإنجليزية وشيئا من الإيطالية. فصادقه فؤاد وأصبح مرافقا، ثم مساعدا له في أعماله الكثيرة.

ليس هذا فحسب، بل كان حنا يتميز بمواهبه الفنية المرموقة في الرسم والديكور. ولا عجب أن الملكة زين الشرف والدة الملك حسين بن طلال كثيرا ما كانت تعتمد عليه في الخمسينيات بعد أن استقر في عمان بعد الهجرة عام 1948. وكلما أرادت الملكة الأم أن تحدث تغييرات في ديكورات القصر وبراديه، كانت تستدعي حنا كيروز.

وفي عام 1924 صار حنا كيروز يعمل عند فؤاد عبد الغني مساعدا ومرافقا فيمسك الحسابات ويحاسب المستأجرين، ويقبض ويدفع الفواتير، ويدفع الرواتب للعمال في القدس وفي المزرعة، وكان يرافق فؤاد في سفراته إلى

حنا كيروز وشقيقته جولييت

المزرعة والى بساتين دير حجلة. وإذا ما استغرقت الإقامة في الغور أكثر من يوم، يحضر حنا ما يلزم من طعام ومياه للعيش في براري الغور. كما أنه كان يجيد الطبخ والتخطيط للطوارئ.

لم يكن فؤاد يعتمد على حنا في تصريف الأمور الخاصة بالعمل فقط، فكثيرا ما كلفه بأمور لها علاقة بالبيت. ففي عام 1926 حين فكر فؤاد بالزواج وبدأ بتجهيز البيت كان لحنا ولآل كيروز دور في تحضير الجهاز. فأثاث البيت الذي أخذت تصميماته من كتالوجات أحد المعارض الباريسية، بما في ذلك الصالون، كان من عمل ميشيل كيروز الأخ الأكبر. وقماش كنابايات الصالون أحضره يوسف كيروز خصيصا من الشام.

وحدثتني زهية (زوجة فؤاد) أن حنا كيروز كان يرافق سيدات العائلة حين يذهبن إلى راهبات مار يوسف لمتابعة العمل في الجهاز الذي طلب تحضيره هناك كالشراشف وأغطية الأسرة والمخدات وأغطية "السكملات" والطاولات المطرزة باليد وأشياء أخرى كثيرة تجهزها الراهبات. واهتم حنا بديكورات البيت والبرادي، وبتزيين البيت وملء غرفه بالورود والأشرطة الملونة يوم الفرح. وحتى البيانو الذي اشتري للعروس كان للمايسترو إكلر، خال حنا الإيطالي، دور في شرائه.

فؤاد وحنا في القدس مع الطفلين حسيبة وعبد الغني

فؤاد وحنا على نهر الشريعة

وظل حنا يعمل عند فؤاد بإخلاص وتفان لا مثيل لهما إلى أن واجه فؤاد بعض المشاكل المادية خلال الثورة حين اعتقل فؤاد لفترة قصيرة (عام 37-1938) ومنع من مغادرة القدس بعد ذلك، وكانت البصة قد توقفت عن الإنتاج عام 1936-1937 فهجر العمال مواقعهم وتوزعت المواشي على القرى وأصبح المستقبل غامضا. خاف فؤاد أن يطول الأمر ففكر في مستقبل

صديقه المخلص حنا وناداه ليصارحه بالأمر، وقال له: يا حنا أنا أخاف عليك إن بقيت معي، فأنت شاب قوي ذو مواهب وكفاءات لا حصر لها، وربما يطول هذا الوضع الذي نحن فيه؛ ولا أظن أنك سوف تجني ما تستحقه إن بقيت معي. عليك أن تفكر في مستقبلك وفي نفسك. وهنا بكى حنا متأثرا، وبعد حيرة وتردد أخذ من صديقه فؤاد مكافأة الخدمة. ثم اشترك مع أخيه يوسف وفتحا محلا فخما لبيع الأحذية في شارع ماميلا الذي أصبح في ذلك الوقت المركز التجاري الرئيسي في القدس والبديل لحارة النصارى. وقد ألحق بالمحل ورشة لصناعة أرقى موديلات الأحذية النسائية والرجالية.

فؤاد وهواية ركوب الخيل

(1) في سنوات الحرب (1914-1917) عندما كانت العائلة تسكن في المصرارة، في "دور البر" كما كانوا يسمونها، اعتاد فؤاد أن يذهب عصر كل يوم إلى الإسطبل ويأخذ أحد الخيول ليمارس هواية ركوب الخيل. ولما أصبح مسؤولا أضاف إلى خيول الإسطبل حصانا أصيلا، غاية في الجمال، يمشي مختالا بطريقة ملفتة للنظر.

كما كان لفؤاد عربة جميلة يجرها حصان واحد وكان ذلك النوع من العربات يسمى (**تك**). وفي العشرينيات أصبح فؤاد وحصانه والتك محط أنظار أهل القدس شيبهم وشبانهم، وصبایاهم. بل إن الكثير من الأجانب الذين كانوا في القدس في ذلك الوقت أعجبوا بالحصان المختال وبالتك وراكبه.

فؤاد على الحصان الأشقر في المصرارة

(2) ويروى الكثير عن جرأة فؤاد الذي كان الصيد إحدى هواياته. ففي تلك الأيام كان غور الأردن يعج بالحيوانات البرية المفترسة وكان الكثير منها يمر بالمزرعة أو بالقرب منها، وكان فؤاد يتصدى لها بعد الغروب. فاصطاد ذات مرة ضبعا وفي مرة أخرى اصطاد غريرة. (والغريرة هي من فصيلة الضبع ولكنها تختلف عنه شكلا وهي أصغر منه حجما). أحضر فؤاد الضبع والغريرة إلى القدس وكلف بعض المختصين بتحنيطهما ثم عرضهما في إحدى غرف الدار. وكان يعرض في تلك الغرفة أيضا بعض الأفاعي المختلفة شكلا وحجما كان قد أمسكها بيده في المزرعة أو في دار البلدة القديمة أثناء أعمال التعمير والصيانة لينتهي بها الأمر إلى زجاجات مليئة بالكحول.

(3) على الرغم من كثرة الأصحاب الذين التفوا حول فؤاد أيام الشباب، لم يكن لفؤاد من الأصدقاء الحقيقيين إلا القليل. أحدهم كان عارف الترجمان (شقيق إحسان وعادل)، وكانت عائلة الترجمان تسكن جوار باب المحكمة في باب السلسلة من جهة الشرق، وعلى يمين الخارج من الحرم يقع باب مدرسة قايتباي، وخارج باب المدرسة يوجد درج يؤدي إلى دار يسكن فيها آل الترجمان الذين تجمعهم مع العائلة صلة قرابة وصداقة.

وأما صديقه الثاني فكان صفوت الدجاني الذي كان كثيرا ما يرافق فؤاد في حله وترحاله. وكان هناك صديق ثالث هو عمر الأنصاري، ابن الشيخ أمين الأنصاري الذي كان في ذلك الوقت يعمل أمينا للمكتبة الخالدية. وقد روى لنا فؤاد أنه في أواخر عام 1933 نُظمت في يافا مظاهرة ضخمة ضد الإنجليز والهجرة الصهيونية، فتجمع هناك وفود من شتى المدن الفلسطينية. وفي تلك المظاهرة حصل اشتباك مع رجال الشرطة قتل على أثره أحد أفراد الشرطة

وعدد من المتظاهرين؛ وكان عمر الأنصاري صديق فؤاد واحدا من الذين استشهدوا في ذلك اليوم.

في هذه الصورة من اليمين إلى اليسار: فؤاد عبد الغني ومحمد أهرام، ثم صفوت الدجاني، وعلى يمينه عمر الأنصاري وشخص غير معروف، ثم عارف الترجمان وحسام الخالدي. أما الجالسان على الأرض فغير معروفين

زواج فؤاد عبد الغني

زهية درويش الخالدي، عروس فؤاد، هي ابنة عمه الشقيق، وقد درست في القدس في مدرسة السالزيان الإيطالية، ثم انتقلت بعد ذلك إلى رام الله حيث التحقت هي وشقيقتها الأصغر بالقسم الداخلي في مدرسة الفرندز للبنات. وتظهر زهية هنا وهي في المدرسة في رام الله. ومن الطريف أن نذكر أن الشقيقتين كانتا تقضيان العطل المدرسية القصيرة في المدرسة بسبب صعوبة

المواصلات للبنات بين رام الله والقدس في العشرينيات من القرن الماضي. وكانت العائلة تكتفي بإرسال شقيقهما الأكبر، محي الدين، لزيارة تفقدية قصيرة. وأما بالنسبة للخطبة والزواج في تلك الأيام، فقد جرت العادة على أن يكون أمر الخطبة محسوما وكان الكل يعلم أن زهية لفؤاد. حتى أنه قيل أن والدها درويش أفندي الذي كان قد توفي قبل ذلك بما يزيد على العشر سنوات، كان قد أوصى قبل وفاته بأن تكون زهية لفؤاد. وعقد القران يوم 22 تموز 1927. ويقال أن الحفل كان مميزا وحضره جميع آل الخالدي وأعيان البلد. وتكفل حنا كيروز بتزيين البيت بالورود وتنظيم كل ما يلزم. وجريا على عادة تلك الأيام وبالرغم من حضور الزوج والزوجة في المكان والزمان، فقد كان للزوج وكيل وللزوجة أيضا. وكان الشيخ خليل جواد الخالدي وكيلا للزوج والقاضي محمد يوسف الخالدي وكيلا للزوجة. وكان شهود العقد شقيقي العروس محي الدين وعبد الله.

22 تموز 1927

في المزرعة – فؤاد عبد الغني مع ابنته البكر حسيبة – 1929

حسيبة – 1930

حسيبة (1932) – هذه الصورة ملونة أصلا – وهي من تصوير دافيد عبدو صاحب استوديو عبدو الشهير بشارع يافا خارج أسوار القدس. وقد اعتبر عبدو هذه الصورة من أجمل أعماله الفنية فظل يعرضها في نافذة العرض ستة عشر عاما إلى أن أغلق الأستوديو عام 1948 بسبب الأحداث

فؤاد وولديه عبد الغني وعاصم – (1941)

جيران جدد لدار باب السلسلة

في أوائل العشرينيات عندما أصبح الحاج أمين الحسيني مفتيا ورئيسا للمجلس الإسلامي الأعلى، انتقل للسكن في المدرسة التنكزية في الحرم الشريف بجوار باب السلسلة. فمنصبه الجديد جعله أعلى سلطة إسلامية رسمية في فلسطين، وكان انتقاله للسكن في الحرم الشريف جزءا من "البرستيج" بصفته ممثلا لجميع المسلمين. ويذكر الكيالي أن الحاج أمين نجح دائما في اكتساب محبة الكثير من القرويين وأبناء الطبقة العاملة غير المثقفة، فبسط نفوذه على الشارع الفلسطيني بدون منازع. وقد اعتبر من قبل المندوبين الساميين البريطانيين زعيم فلسطين.

وكان الناس طوال أيام الانتداب يرددون الأهازيج التي كانت معروفة في بلاد الشام أيام الحكم العثماني بشكل يتناسب مع التغير في إسم الزعيم الجديد. فعلى سبيل المثال: محمد رشاد يا منصور وبسيفك هدّينا السور ثم أصبحت:

حاج أمين يا منصور وبسيفك هدّينا السور
حاج أمين لا تهتم إحنا رجالك نشرب دم
حاج أمين يا عزنا يا اللي مفلفل رزنا

وفي زفات الأعراس التي كانت تمر من باب السلسلة بعد صلاة المغرب، كان المحتفلون ينشدون:

يا ناصر الحق المبين أيد أمير المسلمين
وانصر لنا زعيمنا زعيمنا الحاج أمين

وأهازيج أخرى مثل: سيف الدين ... الحاج أمين.

وصادف أن كان سكن الحاج أمين الجديد في المدرسة التنكزية مجاورا للدار التي كان يسكنها فؤاد عبد الغني وعائلته، وكثيرا ما كانت زوجة الحاج أمين وبناته يتبادلن الزيارة مع زوجة فؤاد، وأحيانا كانت العائلتان تتبادلان الحديث حين كانت زوجة المفتي السيدة أم صلاح وبناتها يصعدن إلى سطح دارهم المطل على نوافذ دار فؤاد ليتبادلن الحديث مع زوجة فؤاد. وظلت الزيارات متبادلة بين العائلتين حتى بعد هروب الحاج أمين إلى لبنان عام 1937، والى أن غادرت السيدة أم صلاح القدس بصورة نهائية عام 1946.

الحرم القدسي أيام الانتداب

كانت دار باب السلسلة مسكنا للقاضي محمود الخالدي، كما اسلفنا في الفصل الأول من هذا الكتاب. وقد أشير إليها في دفاتر العائلة بدار باب المحكمة، حيث أن المدرسة التنكزية المجاورة لها كانت مقرا للمحكمة الشرعية في فترة سابقة. وهذه الدار هي من أملاك وقف أيمة الصخرة المشرفة كما تبين لي بعد أن حصلت على حجتها الشرعية من بين أوراق قديمة كنت قد أشرت إليها مؤرخة في أول رمضان 1260هجرية (1844/9/14م).

وللظروف التي ذكرتها عند الحديث عن الحرب العالمية الأولى ولتوقع حدوث معركة في القدس بين الجيش البريطاني الغازي والجيش العثماني المنسحب، تركت العائلة بيت المصرارة ورجعت للسكن في هذه الدار في كنف المسجد الأقصى طلبا للأمان عام 1917. وكانت العائلة عندها تتكون من السيدة حسب خانم ابنة الحاج يوسف وأخت محي الدين لأمه، والسيدة عائشة ابنة محي الدين بن رشيد، وسعيد بن محي الدين بالإضافة إلى فؤاد بن عبد الغني (وعمره حينها –15 سنة)، وأبناء عمه درويش.

وكان لموقع الدار في باب الحرم القدسي أثر كبير في حياة من سكنها من أحفاد القاضي محمود. ولأهمية طريق باب السلسلة فقد كانت ممرا لمواكب زوار الحرم من الشخصيات الهامة والزوار الآخرين في الأعياد والمواسم والمناسبات. وكان سكان هذه الدار يشاهدون أكثر الأحداث التي مرت. ولم تكن أحداث ما عرف بثورة البراق عام 1929 وما تبعها من مظاهرات وتجمعات وخطابات في ساحات الحرم بعيدة عنهم. ففيها تزوج فؤاد، وولد جميع أبنائه. وظل الحرم كالعادة مركز الكثير من النشاطات المقدسية، والكثير

من نشاطات العائلات التي تسكن بجواره. وبالنسبة لنا نحن كانت ساحات الحرم مكان تجمع أطفال باب السلسلة وأطفال باب المغاربة. فمن باب السلسلة كانت تصطحبنا أيام الطفولة السيدة ظريفة الوادي التي كانت تعمل مساعدة في البيت إلى الحرم فنجلس ونلعب على العشب الأخضر أمام الحديقة المواجهة للأروقة التي تمتد من باب السلسلة إلى باب المغاربة. ومن باب المغاربة، من زاوية دار أبو السعود، تأتي نظيرة (ابنة أخت ظريفة الوادي) التي كانت تعمل في ذلك الوقت عند الخالة أم موسى زوجة الشيخ حسن أبو السعود، وتأتي ظريفة ويأتي معها أبناء الخالة أم موسى يرافقهم العديد من أبناء زاوية دار أبو السعود. كنا نجتمع بعد العصر ولا نفترق إلا عند سماع المؤذن ينادي لصلاة المغرب. فلا مجال للتسويف أو التأخر.

وفي ساحة الحرم آبار كثيرة، كان أهل البلد يشربون منها في الثلاثينيات وكان منظر السقا وهو يحمل قربته على ظهره بعد أن يملأها من البئر المفتوح في ذلك اليوم منظرا مألوفا في شوارع القدس العتيقة. وكان لكل سقا زبائن محددون، يجلب لهم الماء من الحرم كل يوم. ويدخل السقا إلى البيوت ليملأ الأواني العديدة التي تنتظره. وكان ينظم حركة (السقايين) في الحرم في الثلاثينيات والأربعينيات رجل اسمه حلمي. وكثيرا ما كان حلمي يتعب مع الصبية الذين ترسلهم أمهاتهم لملء صفائحهم من الحرم. وكان يصر على أن يقفوا في طابور منتظم، وهم يصرون على التزاحم والتنافس، ويهتفون وهم عائدون بصفائحهم المليئة: على كيد حلمي ملينا، وعليك يا نبينا صلينا.

وكانت مئذنة باب السلسلة في الثلاثينيات والأربعينيات، وقبل ذلك طبعا، شيئا مهما في حياة سكان البلدة القديمة. فمنها يؤذن للصلاة، وعليها تقرأ الموالد،

ومنها تعلن الأخبار التي تهم أهل البلد على الناس. وأذكر، على سبيل المثال، أنني سمعت بنبأ وفاة الخديوي عباس حلمي الثاني من على تلك المآذن ولم أكن في ذلك الوقت أعرف من هو عباس حلمي. وعلى المئذنة تقام حلقات الذكر والموالد في المناسبات. أما ساحات الحرم في تلك الأيام فقد كانت هادئة، نظيفة، لها طابع خاص يبعث على الاحترام والسكينة وراحة النفس، لا تسمع فيها ضجيجا ولا صياحا، إلا حين يُسمع صوت المؤقت للصلاة الحاج بلال (وهو رجل كبير السن من أصل أفريقي) وكانت مهمته أن يترقب مواعيد الصلاة فيخرج من غرفته الواقعة تحت (سطوح) الصخرة، أمام باب القطانين، ويقف على المصطبة التي عرفها الناس في تلك الأيام باسم مصطبة الحاج بلان (بلال). ويقف الحاج بلال تحت شجرة الميس ممسكا ساعته بيده منتظرا عقارب الساعة ليعلن حلول موعد الأذان فينادي المؤذنين فوق المآذن صارخا: وحد ... (بفتح الواو وتشديد الحاء مع الكسر)، فتعلوا أصواتهم كلهم مرة واحدة بالأذان، وعلى مئذنة باب السلسلة يقف الشيخ حمدي القزاز (أو شقيقه الشيخ داود) لينادي بصوته الشجي المؤثر الذي لم أسمع مثيلا له في الرقة والعذوبة في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط التي زرتها سوى في اسطنبول، حيث ذكرني صوت المؤذن هناك بأداء الشيخ حمدي وبالأذان من على مئذنة باب السلسلة.

في الأيام العادية، ليس في رمضان وأيام الأعياد والمواسم، كانت تقام في مسجد الصخرة صلوات الفجر والمغرب والعشاء. أما صلاة الظهر والعصر فكانتا في المسجد الأقصى في أغلب الأحيان. وفي الأربعينيات من القرن الماضي كان يؤم الصلاة الشيخ عبد الرزاق الشهابي، والشيخ جميل الخطيب.

وكان يداوم على الصلاة خلفهما شيخ مغربي وقور، كبير السن، اسمه الشيخ مهدي، ينوب أحيانا عمن تغيب أو تأخر منهما. أما سدنة الحرم فهم من آل الدنف (الأنصاري). وكان سادن المسجد الأقصى الشيخ خليل الدنف يساعده أبناؤه، أما سادن مسجد الصخرة فقد كان الشيخ فائق الدنف (الأنصاري) الذي ورث السدانة عن والده، ويساعد الشيخ فائق ابنه الشيخ إسماعيل. وكانت مسؤولية السادن إقامة الصلاة والتسبيح وتلاوة الأدعية بعد الصلاة. وكان على السدنة أن يحافظوا على نظافة المسجد، وكان للسادن سلم صغير ذو ثلاثة أرجل (سيبة) يصعد عليه بعد صلاة العصر لملء الزيت في المصابيح الزيتية الصغيرة التي تتدلى من السقف، ثم يقوم بإنارة تلك المصابيح قبل حلول الظلام. وللسادن قصبة طويلة مجوفة ينفخ فيها لإطفاء المصابيح بعد صلاة الفجر كل يوم. (ومع الأسف إن كل تلك المعالم قد أزيلت في هذه الأيام حين أدخلت إدارة الأوقاف المصابيح الكهربائية إلى مساجد الحرم).

وتزداد الحركة في الحرم يوم الجمعة، ويصبح لها طابع مختلف. ففي هذا اليوم تنشط كل ساحات الحرم وجميع أركانه وأروقته ومصاطبه. ولا عجب، فالناس يتوافدون للصلاة من جميع البلدات والقرى المجاورة للقدس حتى من الخليل، وتزدحم شوارع المدينة كلها بهم وبالباعة المتجولين الذين ينتظرونهم طوال الأسبوع. فيتجمعون بأبواب الحرم وبالطرق المؤدية إليه، كل ينادي على بضاعته. فمنهم باعة الكتب الدينية وكتب تفسير الأحلام وكتب القصص الشعبية مثل قصة عنتر بن شداد وسيرة الزير سالم وغيرها، حيث ينشرون كتبهم على مصاطب أبواب الحرم. ومن الباعة من يحمل حقيبة صغيرة فيها أدوية لعلاج آلام الرأس والأسنان، بل كل الآلام. وهناك من يبيع كؤوسا

زجاجية صغيرة ينادي عليها قائلا: "كاسات الهوا، حكمة بلا دوا"، وكانت تلك الكؤوس الصغيرة الزجاجية تستعمل لمعالجة بعض أمراض البرد كالسعال. وهناك من يبيع كبريتا وإبر "ببور/ بريموس"، ومن يبيع حلاوة سمسمية. وآخر ينادي على بضاعة يعرضها للبيع فوق عربته وينادي (كل حاجة بقرش، كل سنتي بقرش). وهناك أيضا بائع شراب الخروب أو السوس أو التمر هندي، يقف حاملا إبريقه النحاسي الضخم الذي يملأه بما لديه. بينما ينادي أحد المواظبين منهم بأعلى صوته: كاسة تمر هندي بمليم. وما زلت أذكر رجلا نحيفا قصير القامة داكن البشرة، يعتمر عمة حمراء اللون، يقف داخل الحرم، يسقي القادمين للصلاة وهو ينادي بأعلى صوته: عن روح الحسن والحسين. وأما صندوق العجب فلا ينشط أصحابه إلا بعد خروج الناس من الصلاة، أو في أيام الأعياد والمواسم حيث يجتمع الصبية حول صاحب الصندوق الذي يحتوي على أربع عدسات مكبرة، وما أن يكتمل عدد الزبائن (الأربعة) حتى يبدأ العرض، ويبدأ صاحب الصندوق برواية عن كل صورة يعرضها: "إتفرّج عندك وشوف، هذا الإمام علي، ابن عمه للنبي، ما فتى إلا علي، ما سيف إلا ذو الفقار، ... وإتفرّج عندك وشوف، شوف الحرب والضرب، شوف الغزو والقتال، شوف إللي مولي وهربان، خالص منه الجبخان، شوف الواقع في الجورة، هذا عينة معوورة، هذا رجله مكسورة، ... إلخ".

وقبل موعد صلاة الجمعة يبدأ المؤذنون بالذكر على المآذن منتظرين الإشارة من الحاج بلال. ويأتي عبد القزاز من بيته بباب السلسلة معتمرا عمامته الخضراء وجبته السوداء اللتين لا يلبسهما إلا أيام الجمعة وفي المناسبات. يدخل القزاز إلى المسجد الأقصى مع بعض أبناء عمومته ويجلسون على

الدكة المرتفعة المخصصة للمؤذنين والمقرئين. وقبل أن يؤذن للصلاة تبدأ قراءة ما تيسر من القرآن. وعند الانتهاء يبدأ عبد القزاز بقراءة السورة الصغيرة مكررا سورة الصمد بالذات، ثم يهدي ما سمع من التلاوة إلى أموات المسلمين وإلى خاصكة سلطان طالبا من المصلين قراءة الفاتحة لروحهم وروحها. وخاصكة سلطان هذه هي زوجة السلطان سليمان، وظل المصلون يقرؤون لها الفاتحة أيام الجمعة إلى عام 1948.

وقبل أن يحين موعد أذان الظهر، يدخل خطيب الجمعة إلى الحرم من باب الحديد، حيث تسكن عائلة الخطيب المقدسية التي يكون في العادة خطباء المسجد الأقصى من أبنائها، وهو يعتمر لباسا أخضر: جبة خضراء، وقلنسوة خضراء مخروطية الشكل تلفها كذلك عمامة خضراء. ولعل لباس الخطيب الأخضر ربما يكون متوارثا من أيام الفاطميين الذين حكموا مصر والقدس أكثر من مائة وثلاثين عاما قبل الاحتلال الصليبي. حيث يسير الخطيب من باب الحديد إلى المسجد الأقصى والناس يحتفلون به ويسلمون عليه إلى أن يصل إلى المسجد. (وعندما آل الأمر إلى الشيخ جميل الخطيب صار يلبس ثيابه الخضراء في المسجد الأقصى في غرفة تحت منبر صلاح الدين).

ويظل خطيب الجمعة جالسا في غرفة تحت المنبر إلى أن يأتي مقيم الصلاة الشيخ أمين الدنف (الأنصاري)، ليفسح له الطريق من بين المصلين إلى المنبر ماشيا بوقار، والخطيب خلفه حاملا عصا كأنها صولجان معدني يتبعه متأنيا في خطاه، وعند الوصول إلى باب المنبر يصعد الخطيب متأنيا درجة درجة إلى أن يجلس في المكان المخصص له منتظرا حلول موعد الأذان. فحينها يقول عبد القزاز، بأعلى صوت: تسليما اللهم صلي يا رب وسلم ...

وأنعم وزد وتفضل وبارك ... على نور المشرقين ونور المغربين ... وجد الحسنين الأحسنين ... صاحب الجمعة والعيدين ... الذي أنزلت عليه يا مولانا ... في محكم كتابك العزيز... إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا. وهنا يقف الشيخ أمين الدنف ليؤذن بصوت هادئ ووقور بين يدي الخطيب متوقفا بعد كل جملة من جمل الأذان ليفسح المجال لعبد القزاز (المبلغ) كي يكرر النداء بصوته الجلي المعروف العالي النبرة حتى يسمع كل من في المسجد. وبعد أن ينتهي الأذان يقف الشيخ أمين ليعلن للناس أن الخطيب سوف يبدأ خطبته، فيقول بأعلى صوته: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب يوم الجمعة انصت فقد لغوت. (وبعد أن توفي الشيخ أمين الأنصاري خلفه في تلك المهمة السيد عبد المعطي القطب الذي لم يكن يعتمر الجبة والعمامة إلا يوم يؤذن بين يدي خطيب المسجد).

ومما كان يلفت نظري في خطبة الجمعة أن الخطيب كان يكرر في كل أسبوع بعض العبارات التي ربما توارث الخطباء بعضها من بعد أيام الخلافة الفاطمية والتي توقف الخطباء في أعقاب النكبة عن تكرارها بعد الصلاة على النبي والطلب من الله تعالى الرضا عن الخلفاء الأربعة، السادة الحنفا، ذوي الفضل الجلي والمقام العلي، أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن عمي النبي خير الناس، حمزة والعباس، اللابسين من التقوى أفخر لباس، كان خطيب الجمعة يكرر في الخطبة: "وارض اللهم عن الإمامين الهمامين، الإمام أبي محمد الحسن والإمام أبي عبد الله الحسين، وارض اللهم عن أمهما فاطمة البتول وعن جميع أزواج الرسول وعن القرابة والصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان

إلى يوم الدين". وقد اختلفت تلك العبارات بعض الشيء بعد أن ضمت القدس رسميا إلى المملكة الأردنية، وتكررت زيارات الملك المؤسس عبد الله بن الحسين إلى القدس فصار الشيخ جميل الخطيب يقول بعد الصلاة على النبي... " صلى الله عليه وعلى أسرته الهاشمية وعلى آله وأصحابه بكرة وعشية". كما توقف الشيخ جميل عن لبس الملابس الخضراء، وقد قيل في تلك الأيام أن الملك عبد الله طلب من الشيخ جميل الخطيب عدم ارتداء الجبة والعمامة الخضراء يوم الجمعة وأعطاه جبة سوداء وعمامة بيضاء صار الشيخ يرتديهما، ومهما يكن الأمر فقد كان لخطباء تلك الأيام احترام وتقدير لمظهرهم الوقور فاحترمهم الناس وأحبوا الاقتداء بهم.

أما شهر رمضان، فكانت لأيامه ولياليه نكهة خاصة في البلدة القديمة. ويعلن عن ثبوت رؤية الهلال بمدفع رمضان. ومدفع رمضان كان أيضا يعلن مواعيد الإفطار والإمساك، ويعلن مناسبة الأعياد. وكان مدفع رمضان يوضع في مكان عال في الجهة الجنوبية من مقبرة باب الساهرة.

وفي رمضان بعد الإفطار يسير الصبية في طرق البلدة القديمة في مجموعات صغيرة، تعرف بالحواية يقرعون أبواب البيوت منشدين، طالبين حلويات رمضان. وكان لجيراننا ابن صغير اسمه أحمد كثيرا ما زارته الحواية بعد الإفطار وهم يهتفون: (لولا أحمد ما جينا. حلوا الكيس وأعطونا، وأعطونا حلوينا، صحنين بقلاوة، ورغيفين شلبيات، ورغيفين حلبيات، حيا الله يا اولاد الشام فيها الخوخ والرمان... إلخ). ويستمرون في قرع الباب والهتاف: هاتوا، هاتوا، واليهود ماتو، إلى أن تنزل السيدة أم أحمد وتعطيهم من حلويات رمضان المتوفرة لديها كالقطايف أو غيره.

وفي رمضان تزداد وفود الزائرين القادمين من خارج البلد، يأتون ليجاوروا الحرم ويكسبوا ثواب الصلاة هنا في هذا الشهر الفضيل. يجتمعون حول حلقات الدروس والمواعظ في المسجد الأقصى، خصوصا بعد صلاة العصر. أما في مسجد النساء فتكون حلقات الدرس عامرة في ساعات قبل الظهر. وتعود الحلقات بعد الإفطار ويستمر الازدحام في الحرم إلى ما بعد صلاة التراويح.

وفي الأيام الأخيرة من الشهر يبدأ المؤذن بالهتاف بعد الأذان: لا أوحش الله منك يا رمضان، لا أوحش الله منك ياشهر الصيام، ... ... كما أننا نذكر المحيا بعد صلاة الفجر في الليالي الأخيرة من رمضان، عندما كان يخرج الشيخ أمين الدنف ومعه شيوخ المسجد والسدنة حاملين فوانيسهم بعد صلاة الفجر ينشدون تحية لكل الأنبياء هاتفين: صلوات الله، وسلام الله، على إبراهيم خليل الله، أي صلوات الله، وسلام الله، على موسى كليم الله، أي صلوات الله، وسلام الله على داود نبي الله، أي صلوات الله وسلام الله على عيسى من روح الله، أي صلوات الله وسلام الله على محمد رسول الله. ... إلخ.

وفي أيام الأعياد كعيد الفطر وعيد الأضحى يظل الناس يتوافدون إلى الحرم القدسي في ساعات مبكرة من النهار، فتعج بهم أروقة المسجد وساحاته الواسعة وهم يهللون ويكبرون لايتوقفون إلا حين يرتفع صوت الشيخ عبد القزاز لينادي بأعلى صوته: الصلاة جامعة، يا أمة الهادي عليه السلام، على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان. فتقام الصلاة، تليها خطبة العيد، ثم ينطلق الناس مغادرين الحرم من طرق أخرى غير التي جاؤوا منها. ينتشرون في شوارع القدس العتيقة وأزقتها المتعرجة، مهللين مكبرين كما جاؤوا. يذهب

الكثيرون منهم بعد الصلاة إلى زيارة القبور في باب الرحمة وفي اليوسفية وفي باب الساهرة، وحتى مقبرة مأمن الله التي حوت أجداث الكثيرين من جدود العائلات المقدسية. كان الأحفاد يواظبون على زيارة قبور أجدادهم هناك في تلك المناسبات.

الحرم القدسي أيام موسم النبي موسى

هذا الموسم هو من تراث مدينة القدس الشعبي، وهو من المواسم التي استحدثها صلاح الدين الأيوبي ليكون تجمعا للمسلمين في القدس في الفترة التي تقام فيها أعياد الفصح عند الطوائف المختلفة. تبدأ احتفالات المدينة في يوم الجمعة السابق لخروج الموكب الرسمي، ويدعى ذلك اليوم يوم المناداة (وباللهجة المقدسية العامية – يوم المنادي) لإعلان توقيت بدء احتفالات الموسم. تكون حينها قد وصلت أكثر الوفود المشاركة إلى القدس ببيارقها وفرقها الكشفية وفرق الدبكة المحلية والرقص الشعبي مع الشعراء والمنشدين وعازفي (الشبابة)، وتبدأ شوارع القدس بالازدحام، وتبدأ المدينة وساحات الحرم على وجه الخصوص باكتساء زينتها استعدادا لليوم المشهود. وبعد صلاة الجمعة تفتح أبواب المدرسة التنكزية المؤدية إلى الحرم الشريف حيث كان يسكن في الطابق العلوي من المدرسة الحاج أمين الحسيني مفتي القدس (بعد أن انتخب رئيسا مدى الحياة للمجلس الإسلامي الأعلى في يوم الأول من نيسان عام 1924)، وفي ساحة الطابق الأرضي الواسعة كان يجتمع رؤساء الوفود المشاركة في الاحتفال، فيقوم المنادي ويعلن بأعلى صوته: "الجمعة

هذي المناداي (المناداة)، والجمعة الجاي عيد موسى ابن عمران". ثم توزع كؤوس المرطبات على المجتمعين، وينتهي الحفل.

وفي اليوم المحدد تنطلق المواكب والبيارق من المسجد الأقصى إلى مقام النبي موسى على طريق القدس أريحا. تنطلق راكبة وراجلة، حاملة بيارقها، عازفة طبولها، منشدة أهازيجها. وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي كان الحاج أمين الحسيني يرافق المواكب والبيارق عند خروجها من القدس تتقدمها فرق الكشافة الفلسطينية من الشبان، وفرقة موسيقى دار الأيتام الإسلامية في القدس، ثم راكبو الخيول يتقدمهم الحاج أمين نفسه على حصانه، ثم فرق الوفود كل منها يحمل بيارقه، ثم جمهور المحتفلين. وتتوجه المواكب إلى مقام النبي موسى حيث يقيمون هناك أسبوعا من الزمن، متابعين احتفالاتهم بالموسم، وتتكفل دائرة الأوقاف الإسلامية بذبح الذبائح كل يوم لتقديم الطعام لمن اختار الإقامة في الموقع.

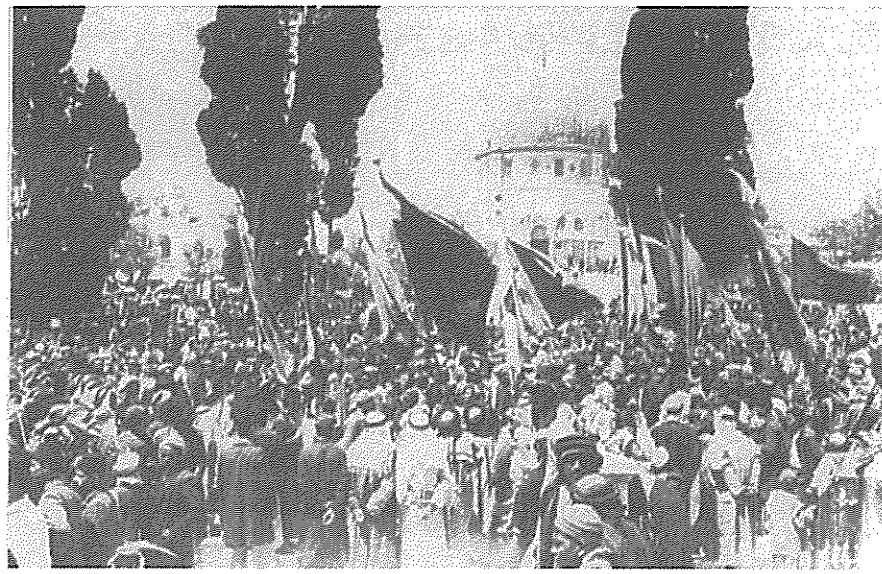

يتجمع حملة البيارق الوافدة إلى القدس في ساحات الحرم قبل التوجه إلى مقام النبي موسى على طريق القدس– أريحا (1935)

أما في مدينة القدس وفي ساحات الحرم الشريف التي تكون قد اكتست بزينتها مع بداية الاحتفالات، تبدأ الفرق الأهلية المختلفة القادمة من خارج المدينة بالاحتفال، فتتشكل حلقات الدبكة الشعبية، كل فرقة معها شاعرها، ومعها عازف الشبابة التي يرقص الشباب على نغماتها. وهنا تبدأ أغاني وأناشيد الرقص الشعبي الفلسطيني في ساحات الحرم القدسي المزدانة، وحتى في شوارع المدينة العتيقة، يرقص الشباب كلهم ويتمايلون على نغمات الشبابة الفلسطينة، وينشد الشعراء الشباب بما تجود به قرائحهم من أناشيد الغزل ويتجمع الناس ويبتهجون.

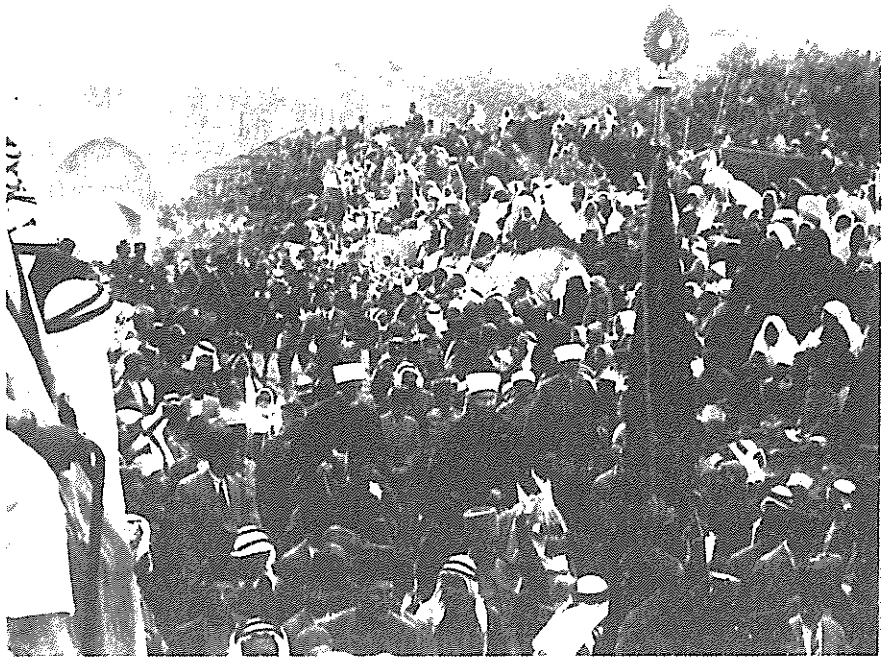

الحاج أمين الحسيني على ظهر جواده يتقدم موكب وفود المدن والقرى الفلسطينية المشاركة في احتفالات الموسم والمتوجه من باب الأسباط إلى مقام النبي موسى عام 1935

شيخ الحرم

كان شيخ الحرم في العادة من آل الحسيني، وكان آخرهم السيد توفيق محمد صالح الحسيني الذي كثيرا ما كان فؤاد عبد الغني يزوره في غرفته على (سطوح الصخرة) بعد صلاة العصر، وتستمر الزيارة أحيانا إلى موعد صلاة المغرب. ويقال أنه في العشرينيات والثلاثينيات كان يشغل منصب شيخ الحرم الشيخ عارف يونس الحسيني. ويروى أنه في العشرينيات كثرت زيارات بعثات

الآثار من الأجانب، حيث يدخلون الحرم بتصريح رسمي من الحكومة للدراسة والتنقيب. ويقال أنه كانت في الصخرة المشرفة حلقة أثرية نادرة سرقها رجال الآثار الأجانب، فشاع في القدس بيتان من الشعر يعاتب فيهما الشاعر شيخ الحرم فيقول:

يا شيخ عارف من سرق من صخرتنا تلك الحلقة
أخبرنا يا شيخ الحرم فالقلب عليها قد احترق

من إصدارات المجلس الإسلامي الأعلى

ثورة البراق

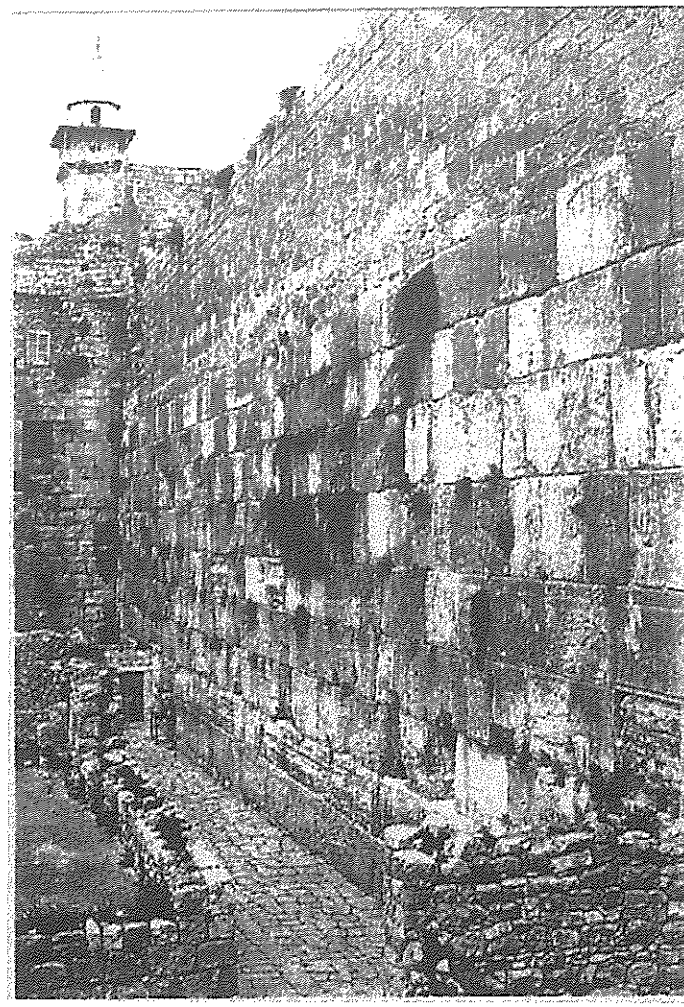

حائط البراق من جهة حارة المغاربة قبل حرب 1967

حائط البراق (حائط المبكى) ويسميه اليهود اليوم الحائط الغربي للهيكل. ولم يكن مسموحا لليهود بالصلاة هنا قبل دخول العثمانيين فلسطين في القرن السادس عشر. ويقال أن السلطان سليمان القانوني أصدر فرمانا يسمح لليهود بالصلاة هنا أيام كان المهندس سنان يبني سور القدس، فقام سنان بتعميق أرض الموقع، (قارن حجم الحجارة الصغيرة في الأعلى بحجم الحجارة الكبيرة بعد التعميق). وخصص مساحة لصلاة اليهود لا يزيد عرضها على تسعة أقدام وبنى الجدار الذي يظهر إلى يسار الصورة للفصل بين الموقع وبين حارة المغاربة المعروفة[50].

في يوم الغفران لدى اليهود في 1928/9/24 حاول اليهود وضع ستار يفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة عند حائط المبكى[51]. ومن المعروف أن حائط المبكى من ممتلكات المسلمين المقدسة، ويشكل الحد الغربي من الحرم الشريف. وقد أمرت الحكومة وفقا لواجبها في الحفاظ على الوضع الراهن بإزالة الستار، وعندما لم يمتثل اليهود عمدت الشرطة إلى إزالته بالقوة. وقامت على أثر ذلك في فلسطين سلسلة من الحوادث انتهت باصطدام 1929 الذي عرف بثورة البراق. ففي الرابع عشر من آب 1929 قام اليهود بمظاهرة ضخمة لم يسبق لها مثيل في شوارع القدس، وساروا حتى وصلوا قرب حائط المبكى، وهناك عند الحائط، رفع اليهود العلم الصهيوني وبدأوا بإنشاد نشيد – هتكفا – وشتموا المسلمين. وفي اليوم التالي (1929/8/15) صادفت ذكرى المولد النبوي الشريف، فقام المسلمون بمظاهرة حاشدة في الحرم الشريف بعد

---

[50] عن كتاب كارين آرمسترونغ – صفحة 328

[51] الكيالي، صفحة 198

صلاة الظهر. واتجهت المظاهرة نحو حائط المبكى حيث ألقى الشيخ حسن أبو السعود خطابا ألهب من خلاله مشاعر الجماهير التي اتجهت إلى البراق وقامت بتكسير منضدة اليهود الموضوعة عند حائط المبكى. وفي يوم الجمعة 1929/8/23 تدفق المسلمون على القدس بأعداد كبيرة وقاموا بمظاهرة كبيرة بعد الصلاة. فتوتر الوضع واندلعت الاضطرابات في سائر أرجاء فلسطين. وبعد خمسة أيام في 1929/8/28 حصلت مذبحة الخليل. وكاد زمام الأمور أن يفلت من يد الحكومة، فاستدعيت القوات البريطانية التي سيطرت على الوضع واعتقلت أعدادا كبيرة من المسلمين واليهود وأودعوا في سجن عكا ثم حوكموا. وفي يوم الثلاثاء 1930/6/17 أعدم منهم 25 عربيا، ويهودي واحد. وقد خلد الشاعر الفلسطيني ابراهيم طوقان هؤلاء الشهداء في قصيدته الثلاثاء الحمراء[52].

[52] الكيالي: ثورة البراق – صفحة 202

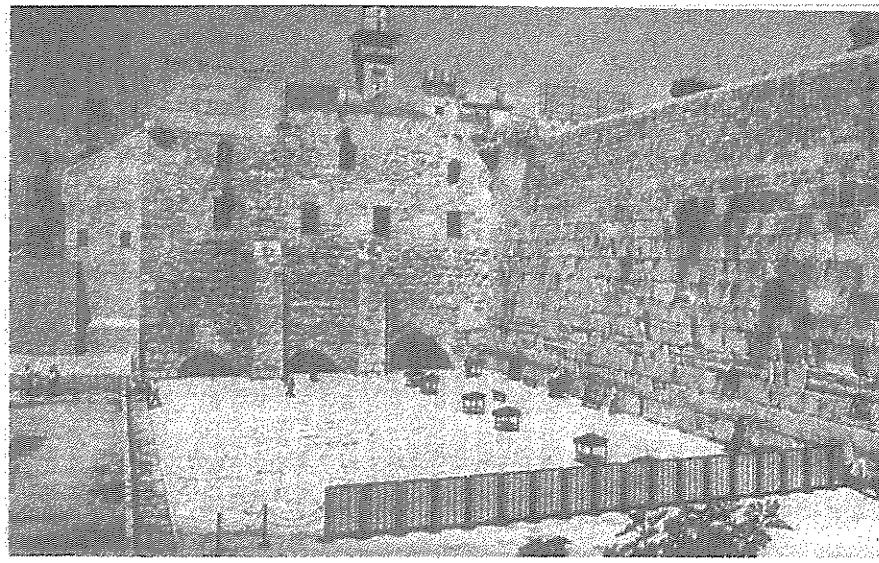

(حائط البراق بعد حرب 1967) - أو حائط المبكى وحارة المغاربة بعد حرب الأيام الستة 1967- لم تقم سلطة الاحتلال الإسرائيلي بتجريف الجدار الفاصل بين المكان الذي منحهم إياه السلطان سليمان للصلاة وبين حارة المغاربة فقط، بل قامت بتجريف حارة المغاربة بأكملها بعد أن هجرت أكثر من 400 عائلة مقدسية من سكان وقف سيدي أبو مدين الغوث في حارة المغاربة[53]

[53] المصدر: دليل الأراضي المقدسة - من منشورات مطبعة الفرنسسكان

زعامة الحاج أمين الحسيني

يقول الدكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه "تاريخ فلسطين الحديث"، أنه جاء في أحد تقارير المندوب السامي أن الحاج أمين الحسيني هو القوة الفلسطينية الوحيدة القادرة على السيطرة على الشارع الفلسطيني. وبالفعل فقد كان للمنصب الديني أهمية كبيرة في الشارع الفلسطيني، كما أن عائلة الحسيني عرفت كيف تستغل الوضع بشكل جيد. أما الحاج أمين نفسه، ففي وقت عمت فيه الاضطرابات فلسطين حاول أن يترك في نفس المندوب السامي البريطاني تشانسلور انطباعا بأنه موال للحكومة عندما قال له أنه يعتبر نفسه، من بعض الوجوه، موظفا في الدولة. وفي رسالة كتبها تشانسلور إلى وزير المستعمرات في 1929/10/12 يذكر أن المفتي وعد بتقديم المساعدة فيما يتعلق بحفظ النظام والتعاون مع الحكومة ... وقد برهنت الحكومة ووزارة المستعمرات على السواء على أنهما متنبهتان إلى أهمية الحفاظ على موقف الحاج أمين الودي بسبب معارضته لقيام مجابهة (عربية – بريطانية) في فلسطين. وعندما نجح الحاج أمين في كبح جماح المظاهرات في منتصف يناير 1934، وافق وزير المستعمرات على طلب المندوب السامي القاضي بتحويل الاتفاق المؤقت الذي عقد مع المجلس الإسلامي الأعلى والذي تمنح الحكومة بموجبه للمجلس حق السيطرة الكاملة على أموال الأوقاف إلى اتفاق دائم يخول رئيس المجلس (المفتي) بموجبه صلاحية الإشراف التام على أموال الأوقاف وذلك تقديرا منه

لموقف المفتي سابق الذكر[54].

ولو رجعنا إلى الأحداث التي جرت ما بين 1921-1934، لوجدنا أن المنافسة بين عائلة النشاشيبي وعائلة الحسيني تصدرت أحاديث الناس وأخبار الجرائد.

[54] الكيالي: صفحة 244

باب الخليل كما كان يبدو من جهة داخل السور في الثلاثينيات من القرن العشرين
(الصورة عن كتاب كارين أرمسترونغ)

عائلة الخالدي ونزاعات أعيان القدس منذ بداية عهد الانتداب

كان محمود عزيز الخالدي هو الشخصية الثورية في العائلة في العقد الثاني من القرن العشرين، ولكنه توفي في وقت مبكر جدا (1927). وقد أشرت إلى مواقفه عند الحديث عن مرافقة فؤاد عبد الغني له حين حاول مقابلة الكولونيل ديدس، وحين رجعت إلى ما كتبه الدكتور الكيالي عنه.

وفي العشرينيات نأى رجال العائلة بأنفسهم عن نزاعات أعيان القدس باعتبارها ذات دوافع شخصية لا تخدم مصلحة الوطن؛ إذ كان كل من الحزبين (حزب عائلة الحسيني وحزب عائلة النشاشيبي) يتنافسان على نيل رضا المندوب السامي البريطاني الذي استغل تلك المنافسة أحسن استغلال كما جاء في كتاب د. عبد الوهاب الكيالي.

وللأمانة يجب أن أنقل هنا ما جاء في مذكرات الدكتور حسين فخري الخالدي (التي كتبت عام 1949، وهي ما تزال مخطوطة) عن موقف موسى كاظم باشا الحسيني من تلك النزاعات. إذ يقول الدكتور الخالدي أن موسى كاظم كان الرجل المحنك والشيخ الوقور المهذب الذي كثيرا ما عنف الطرفين (الحسيني والنشاشيبي) على سلوكهما. فكانت له دائما مواقف مشرفة، وكثيرا ما استغل آل الحسيني اسمه لتدعيم مواقفهم.

وأما بالنسبة لآل الخالدي فقد أخبرني فؤاد عبد الغني أن صلة القرابة والصداقة بين العائلتين المتنافستين وبين عائلة الخالدي كانت تعطي في بعض الأحيان انطباعا خاطئا بأن العائلة تؤيد جانبا ضد الآخر. وأكد الدكتور حسين فخري الخالدي، عميد العائلة في تلك الفترة، في مذكراته عند الحديث عن انتخابات البلدية عام 1934 أنه: " لم يكن هو ينتمي في يوم من الأيام لأية فئة أو

جماعة حزبية." وكل ما في الأمر (كما أخبرني فؤاد) انه كانت تظهر للدكتور حسين فخري مقالات في الصحف فيها نقد شديد لما هو جار بين الحزبين. وذكر لي أن تلك المقالات كانت تلح على ضرورة الالتفات إلى قضايا الوطن الرئيسية ونبذ الفرقة التي لا تفيد إلا أعداء الوطن.

انتخابات بلدية القدس عام 1934

كتب الدكتور حسين فخري الخالدي في مذكراته التي أشرت إليها قبل قليل أن المندوب السامي البريطاني أصدر مشروع قانون البلديات عام 1934 كخطوة أولى في سبيل تطبيق الحكم الذاتي. ولما نشر المشروع الجديد في الجريدة الرسمية ليصبح قانونا، اجتمع رؤساء البلديات وقرروا الاحتجاج على مشروع القانون لما يعطيه من صلاحيات واسعة للمندوب السامي وحكام المقاطعات، وهددوا بمقاطعة الانتخابات – فاغتنم خصومهم السياسيون (المجلسيون) الفرصة واستغلوا اسم موسى كاظم باشا الحسيني وأصدروا بيانا يطلب من رؤساء البلديات الاستقالة من وظائفهم. وعندها جرت مهاترات جانبية قرر بعدها رؤساء البلديات البقاء في مراكزهم وخوض معركة الانتخابات.

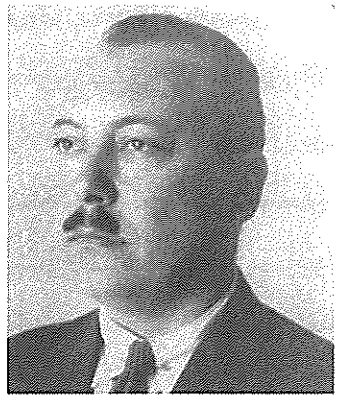

ويضيف الدكتور حسين الخالدي أن راغب بك النشاشيبي خاض الانتخابات وهو رئيس للبلدية، وكان واثقا كل الوثوق بفوزه أمام خصومه الذين رشحوا أحد أركانهم الذي كان عضوا في مجلس بلدية القدس من سنة (1927 – 1934)

واستقال مع غيره في اللحظة الأخيرة ليربك رئيس البلدية (راغب بك) ويسقط النصاب القانوني للمجلس بعد أن انسحبت كتلة الأعضاء الأربعة احتجاجا على سفر رئيس البلدية مع الوفد العربي الذي كان يرأسه سماحة المفتي إلى لندن، وباستقالتهم أملوا أن تضطر الحكومة إلى حل المجلس وتعيين من يقوم بأعبائه لحين انتهاء الانتخابات الجديدة. ولكنهم وجدوا أخيرا أن مرشحهم لن يستطيع النجاح أمام الخصم العنيد الجالس على كرسيه. فإذا فشل مرشح المجلسيين كان لفشله هذا صدى بالغ الأثر على كيان اللجنة التنفيذية والمجلسيين عامة. ولذلك عدلوا عن ترشيحه وفكروا بترشيح السيد عارف العارف الذي كان يشغل منصب قائم مقام بئر السبع في ذلك الوقت.

ثم يقول الدكتور حسين فخري "... وتشاء الظروف أن يحل السيد إحسان الجابري ضيفا على صهره الأستاذ موسى العلمي في مصيفه في شرفات بعد أن عاد من سويسرا مارا بإيطاليا قبل مجيئه للقدس. ولما كانت المعركة الانتخابية على أشدها، حاول الجابري وهو صديق للطرفين، أن يقوم بدور حمامة السلام، ولكن مساعيه لم تأت بالنتيجة المطلوبة. ... وكان الأستاذ العلمي كما قلنا مستشارا خاصا للمندوب السامي السير واكهوب، وصديقا حميما له، وكان القانون الجديد من طبخ المندوب السامي هذا، فجاءت الانتخابات وأنست العرب قضيتهم الوطنية شهورا عدة، ولم يكن حديث القوم إلا عن انتخابات البلديات وخصوصا بلدية القدس التي يتوقف عليها مصير الانتخابات الأخرى، وربما توقف عليها أيضا اتجاه سير القضية الوطنية. وكان في اعتقاد المندوب السامي ورغبته أيضا أنه سيعاد انتخاب راغب النشاشيبي رئيسا لبلدية القدس لحفظ التوازن السياسي بين المعسكرين".

ويواصل الدكتور حسين فخري سرده لأحداث تلك الأيام في مذكراته، فيكتب: " ... وبين عشية وضحاها، وقبل انتهاء موعد تقديم أوراق الترشيح بمدة لا تزيد على أربع وعشرين ساعة، استقلت (من وظيفتي) من رئاسة أطباء منطقة القدس بعد محاولات عدة من رؤسائي لإثنائي عن عزمي. وكنت قد فكرت منذ أمد بعيد بهذه الاستقالة تخلصا من أفق الوظائف الحكومية وقيودها. وفي ذلك اليوم قدمت الاستقالة بعد أن تنازلت عن حقي في المكافأة والتقاعد لخمس عشرة سنة قضيتها في دائرة الصحة العامة، وبعد أن عرض علي وظيفة وكيل مدير الصحة العام في فلسطين، وقد كانت من أعلى الوظائف الحكومية التي عرضت على العرب في ذلك الحين".

" ... ثم قدمت نفسي كمرشح للانتخابات في الدائرة الأولى في القدس، وهي الدائرة المرشح فيها رئيس البلدية، مع علمي بصعوبة ما أقدمت عليه، وكانت هذه هي الخطوة الأولى التي خطوتها في النزول إلى الحلبة السياسية اعتقادا مني أنني أستطيع خدمة بلادي وأمتي عن طريق الانتخابات. فهل كنت مخطئا أو مصيبا في عملي؟؟ هذا ما ستكشفه الأيام".

ويقول الدكتور حسين فخري: "... واجتمعت لأول مرة بسماحة المفتي الأكبر في مصيف الأستاذ العلمي في قرية شرفات. كان ذلك بحضوره وحضور صهره السيد إحسان الجابري، وكانت أعين المعارضة ترقب حركاتي وسكناتي في ذلك الحين. ثم جرت الانتخابات في اليوم المعين. ولم تشهد المدينة المقدسة، ولا فلسطين يوما كذلك اليوم. وجاءت النتيجة عند عد الأصوات بهزيمة راغب النشاشيبي ... ... لم تكن حكومة الانتداب أو الرأي العام يتوقعانها".

" وتقدمت الطعون في تلك الانتخابات بإيعاز من كثير من الجهات، وطال أمد النظر فيها من قبل المحاكم المختصة المؤلفة من حاكم بريطاني متفرد. وأجل إعطاء القرار، ثم أجل مرة أخرى، وجرت عدة محاولات للتأثير على المحكمة من بعض المراجع الحكومية وأصحاب راغب النشاشيبي من كبار الموظفين الإنجليز للحكم بفسخ الانتخابات وإعادتها. وكانت الكلمة النهائية في ذلك الوقت للمندوب السامي الذي لم يشأ أن يتدخل تدخلا مباشرا للتأثير على المحكمة، بل ترك لرئيسها حرية الرأي والحكم. وأخيرا أصدرت المحكمة حكمها بتثبيت الانتخابات". (وهكذا انتهت المعركة الانتخابية في أوائل شباط عام 1935).

" وتلا ذلك انتخابات البلدية في باقي المدن الفلسطينية، ففشل الكثيرون من أصدقاء راغب بك، وأصيبت المعارضة في الصميم، وفقد أعضاؤها توازنهم وما عادوا يعرفون ما يفعلون. فتداعوا إلى اجتماع كبير عقد في إحدى المدن الساحلية حضره الخاصة من كبارهم، وتناقشوا في الموقف الذي نتج عن فشلهم واتخذوا عدة قرارات كان من أبرزها طردي من المعارضة لأنني تجاسرت وخرجت عنهم ورشحت نفسي منافسا لرئيسهم وعميدهم، مع أنني لم أكن أنتمي في يوم من الأيام لأي فئة أو جماعة حزبية. وكنت منذ عودتي إلى فلسطين عام 1920 حتى ذلك اليوم موظفا كباقي الموظفين لا أشتغل بالسياسة، وملتزما بالحياد في جميع تصرفاتي وأعمالي. فكان قرارهم الذي اتخذوه ضدي موضع سخرية من الكثيرين والدافع لبعض أعضاء المعارضة للانسحاب منها".

وقد حدثني المحامي الأستاذ جمال حميد قاسم الذي التقيت به في السعودية عام (1961)، أنه شارك في مظاهرة شعبية شبابية عام (1935) توجهت إلى بيت الدكتور حسين في المصرارة لتهنئته بالفوز بعد صدور القرار.

الأحزاب الفلسطينية وحزب الإصلاح

ويستمر الدكتور حسين فخري في مذكراته (بيروت–1949) فيقول " ... وعند وفاة موسى كاظم باشا الحسيني عام 1934 انهار ركن شامخ من أركان النضال، فبكاه جميع العرب في فلسطين لما كان يتحلى به من عقيدة وطنية صلبة، ومرونة في التفكير والعمل الجاد، وعفة في اللسان وطيبة القلب وعطف على الكبير والصغير، وانهارت بوفاته اللجنة التنفيذية العربية، ولم يكن قد بقي منها إلا الإسم، ومكتب متواضع، وواحد من أمناء السر الثلاثة وهو الأستاذ جمال الحسيني ... ... ولم يكن في خزينتها بقية من مال ولا مستندات أو وثائق أو ملفات. أما أثاثها فقد توزع – وورث القسم الأكبر منه الحزب العربي الذي تشكل إثر حلها، والذي انتخب لرئاسته السيد جمال. وعادت البلاد القهقري إلى عام 1920/1919، وظلت الرعية بلا راع. وعند حل اللجنة قرر الأعضاء أن الحالة في البلاد والمصلحة العامة تقضي بوجود تكتلات حزبية، وكان قرارهم هذا من الأسباب التي أدت إلى توسيع شقة الخلاف وإثارة الضغائن الحزبية على نطاق أوسع مما كانت عليه قبل إلغائها".

" كان أول ما تأسس من الأحزاب، الحزب العربي الفلسطيني ورئيسه السيد جمال الحسيني، ثم حزب الدفاع العربي الفلسطيني ورئيسه راغب بك

النشاشيبي. ثم حزب مؤتمر الشباب العربي ورئيسه في دورته الأولى السيد راسم الخالدي، وتلاه في الرئاسة السيد يعقوب الغصين. ثم تأسس حزب الإصلاح العربي ولم يكن له رئيس، وكنت أنا (الدكتور حسين فخري) من أمناء سره. وأخيرا حزب الكتلة الوطنية ورئيسه المحامي عبد اللطيف بك صلاح".

" ومن الإنصاف أن نسجل أن حزب الاستقلال وعميده المحامي عوني بك عبد الهادي كان قد تأسس فعلا قبل أن تنحل اللجنة التنفيذية، فهو لم يكن حزبا جديدا بالمعنى الصحيح، لأن عميده كان ينتمي إلى حزب الاستقلال المعروف منذ الحكم الفيصلي في دمشق قبل احتلال الإنجليز لفلسطين. ومن أعضاء حزب الاستقلال الكثير من الشخصيات العربية البارزة في الأقطار العربية المجاورة، ولذلك فإن فرع حزب الاستقلال هذا في فلسطين لم يكن يضم إلا أشخاصا يعدون على الأصابع ... وكان لهم نشاط ملحوظ في عقد الاجتماعات الخاصة، وإلقاء الخطب الحماسية، يلقيها عميد الحزب أو خطيبه السيد أكرم زعيتر".

ويتساءل الدكتور حسين فخري بشأن هذه الأحزاب، فيقول: " ... بما أن مطالب الأحزاب كانت واحدة، إذا، فما الذي حدا بأعضاء اللجنة التنفيذية إلى حلها والاستعاضة عنها بنظام الأحزاب؟"

ويعلق حسين فخري على ما نسب إليه بشأن حزب الإصلاح فيقول: " ... وقد قيل في الأوساط الحكومية وغيرها أنني كنت الدافع لتأسيس حزب الإصلاح لأعزز به مركزي الجديد في رئاسة بلدية العاصمة. وكان هذا الظن خاطئا من أساسه، لأنني، وقد حضرت اجتماعه الأول في مدينة رام الله، لم

ألق في الاجتماع المذكور كلمة واحدة. ولكنني لا أستطيع أن أنكر أن بعض البارزين من أعضائه في ذلك الحين كانوا من أعضاء المعارضة أو أصدقاء شخصيين لرئيسها راغب بك. ولكن القسم الأعظم كان من الشخصيات الحيادية المحترمة. ويدل اسم هذا الحزب على الغاية التي كنا نرمي إليها. فقد آلمنا، كما آلم كل مخلص، أن نرى ذلك الانقسام الخطير في الجبهة العربية، وكأننا نتنبأ بما سيكون له من أثر سيء. فقد حاولنا إصلاح ذات البين بين الطرفين المتخاصمين، وكان لنا مع الطرفين اجتماعات عدة لا تزال محاضر جلساتها موجودة إلى اليوم. وكان في تفكيرنا جميعا أن نطالب بإلغاء الأحزاب إذا ما نجحنا في مسعانا. ولكن العناد والتصلب مع الأسف الشديد بلغا أشدهما من الطرفين حتى وصل الجرح إلى العظم كما يقولون". (انتهى)

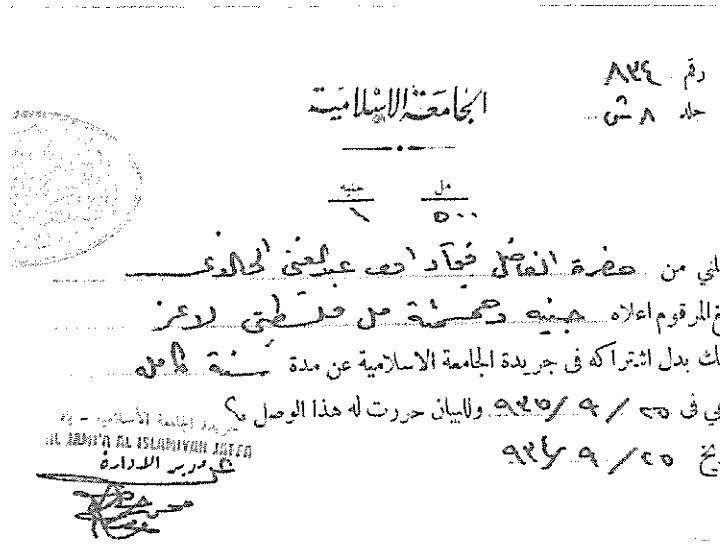
رقم ٨٢٩
جلد ٨ ش
الجامعة الإسلامية
مل ٥٠٠
وصلني من حضرة المحامي فؤاد افندي عبد المنعم الحلواني
المبلغ المرقوم اعلاه جنيه خمسة من جنيهات مصرية
وذلك بدل اشتراكه في جريدة الجامعة الاسلامية عن مدة سنة واحدة
تنتهي في ٣٠/٩/١٩٤٥ والبيان حررت له هذا الوصل
التاريخ ٢٠/٩/١٩٤٤
عن مدير الادارة

مواجهة أخطار شراء الأراضي

لم يقتصر نضال الفلسطينيين في تلك الفترة من العشرينيات وأوائل الثلاثينيات على مقاومة الاحتلال والصهيونية. بل كانت هناك مقاومة لحركة شراء الأراضي من قبل عملاء الوكالة اليهودية وصندوق أراضي إسرائيل – الكيرين كاييمت وغيرهم. فبالإضافة إلى الأراضي التي اشتراها الصهاينة قبل الانتداب البريطاني، يذكر الدكتور الكيالي أن اليهود تمكنوا في فترة 1921–1925 من الحصول على 260 ألف دونم من ملاكين مقيمين خارج فلسطين كما تمكنوا من الحصول على بعض الحصص من أراضي القرى ذات الملكية الجماعية "المشاع". وقد عملوا على طرد الفلاحين من هذه الأراضي. كما استولى الصندوق الوطني اليهودي على أراضي وادي الحوارث في مزاد علني تم بناء على قرار إحدى المحاكم استيفاء لدين مستحق. وطالب الفلسطينيون حكومة الانتداب بدون جدوى بإصدار قوانين لحظر بيع الأراضي ووقفت غالبية الشعب وخاصة القرويين ضد بيع الأراضي وضد السماسرة الذين نشطوا في تلك الأيام، كما ثاروا ضد إجراءات الحكومة التعسفية التي كانت تتدخل لحرمان الفلاحين من أراضيهم لتباع للمشاريع الاستيطانية الصهيونية[55].

وظهرت في تلك الفترة أغان وأهازيج شعبية تحث الناس على التمسك بأراضيهم:

على يا مين رايح تسلبني أرضي وبلادي مني
أنا ما بسلم لا والله لو سلبوا روحي مني

---

[55] الكيالي: 248 – 249

قولوا للي يبيع أرضه أجدادك عنك ما بيرضوا
ومين يرضى يكون خادم وفي البراري هايم
ما بيبيع أرضه اللي فاهم فاهم دينه فاهم معنى الوطن

ومنها أيضا:

هاالسماسرة الخاينين من غير ذمة ومن غير دين
بيعونا ... أراضينا مهد الرسل فلسطين
بعت أرضك شو فادك ورث أبوك وأجدادك

وفي تلك الفترة ظهرت بعض المشاريع لمقاومة تسرب الأراضي لليهود[56]. ولم يكن فؤاد عبد الغني بعيدا عما كان يجري هناك. فبالإضافة إلى نشاطاته المتعددة، حاول هو والدكتور حسين فخري الخالدي البدء بمشروع إنشاء مؤسسة فلسطينية بدعم من البنك الزراعي العربي (بنك الأمة العربية فيما بعد) تقوم بمنافسة بعض المؤسسات الصهيونية في عمليات شراء الأراضي الفلسطينية. وبالفعل عندما ظهرت نوايا بعض المؤسسات الصهيونية لشراء أراض في قرية نحالين في قضاء الخليل، قام فؤاد والدكتور حسين بشراء بعض الأراضي هناك. ولكن ولسوء الحظ لم يكتب لهذا المشروع الاستمرار لعدم توفر الدعم الكافي والجدي من أصحاب رؤوس الأموال العربية.

---

[56] الكيالي: 248 – 249

الثورة الكبرى[57] 1936 –1937

اجتاحت فلسطين أزمة اقتصادية كبيرة عام 1935، كما شجع النضال الوطني في سوريا ومصر الفلسطينيين على حمل السلاح ضد الاحتلال. وبعد شهر واحد من ثورة عز الدين القسام، حاول المندوب السامي امتصاص غضب الناس فأصدر بيانا يتناول إنشاء مجلس تشريعي فلسطيني مع اقتراح آخر بتحديد بيع الأراضي. وقد استقبل زعماء الأحزاب العرب المشروع بتحفظ إلا أن زعماء اليهود رفضوا الجزء الخاص ببيع الأراضي.

وفي شباط 1936 قامت مواجهات بين العرب واليهود في يافا، وفي 20 نيسان 1936 شكلت في نابلس لجنة عربية قومية قررت إعلان الإضراب العام على أن يستمر إلى أن تستجيب سلطات الانتداب إلى المطالب الفلسطينية القومية. وتبعتها اللجان في حيفا ويافا وغزة. ويروي الدكتور عبد الوهاب الكيالي في كتابه "تاريخ فلسطين الحديث" أحداث تلك الأيام فيقول: "وهنا سارعت الأحزاب إلى التجاوب مع هذه الحركة. وفي 25 نيسان 1936 عقد اجتماع ضم جميع الأحزاب العربية، وشكلت لجنة عليا عرفت فيما بعد باللجنة العربية العليا، ووافق الحاج أمين بعد تردد على أن يكون رئيسا لها. أما أعضاء اللجنة الآخرون فكانوا: عوني عبد الهادي– سكرتيرا، وأحمد حلمي عبد الباقي، مدير بنك الأمة، وراغب النشاشيبي، والدكتور حسين فخري الخالدي، ويعقوب الغصين، ويعقوب فراج، والفرد روك أعضاء. وأعلنت اللجنة أنها أصبحت الآن لجنة لمواصلة الإضراب إلى أن تقوم الحكومة

---

[57] الكيالي: 260

بإيقاف هجرة اليهود إلى فلسطين، ومنع بيع الأراضي، وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس تمثيلي. وزاد من حدة المرارة عند العرب خطاب ألقاه وايزمان في تل أبيب في 1936/4/23 أعلن فيه أن الصراع العربي- الصهيوني هو صراع بين قوى الصحراء والخراب من جهة وقوى الحضارة والعمران من جهة أخرى"[58].

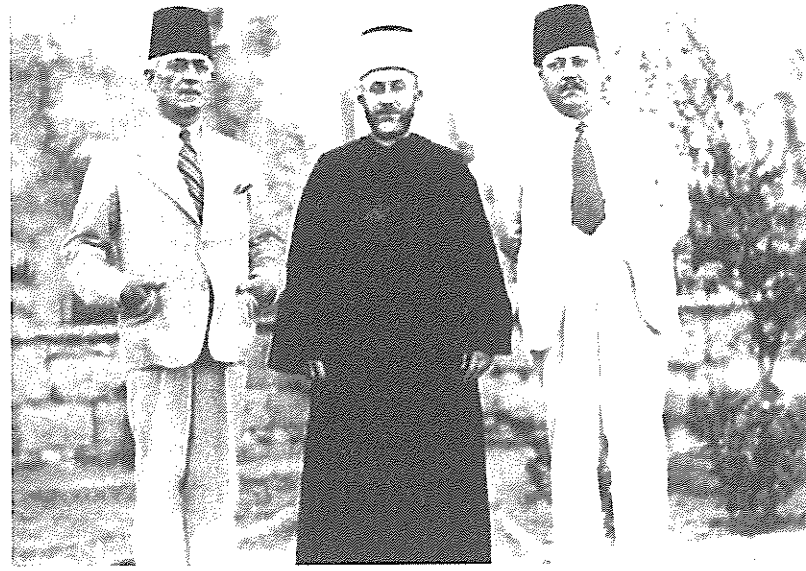

(قادة اللجنة العربية العليا – 1936) الحاج أمين الحسيني رئيس اللجنة يقف في الوسط وعن يمينه يقف راغب النشاشيبي الرئيس السابق لبلدية القدس وعن يساره يقف الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس بلدية القدس.

(عن كتاب " لقطات مغايرة " لعصام نصار)

---

[58] الكيالي: 264

"وكان أكثر الزعماء نشاطا ومقدرة في تلك الفترة هو عوني عبد الهادي الذي زج به في معسكر للاعتقال في قرية صرفند، ولاقى خليفته في المنصب عزت دروزة نفس المصير. أما رئيس اللجنة الحاج أمين فإن المندوب السامي واكهوب كان يبدي الكثير من التقدير والامتنان لمواقفه المعتدلة، حيث كتب واكهوب يقول: "إن الحقيقة التي تسترعي الانتباه أن صلوات الجمعة وخطبها اقترنت بدرجة من الاعتدال تفوق كثيرا ما كنت أتوقعه، والفضل في ذلك يعود في الدرجة الأولى إلى المفتي".

الاغتيالات السياسية (1938)

تأزم الوضع وبدأ نشاط تنظيمات الكفاح المسلح في القرى، وقامت في فلسطين حركة للمقاومة. ولكن وللأسف ولغياب قيادة وطنية منظمة في فلسطين، ظهرت أحيانا قيادات عشوائية للثوار وظهر معها نعرات طائفية بين الفلاحين وأبناء المدن.

واشتدت مشاعر النقمة عام 1938، فعمت الفوضى الريف الفلسطيني بعد أن اختلطت الأمور وطغى بعض زعماء الثورة فصاروا يهددون الناس ويقتلون ويخطفون الرجال من بيوتهم ويسجنونهم في الآبار المهجورة ويفرضون عليهم الأتاوى، وقد اشتهر من زعماء تلك الجماعات في منطقة القدس يوسف أبو درة الذي أعلن ما سمي بالحكومة العربية الحرة. وظهرت في ذلك الوقت عصابات مجرمة تقطع الطرق مثل عصابة العرميط وعصابة أبو جلدة الذي اشتهر بقتله لليهود والإنجليز والعرب على حد سواء. ويذكر الكيالي أن بعض

هذه العصابات كانت متحالفة مع بعض عائلات الأعيان مثل عائلة الحسيني وعائلة النشاشيبي حيث كان لها دور في الاغتيالات وتصفية الحسابات.
وفي عام 1938 اضطر سكان المدن إلى ارتداء الكوفية والعقال بدلا من الطربوش وذلك لتفادي نقمة القرويين الذين صاروا يعتدون على لابسي الطرابيش لأن الطربوش كان لباس الرأس عند أهل المدن. كما فرض الحجاب على السيدات المسلمات والمسيحيات على حد سواء[59].

فؤاد عبد الغني وعلاقته ببعض القرى الفلسطينية جنوب القدس

لم يحدثنا فؤاد إلا عن القليل من نشاطاته في العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، وأكثر ما كتبته هنا هو من روايات معارفه وأصدقائه كيوسف كيروز أو من عملوا معه كمرزوق (أحد رجاله من بتير) أو حمدان الحسن الذي ورد ذكره أكثر من مرة في هذه المذكرة. وقد تمكنت من أن أستنتج أنه كان لفؤاد عبد الغني علاقة قوية مع بعض أهالي القرى في منطقة جنوب القدس وقضاء بيت لحم والخليل ورث بعضها عن جده محي الدين ثم طورها هو بمجهوده الشخصي خلال العشرينيات والثلاثينيات حيث كان له نشاط واسع وسمعة طيبة في تلك القرى، وكثيرا ما كان القرويون يقصدونه مستنجدين كلما صادفتهم مشكلات وأزمات، وكثيرا ما تدخل بينهم لحل المشاكل ولنصرة الضعفاء والمحتاجين منهم بشكل يرضي جميع الأطراف حتى لو اقتضى الأمر في بعض الأحيان أن يبذل من ماله الخاص في سبيل

---

[59] الكيالي: 293

المصالحة بين الخصوم. وقد روى لي يوسف كيروز أنه ذات مرة لجأ بعضهم إلى فؤاد عبد الغني بعد خصومة انتهت بحادثة قتل كانت غير متعمدة. خاف أهل القاتل من الثأر فاستجاروا بفؤاد عبد الغني. وهنا قام فؤاد بإيواء المستجيرين إلى أن استدعى الطرف الآخر وتكفل بصلح عقده بين الطرفين بينما تكفل هو بنفقات المصالحة التي شملت دفع دية القتيل من ماله الخاص.
كما يذكر أنه في تلك الفترة (1936/1934) تعرضت امرأة أرملة من قرية بتير، قضاء بيت لحم، للظلم من قبل أهل زوجها الذين استولوا ظلما على أرضها وأرض أبنائها، فاستنجدت بفؤاد الذي حاول حل المشكلة بطريقة ودية، وفي اليوم المحدد لزيارته إلى بتير وصل فؤاد بسيارته وكان برفقته موسى الموسوس من القدس. أوقف فؤاد السيارة على الشارع الرئيسي وصعد هو ورفيقه مشيا إلى القرية في طريق ترابية. وما كادا أن يصلا إلى مشارف القرية حتى واجهتهما جموع الفلاحين الغاضبة من رجال ونساء بمظاهرة ساخطة، فتراجع فؤاد هو ورفيقه إلى الشارع الرئيسي وقفل راجعا إلى القدس. ولما علم فيما بعد أن تلك المظاهرة قد دبرت من قبل أهل زوج المرأة الأرملة ونصيرهم عبد الفتاح، مختار القرية، أرسل لهم جماعة من أعوانه استطاعت أن تعيدهم إلى الصواب والاعتراف بالحق الشرعي للمرأة وأبنائها مما اضطرهم إلى الرجوع إلى الحق وطلب المصالحة. وعاد فؤاد بعد أيام إلى بتير فاستقبل بالزغاريد والأهازيج، وذبحت الذبائح وأقيمت الولائم واعتذر وجهاؤهم عما بدر من سفهائهم، ورد للمرأة حقها الضائع. وقال صفوت عارف الدجاني، صديق فؤاد الذي رافقه هذه المرة إلى بتير: "والله ما رأيت استقبالا شعبيا يضاهي هذا الذي رأيته اليوم".

مواقف نبيلة في الزمن الصعب

في يوم الأربعاء 13 تموز 1988، وهو اليوم الثالث لوفاة فؤاد عبد الغني، حضر إلى بيت العزاء أحد أصدقاء فؤاد القدامى وزميله في الدراسة أيام الكلية الإنجليزية واسمه الحاج توفيق دياب حسن، وهو من وجهاء بيتونيا، وعمل في فترة سابقة قنصلا فخريا للولايات المتحدة في منطقة رام الله، وقد حدثنا في تلك المناسبة عن فؤاد عبد الغني أيام الفوضى الغوغائية عام 1936-1938. فقال أن القاضي حزبون استنجد به (أي بالحاج توفيق) في تلك الفترة عندما جاءه بعض رسل أحد قادة الثورة مهددين. وطلبوا منه أن يأخذ ملفا خاصا بإحدى القضايا من مكتب الأرشيف ويسلمه لهم في مكتبه هو، وإلا فسوف يكون عقابه وخيما. فخاف القاضي خوفا شديدا، فهو لا يستطيع أن يرفض طلبهم ولا يستطيع أن يلتجئ للشرطة في تلك الظروف الصعبة لأنه إن فعل ذلك يعرض نفسه وعائلته للموت في زمن سادته الفوضى. فعرض على الرسل الذين جاءوه أن يسهل لهم أخذ الملف من مكتبه، فرفضوا. فقال: أضع الملف على المكتب وأدير ظهري متظاهرا بأنني أبحث عن شيء في الخزانة، فتدخلون وتأخذون الملف فرفضوا وأصروا على أن يحمل هو بنفسه الملف المطلوب بيده ويعطيه لهم في الوقت والمكان المعينين. قال الحاج توفيق: "فما كان مني إلا أن أحضرته إلى بيت فؤاد عبد الغني ليعرض شكواه عليه، ولما دخل علينا فؤاد ارتمى حزبون على قدميه وقال: "أنا طنيب عليك". فأحرج فؤاد حرجا شديدا ورفعه والدموع في عينيه وهو يقول أستغفر الله يا رجل". وفي اليوم الموعود حضر فؤاد إلى المحكمة وأخذ الشابين معه، وحملهما مسؤولية مضايقة القاضي المذكور. وبالفعل انتهت المشكلة.

وفي تلك الأيام العصيبة، جاء إلى بيت فؤاد عبد الغني بباب السلسلة في البلدة القديمة شابان ملثمان يحملان رسالة من أحد قادة الثورة. والرسالة موجهة إلى فؤاد أفندي الخالدي يطلب فيها القائد من فؤاد تسليمهما سيارته لأن القائد يحتاج إليها ليتمكن من تأدية دوره الوطني في الجهاد ضد الإنجليز. فما كان من فؤاد إلا أن مزق الرسالة وصرفهما خائبين مع رسالة شفهية منه إلى القائد وهي أننا نحن في القدس لنا دور مهم كذلك نؤديه في خدمة الوطن. وحسب ما جاء في كتاب الكيالي فقد استمر الإضراب في فلسطين وحاول الزعماء العرب الضغط على الفلسطينيين لإنهائه ولكنهم لم ينجحوا. تدخل الأمير عبد الله، أمير شرق الأردن ونوري السعيد وزير خارجية العراق وغيرهم من الزعماء ولكن بدون جدوى. وفي أكتوبر 1936 وجه الملك بن سعود والملك غازي والأمير عبد الله نداء مشتركا دعوا فيه إلى حل الإضراب ووقف الثورة، والاعتماد على "النوايا الحسنة لصديقتنا بريطانيا العظمى التي أعلنت أنها ستحقق العدالة". واستجابة لهذا الطلب توقف الإضراب الذي دام حوالي ستة أشهر وتوقفت الثورة[60]. وجاءت إلى فلسطين لجنة التحقيق الملكية البريطانية التي عرفت بلجنة بيل، ودعت اللجنة زعماء اللجنة العربية العليا للمثول أمامها للإدلاء بشهاداتهم، ولكن الأكثرية آثرت مقاطعة اللجنة، وبدأ الانقسام والتفكك من جديد في صفوف الزعماء، فاستقال راغب بك النشاشيبي من اللجنة العربية العليا لأن رئيسها الحاج أمين يتصرف دون استشارة بقية الأعضاء. وفي 7 تموز 1937 نشر تقرير اللجنة الملكية التي أوصت بتقسيم

---

[60] الكيالي: 277

البلاد، وقد وافقت الحكومة البريطانية علية وعارضه العرب، فقامت الانتفاضة من جديد في جميع أرجاء البلاد، وحاولت الحكومة القبض على الحاج أمين في ذلك اليوم ولكنه اعتصم بالحرم الشريف.

المرحلة الثانية من الثورة الكبرى[61]

انتهزت السلطات البريطانية مناسبة اغتيال أندروز حاكم الجليل وحرسه في سبتمبر 1937 وأعلنت أن اللجنة العربية العليا وجميع اللجان القومية هي مؤسسات غير شرعية، وأقصي المفتي عن جميع مناصبه واعتقلت السلطات خمسة من أعضاء اللجنة العربية العليا وأرسلتهم إلى حيفا ووضعتهم على إحدى السفن لنفيهم إلى جزر سيشل في المحيط الهندي.

كان راسم الخالدي آنذاك رئيسا لمؤتمر الشباب العربي في دورته الأولى. وفي مساء الثلاثين من أيلول 1937، جاء إلى بيت فؤاد عبد الغني بباب السلسلة ساخطا متذمرا من موقف الزعامة الفلسطينية التي لم تكن تنوي الدعوة رسميا إلى القيام بأي احتجاج شعبي على إلقاء القبض على زعماء اللجنة العربية وترحيلهم إلى حيفا قبيل نفيهم إلى سيشل.

وهنا قام فؤاد بتوجيه الرجال في جبل المكبر وفي مناطق أخرى وكانت تلك الأعمال بمثابة الشرارة الأولى للثورة في المرحلة الثانية (1937). وقد حدثني حمدان الحسن سرور (وهو من عرب السواحرة) عن بعض ما جرى تلك الليلة وكيف ذهب هو وبعض الرجال لنسف أحد (عبارات) جسور خط السكة الحديدية، ولما لم يفلحوا باستعمال الديناميت أكملوا عملية التخريب بالفؤوس والمجارف. وفي تلك الليلة أيضا أطلقت النيران على مركز الشرطة في جبل المكبر، وأطلقت النيران على إحدى دوريات الشرطة في القدس وهوجمت إحدى المستوطنات اليهودية في المنطقة. وفي اليوم الثاني من تشرين الأول

---

[61] الكيالي: 287

1937 أعلن الإضراب في القدس احتجاجا على نفي الزعماء، ثم امتد الإضراب ليشمل كل البلاد بعد أن أبعد الزعماء إلى سيشل.

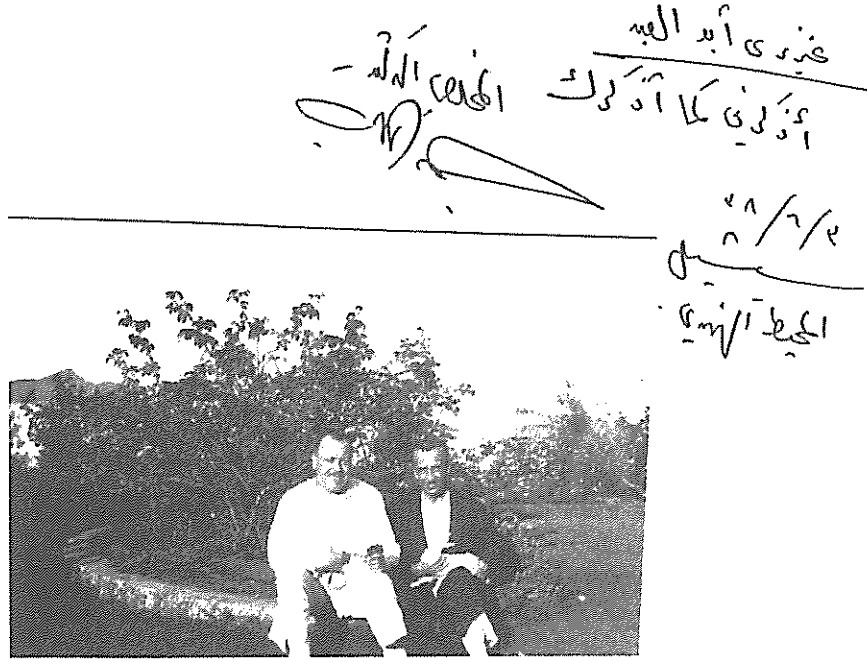

للذكرى – من سيشل

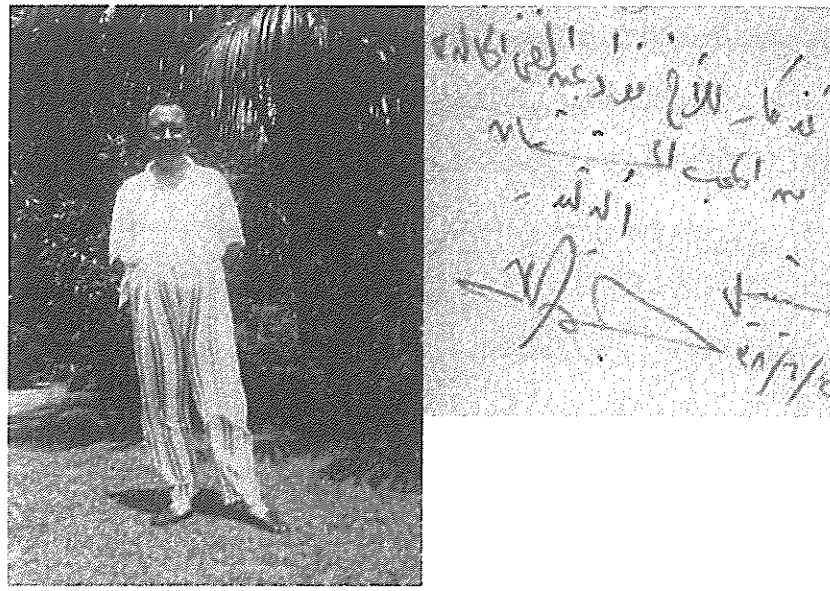

سيشل في 4 حزيران 1938

ويصف الدكتور الكيالي ما جرى في تلك الأيام فيقول: وهكذا فقد اشتعلت الثورة وعم الإضراب من جديد؛ إلا أن الحاج أمين أصدر بيانا في الخامس من تشرين الأول 1937 دعا فيه الناس إلى إنهاء الإضراب والعودة إلى أعمالهم على الرغم من أنه تمكن من الاعتصام بالحرم الشريف لأن البلدة القديمة داخل الأسوار كانت قد أصبحت عصية على جيش الاحتلال في تلك الفترة. ولم يدخل الجيش البريطاني البلدة القديمة إلا بقوات معززة بعد مدة واعتقل بعض الناس.

مشاركة فؤاد في الثورة

كان لفؤاد عبد الغني دور ملحوظ في إشعال فتيل الثورة، وقد روى لي يوسف كيروز بعض ما كان قد سمعه عن تلك الأيام، فقال: كانت جماعة فؤاد عبد الغني تتمركز في جبل المكبر وفي قرية راس أبو عمار التي تبعد عن مركز مدينة القدس حوالي عشرة كيلو مترات إلى الجنوب الغربي.

قرية راس أبو عمار – دمرها الصهاينة عام 1948 وفي عام 1960 بنوا فوق أراضيها مستعمرة أسموها تسور هداسا[62]

[62] وليد الخالدي – كي لا ننسى

بدأ فؤاد كعادته بإمداد الرجال بالمال والعتاد من جيبه الخاص. ولكن بعد فترة وجيزة، ولسوء الأحوال التي مرت بفؤاد عام 1937 حيث كان ملاحقا من سلطة الاحتلال، لم يستطع الاستمرار في دعم رجاله وتأمين احتياجاتهم، فاضطر إلى اللجوء إلى المجلس الإسلامي الأعلى الذي كان يقوم بتزويد بعض الثوار بالذخيرة. وقد أصيب فؤاد بخيبة أمل كبيرة عندما لم يتمكن من الحصول على ما يلزم رجاله من المؤن والعتاد بشكل دائم، واشتد الوضع سوءا بعد أن اعتقل ثم حددت إقامته في القدس بعد أن أطلق سراحه.

بدأت سلطات حكومة الانتداب بملاحقة النشطاء، فهرب راسم الخالدي إلى لبنان وظل هناك حوالي سنتين. ولما ضيقت قوات الاحتلال على الفلسطينيين الملتجئين إلى لبنان، هرب الجميع ومعهم راسم بطبيعة الحال إلى بغداد وظلوا هناك إلى أن قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام 1941، فهرب راسم إلى ألمانيا بعد فشل الثورة وسيطرة الجيش البريطاني والجيش العربي بقيادة غلوب باشا على بغداد.

أما فؤاد عبد الغني فقد هرب من القدس وصار متنقلا مع بعض رجاله من عرب السواحرة في جبل المكبر ومن قرى جنوب القدس إلى أريحا ملتجئا أحيانا إلى دير حجلة ودير مار يوحنا في الغور أو إلى الدير في جبل قرنطل.

كما أنه لم ينقطع عن زيارة بيته في البلدة القديمة في القدس، فكان يتردد عليه ليلا وفي أوقات غير منتظمة. وكان أفراد العائلة يرونه أحيانا حين يصل إلى البيت بعد المغرب، وأحيانا أخرى كان يأتي في ساعة متأخرة جدا من الليل لم يكن الأبناء يعلمون عن وصوله ومغادرته إلا في صباح اليوم التالي. وفي إحدى تلك الليالي وصل إلى البيت في منتصف الليل. جاء ليأخذ العائلة إلى أريحا. فنزل الجميع من البيت إلى طريق باب السلسلة، ومنها إلى طريق الواد حيث كانت سيارته واقفة أمام حمام العين. كل شيء كان هادئا، والسكون مخيما، والطرق خالية مظلمة.

وما هي إلا دقائق حتى أصبحت السيارة مسرعة على الطريق خارج أسوار المدينة. عندها حدثته زوجته بصوت خافت، كأنها لا تريد أن توقظ الأبناء الذين كانت تظن أنهم استغرقوا في النوم على مقعد السيارة الخلفي. قالت: إلى متى يا أبو عبد؟ كيف تكون أحوالنا أنا والأولاد إن أصابك مكروه لا سمح الله؟

من لنا؟ ظل صامتا، وظلت تتحدث إليه همسا. وبعد فترة من الصمت أجاب بصوت هادئ منخفض. قال: يا زهية، تعلمين أنني ملاحق من الإنجليز، ماذا تريدين أن أفعل؟ هل أذهب صباح غد لأسلم نفسي للبوليس الإنجليزي؟ ساد صمت طويل من جديد، أو ربما استغرق الأبناء في النوم ليصحوا حين كانت السيارة واقفة بين الأشجار داخل بيت نتاشا في أريحا. ونتاشا هذه هي امرأة مسكوبية (روسية) عجوز، كانت هي وبعض النساء المسكوبيات يؤجرن بيوتهن في أريحا لبعض العائلات المقدسية التي اعتادت أن تقضي بعض أشهر فصل الشتاء في أريحا. أخذتهم نتاشا وهي تحمل فانوسا إلى داخل البيت. وفي صباح اليوم التالي استيقظ الأبناء ليجدوا أن فؤاد قد غادر البيت. قيل أنه غادر بسيارته قبل شروق الشمس من بوابة البيت الخلفية لأن نتاشا أخبرته بوجود نشاط غير عادي على الطريق عند باب البيت الرئيسي.

عادت العائلة إلى القدس بعد بضعة أسابيع بسيارة أجرة يسوقها عبد الطز الذي كان يعمل على خط القدس– أريحا. وفي القدس، ونظرا للظروف غير العادية التي كانت تمر بها البلد، كان فؤاد قد وظف أحد رجاله، واسمه رشدي، للعمل حارسا للبيت ومسئولا عن احتياجاته الخارجية أثناء غيابه هو، بينما عملت ديبة زوجة رشدي في الأعمال المنزلية داخل البيت. وأذكر ذات مرة أني كنت جالسا على مقربة من إحدى نوافذ البيت المطلة على باب الحرم أراقب رشدي وهو يجلس على إحدى مصاطب باب الحرم حين مر رجل ملثم أطلق النار على أحد المارة فرماه أرضا، ثم ولى هاربا. لم أشاهد بقية تفاصيل ما حدث لأن والدتي جاءت مسرعة نتيجة صوت إطلاق النار المدوي وأبعدتني عن النافذة.

إعتقال فؤاد

كان رشدي وديبة يقيمان في غرفة قريبة من باب الدار الخارجي لها نافذة مطلة على طريق باب السلسلة الرئيسي. وكان فؤاد قد طلب من رشدي عدم فتح باب البيت لأي طارق وفي أي وقت قبل إعلامه بالأمر إن كان موجودا في البيت. ومن قبيل الاحتياط كان فؤاد قد وضع سلما في ساحة البيت في الطابق العلوي يؤدي إلى السطح يمكن استعماله للهرب إن دخلت قوات البوليس إلى البيت ساعة وجوده فيه. وفي إحدى الليالي التي كان فيها فؤاد يزور البيت جاءت قوة من البوليس الإنجليزي في منتصف الليل إلى باب البيت برفقة جاسوس معروف في ذلك الوقت اسمه عبد الله المغربي. ولسبب ما كان القادمون يعلمون أن رشدي وديبة ينامان في الغرفة القريبة من باب البيت. فلم يطرقوا الباب، بل تسلق أحدهم إلى نافذة غرفة رشدي وديبة وسلط ضوء مصباح بطارية كان في يده إلى داخل الغرفة، شاهرا مسدسه في نفس الوقت وصاح على رشدي طالبا إليه فتح الباب بدون إثارة أي ضجة. وبالفعل امتثل رشدي وفتح باب البيت الخارجي، وما هي إلا دقائق حتى كان رجال البوليس يفتحون باب إحدى الغرف وكانت تنام فيها السيدة رتيبة البديري خالة فؤاد، فصاحت عليهم: هنا حريم. فتركوها بعد أن تأكدوا من الوضع واتجهوا إلى غرفة نوم فؤاد فدخلوها وهو نائم؛ واعتقلوه، وفتشوا البيت تفتيشا دقيقا ثم انصرفوا.

وفي عصر أحد الأيام بينما كنا كعادتنا نلعب على الحشيش الأخضر في الحرم مع أبناء دار أبو السعود، جاء من يخبرنا أن فؤاد خرج من المعتقل وعاد إلى البيت. ذهبت أنا وعبد الغني إلى البيت مسرعين وفوجئنا بأن غرفة

الاستقبال والساحة الواسعة المؤدية لها كانتا تغصان بالضيوف الذين جاؤوا للتهنئة. كان من بينهم أبناء العائلة، وكان من بينهم أبناء حارة باب السلسلة من آل القزاز وآل سرندح وآل أبو عيد وأبو جبنة وغيرهم، وحتى بعض رواد مقهى الدعدعون المجاور للمكتبة الخالدية كانوا من بين المهنئين. فوجئنا بوجودهم هناك لأننا لم نكن نتوقع أنهم كانوا على علم بما كنا نفتقده في بيتنا. خرج فؤاد من المعتقل بعد أن صدر أمر عسكري يلزمه بزيارة قشلاق البوليس ثلاث مرات يوميا، ويمنعه من مغادرة القدس لأي سبب كان.

وهكذا فقد كانت الفترة بين 1937 – 1939 صعبة جدا من جميع الوجوه على الفلسطينيين. فالثورة كانت نتيجتها الفشل، والفوضى عمت البلاد، والحالة الاقتصادية أصبحت سيئة. وبالنسبة لفؤاد لم يكن الوضع مختلفا. فإقامته محددة في القدس، ومصالحه معطلة في المزرعة التي أصبحت خرابا، والثورة الفلسطينية التي شارك فيها لم تأت بالنتيجة المرجوة، ولا عجب أنه أصيب بخيبة أمل كبيرة لازمته طول حياته.

وأذكر أنني رافقت فؤاد عام 1943 حين ذهب لزيارة الدكتور حسين فخري بعد أن عاد إلى القدس من بيروت. وبينما هما يتحدثان عن أمور عديدة لم أتمكن من متابعتها أو فهمها لصغر سني، توجه إلي العم حسين يسألني ضاحكا: "هل تدري يا عاصم لماذا شعر أبيك شديد البياض؟ " فوجئت بالسؤال الذي لم أتوقعه. فضحكت وقلت: " أظنه أبيض لكثرة استعمال الكولونيا." فضحك العم بصوت عال وقال: " لا، يا عاصم. شعره أبيض من كتر ما شاف." (من كثرة ما رأى من الأخطار).

وفي الأيام المتلاحقة التي تلت اعتقال ونفي أعضاء اللجنة العربية العليا، تمكن الحاج أمين من الهرب من الحرم الشريف ليلة 1937/10/14 متخفيا بزي امرأة بعد أن تدلى بواسطة حبل من على أسوار الحرم إلى قرية سلوان، واتجه إلى لبنان حيث بقي فترة من الزمن، ولما اختلف الوضع في لبنان بسبب فشل ممثلي حكومة فيشي الفرنسية، هرب إلى العراق حيث اشترك في ثورة رشيد عالي، ثم هرب من بغداد إلى ألمانيا مع القنصل الألماني في بغداد.

لم يدم نفي الزعماء الفلسطينيين سنين طويلة، فقد أطلق سراحهم في أواخر عام 1938 ولم يسمح لهم بدخول فلسطين حتى سنة 1943. أما فلسطين فقد شهدت في تلك الفترة (من 1936–1939) تدهورا كبيرا في الوضع الاقتصادي عموما كما أسلفنا، وواجه فؤاد عبد الغني مصاعب مادية كثيرة خلال الثورة وخصوصا خلال الفترة التي حددت فيها إقامته في القدس. ومع بداية الأربعينيات حاول العودة إلى البصة التي أصبحت أرضا جافة، خربة بعد أن تركت بدون رعاية لسنوات طويلة. وكان إصلاح أوضاعها يحتاج إلى أموال كثيرة مما اضطر فؤاد إلى البحث عن شركاء يمكنهم توفير الأموال اللازمة لإرجاع البصة إلى وضعها السابق. وكان آخر هؤلاء الشركاء هو أحمد مصطفى أبو زيد صاحب شركة أبنية الرياض في يافا، حيث أسس فؤاد عبد الغني مع أحمد أبو زيد شركة الزراعة العربية المقدسية. وقد استمر أبو زيد شريكا لفؤاد حتى أوائل عام 1946 حين فضت الشركة واشترى أبو زيد المزرعة كلها وتخلى فؤاد عن أحلامه وعن البصة التي قضى فيها شبابه وأحلى أيام عمره، فكانت هذه هي نهاية نشاطه الزراعي في الغور. وفي

الأربعينيات صادف أن اتفق فؤاد مع أبناء عمه على تكليف فؤاد عطا الخالدي بإدارة الأملاك وقبض وارداتها ومسك دفاترها وحساباتها، كما اتفقوا على إنشاء شركة الأبنية الخالدية التي كان من المفروض أن تقوم في المرحلة الأولى ببناء بعض المنشآت التي كان يفترض أن تضم دارا للسينما في المصرارة، على أن تقوم بإنشاءات أخرى بعد إتمام المرحلة الأولى. وبالفعل فقد حصلوا على رخصة البناء ورخصة السينما وبدأوا بالعمل الذي توقف بسبب الاضطرابات التي سادت في فلسطين عام 1947. ولم تكن هذه الأوضاع نتيجة لثورة العرب هذه المرة، بل كانت نتيجة للنشاط الذي قامت به المنظمات الصهيونية السرية ضد الإنجليز والذي كان يهدف إلى إجبارهم على التغاضي عن السفن التي كانت تصل سرا إلى الشواطئ الفلسطينية محملة بمئات من المهاجرين اليهود القادمين من أوروبا بدون تنسيق مع سلطة الانتداب البريطانية.

أناشيد وطنية في الثلاثينيات

كلما كان فؤاد يأخذ أفراد العائلة في الثلاثينيات والأربعينيات في سيارته خارج المدينة، كان ينشد مع أفراد عائلته بعض الأناشيد التي كانت شائعة في تلك الأيام:

يا فلسطين يا فلسطين هواك لي دين
أمة العرب سيروا للحرب بصارم خضب
ساوموا الردى حاربوا العدا بلادنا لنا
بلادنا حياتنا بها ننال عزنا

يا فلسطين يا فلسطين هواك لي دين
ماؤك العذب أرضك الخصب وأهلك العرب
يا فلسطين ... ...
بقعة القدس نزهة النفس مهبط الأنس
ساوموا الردى حاربوا العدا بلادنا لنا
بلادنا حياتنا بها ننال عزنا
يا فلسطين ...

ومن تلك الأناشيد أيضا:

ذكرى الوطن تسعرت نيرانها بين الضلوع
ذكرى فلسطين قد حمت عن أعيني طيب الهجوع
يا موطنا بظله ربيت يا مهد الأسود
يا شمس عز نورها أضاء من ماضي الجدود
شمس الضحى بلادنا أذرى بعلياها الكسوف
لا ري أو نسقي العدا أعداءها كأس الحتوف
أوطاننا تبددت والقلب من حزن كئيب
والمجد منا قد ذوى فهل بذا عيش يطيب ؟؟

كانت الفترة بين 1940-1945 فترة هدوء نسبي، وفي عام 1945 عادت الهيئة العربية العليا إلى مزاولة نشاطها في فلسطين، وتأسست في يافا ميليشيا النجادة، وفي عام 1946 عاد جمال الحسيني إلى فلسطين وأسس ميليشيا الفتوة بعد عودته بمدة بسيطة. كما عاد الحاج أمين الحسيني من أوروبا إلى مصر.

أما الميليشيات الصهيونية (بما فيها الهجناه وجميع المنظمات الصهيونية السرية)، فقد أعلنت العداء ضد الاحتلال البريطاني عام 1945، وبدأت تقوم بأعمال ضد الجيش البريطاني ومرافق الحكومة. وقد شملت تلك الأعمال قتل وخطف الجنود البريطانيين، ونسف الجسور والسكك الحديدية؛ وكان أكبر تلك الأعمال تفجير مقر الحكومة في فندق الملك داود بالقدس عام 1946 مما جعل السلطات البريطانية تقوم بترحيل المدنيين البريطانيين من فلسطين اعتبارا من يناير 1947 وتقسم المدن إلى مناطق آمنة (Zones) لموظفي الانتداب وصار الدخول إلى هذه المناطق بموجب الهويات والتصاريح الخاصة. كما قدمت سلطات الاحتلال ملف القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة التي أصدرت بتاريخ 1947/11/29 القرار رقم-181 القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولة يهودية ودولة فلسطينية مع إبقاء القدس تحت إشراف دولي وغير تابعة لأي من الدولتين.

وقد ابتهج اليهود بهذا القرار ورفضه الفلسطينيون بشكل قطعي، كما رفضته الدول العربية. أما بريطانيا فقد أعلنت عن خططها بإنهاء الانتداب وسحب الجيش البريطاني من فلسطين بشكل نهائي بتاريخ 1948/5/15.

فؤاد وزهية مع ولدهما عاصم – 1946

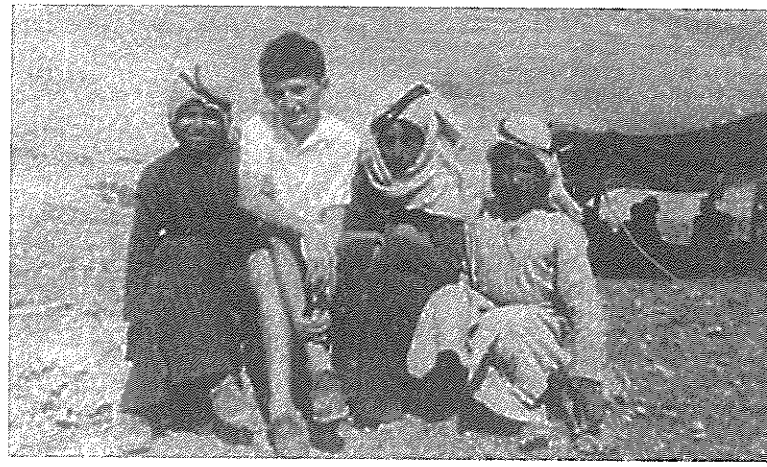

عند مضارب عرب السواحرة على جبل المكبر، عام 1946، يجلس عاصم وإلى يمينه شاكر بن حسين لوزة وإلى يساره يجلس محمد وخضر إبنا حسن صباح من عرب السواحرة

سنة الهجرة

كانت العلاقات بين العرب واليهود من سكان القدس في الأربعينيات شبه عادية وكان الوضع الأمني مستقرا، وعلى الرغم من كل شيء كانت الأمور تسير بصورة شبه طبيعية. وفي عام 1947 كانت عائلتنا تسكن في حي القطمون غرب المدينة. وكان بيتنا قريبا من دير القطمون، وكانت مستوطنة موكور حاييم المحاطة بالأشجار تقع في سهل منخفض على مرمى البصر من بيتنا، وكنا أحيانا نشاهد القطار المتجه من وإلى محطة سكة الحديد في حي البقعة يمر بالقرب من موكور حاييم.

في حي القطمون كانت تسكن بعض العائلات اليهودية في الجوار، وفي العمارة القريبة من بيتنا والتي كان يسكنها بعض الأقارب من آل الخالدي كانت تسكن عائلة يهودية، كما كانت هناك عائلات يهودية أخرى تسكن في عمارة أخرى مجاورة تقع بين بيتنا وبين مستوطنة موكور حاييم. وظلت الأمور تسير بصورة طبيعية على الرغم من تأزم الوضع بين الوكالة اليهودية والعصابات السرية اليهودية من جهة وبين حكومة الانتداب البريطاني من جهة أخرى بعد نهاية الحرب العالمية كما أسلفت.

وأحد أسباب تأزم الوضع بين اليهود وحكومة الانتداب البريطاني هو النشاط الزائد للسفن القادمة من أوروبا محملة بالمهاجرين اليهود في رحلات سرية، لم تكن حكومة الانتداب على علم بها مما أثار غضب الفلسطينيين. وخوفا من نشوب اضطرابات جديدة في البلاد بين العرب واليهود أعلنت حكومة الانتداب أنها سوف تتصدى للرحلات السرية غير المعلن عنها وترحل المهاجرين غير الشرعيين إلى معسكرات اعتقال في قبرص. وبالفعل قامت سلطات الانتداب

بإرجاع بعض السفن إلى قبرص ومحاكمة بعض نشطاء الحركات الصهيونية في فلسطين مما أثار غضب الوكالة اليهودية والعصابات السرية الأخرى التي بدأت بأعمال إرهابية ضد الحكومة وضد الجيش البريطاني. وفي يوم 29 حزيران 1946 قامت سلطات الانتداب بمحاصرة مكاتب الوكالة اليهودية ومصادرة بعض وثائقها متهمة إياها بتدبير الاعتداءات على مؤسسات الحكومة، وأخذت الوثائق المصادرة إلى مكاتب قيادة الجيش ومكاتب التحقيقات الجنائية التابعة لها والتي كانت تحتل الأجنحة الجنوبية من فندق الملك داود في القدس. كما اعتقلت سلطات الانتداب في ذلك اليوم بعض زعماء الوكالة اليهودية.

فقامت "الأرغون" وهي المنظمة اليهودية السرية بوضع متفجرات في الفندق مستهدفة الجناح الجنوبي منه حيث توجد مكاتب الحكومة والجيش. كان ذلك يوم 22 تموز 1946. قتل في الانفجار 91 شخصا كان من بينهم 62 من كبار موظفي الحكومة. وبعد ذلك زاد نشاط الحركات السرية اليهودية. وبين 9 / 11 /1946 – 11/13/ 1946 قتل 11 من الجنود ورجال الشرطة البريطانيين وثمانية من رجال الشرطة العرب بفعل متفجرات كانت توضع كألغام أرضية أو في حقائب في محطات السكك الحديدية. وفي 22 كانون الثاني 1947 أعلن وزير

المستعمرات البريطاني في مجلس العموم أنه في عام 1946 قتل 73 شخصا من الرعايا البريطانيين من قبل مجهولين.

استمرت أعمال المنظمات الإرهابية اليهودية طوال عام 1947 فأكثرت من استهدافها للعرب. وبالنسبة لنا نحن في القدس اتخذت سلطة الانتداب إجراءات أمنية فقسمت المدينة إلى مناطق أمنية محاطة بأسلاك شائكة وقد سميت تلك المناطق بمناطق ألف وباء وجيم، وصار لا يمكن الدخول إليها إلا بعد إبراز بطاقات الهوية. وحتى نحن طلاب المدارس الذين لم تكن أعمارنا تتجاوز الرابعة عشرة أصدِرت لنا بطاقات هوية رسمية عن طريق المدرسة. لذلك كان يجب علي إبراز الهوية حين الدخول إلى شارع ماميلا لشراء بعض حاجات البيت من بقالة سبينز.

واستمرت عمليات العصابات في القدس، ففي 29 كانون الأول 1947 فجرت قنبلة في باب العمود قتل على أثرها 11 عربيا واثنان من البريطانيين، وبعد ذلك بأسبوع، وتحديدا يوم الرابع – ليلة الخامس من يناير 1948 وضعت قنبلة في فندق سميراميس في القطمون أسفر انفجارها عن مقتل 26 مواطنا من بينهم قنصل اسبانيا العام كما تقول الدكتورة غادة الكرمي التي كتبت عن ذكريات طفولتها في القطمون. وتوالت التفجيرات في القدس، ففي يوم (1948/1/7) وضعت عصابة الأرغون سيارة مفخخة بباب الخليل قتلت 14 عربيا، وقد وقعت حوادث كثيرة من هذا النوع.

الهجرة من غربي القدس

صار الوضع متأزما في القدس وكانت العائلات الفلسطينية التي تسكن غربي المدينة قد بدأت بترك بيوتها بشكل ملحوظ في النصف الثاني من عام 1947، وكان سكان القطمون وسكان الطالبية وسكان البقعة العرب قد بدأوا بمغادرة بيوتهم طالبين الأمان. وأذكر أنه بعد الانفجار في فندق سميراميس أخبرنا فؤاد عبد الغني أن علينا الانتقال إلى بيتنا في البلدة القديمة لأن ذلك سيكون أكثر أمانا، وبالنسبة لي ولأخي عبد الغني لم يكن الأمر صعبا علينا فقد كنا طلابا في الكلية الرشيدية بباب الساهرة والسكن في البلدة القديمة يقربنا من المدرسة ويريحنا من المواصلات اليومية التي لم تكن مأمونة على أي حال. ولكن شقيقتنا حسيبة كانت طالبة في كلية شميدت للبنات غربي المدينة. ومنذ عام 1948 والكل يعرف أن كلية شميدت للبنات في القدس هي بباب العمود، وربما لايخطر ببال أحد من أبناء القدس اليوم أن هذه المدرسة كان مقرها في القسم الغربي من المدينة. ظلت حسيبة تدرس في مدرستها التي لم تكن تبعد كثيرا عن شارع يافا إلى أن تقدمت لامتحان شهادة الدراسة الثانوية الفلسطينية (المترك) في نيسان 1948.

وفي تلك الفترة من الانفلات الأمني في فلسطين وعدم سيطرة القوات البريطانية على الوضع، شكل جمال الحسيني ميليشيا الفتوة، كما تشكلت في المدن الفلسطينية لجان قومية تشرف على الوضع الأمني والتموين، وفي القدس تشكلت لجنة قومية (كانون أول – 1947)، كان أمين السر فيها أنور نسيبة والأعضاء كانوا الشيخ أسعد الإمام، والقاضي عمر الوعري والأب ابراهيم عياد، وصالح عبده والحاج عيد عابدين وتوفيق وفا الدجاني من

التجار، وغالب الخالدي مديرا إداريا للجنة، والمحامي سعد الدين العارف مستشارا قضائيا ونائبا عاما، وراجي أبو السعود مسئولا عن لجنة التموين، وفؤاد عبد الغني رئيسا للجنة الأمن والدفاع.

صارت اللجنة القومية تشرف على الأمور المدنية والأمنية. وكان أول الإجراءات التي قام بها فؤاد عبد الغني بعد تحمل مسؤولية الأمن، بعد الانفجار الذي وقع في باب الخليل، هو وضع نقاط حراسة وتفتيش أمنية عربية بالاتفاق والتنسيق مع القائد الإنجليزي لمنطقة القدس. وصار الحراس العرب عند نقاط التفتيش العربية يقومون بتفتيش جميع الناس والسيارات الداخلة إلى المنطقة العربية وخصوصا في البلدة القديمة والأحياء العربية من حولها. وخضع للتفتيش، بموجب الاتفاق مع قائد المنطقة الإنجليزي، سيارات البوليس والجيش البريطاني الداخلة إلى المناطق العربية وإلى قشلاق باب الخليل داخل السور. وحتى سيارة المندوب السامي البريطاني التي كثيرا ما كانت تحضر إلى البلدة القديمة في مهمات يومية غير رسمية لم تعف من التفتيش. ويذكر أنه ذات مرة لم تتوقف للتفتيش إحدى مصفحات البوليس الإنجليزي الداخلة إلى قشلاق باب الخليل، واكتفى سائقها بأن يبقي جميع الأبواب الجانبية مفتوحة وواصل سيره مما جعل الحارس العربي المقدسي يطلق عليه النار ويصيبه في رجله. ولم يعترض قائد المنطقة الإنجليزي لأن هذا كان ضمن اتفاقه مع فؤاد عبد الغني. وفي تلك الأيام كثيرا ما كانت الباصات العربية تتعرض لإطلاق النيران عليها عند مرورها في الأحياء اليهودية، وقد عامل العرب الباصات اليهودية بالمثل عند مرورها بالأحياء العربية. ونتيجة لذلك فقد أصبحت جميع الباصات العربية واليهودية في القدس

مصفحة تسير بدون نوافذ كبيرة. وكانت باصات حي الثوري هي أكثر الباصات العربية تعرضا لرصاص العصابات اليهودية من مدرسة في حي المونتفيوري المشرفة على الطريق. وصادف أن اتصل فؤاد عبد الغني تلفونيا بقائد منطقة القدس الإنجليزي بعد حادث تعرض فيه ركاب باص حي الثوري للنيران من المدرسة ليطالب بتدخل الجيش لوقف العدوان اليومي على الباصات العربية من ذلك المصدر وأنهى فؤاد مكالمته قائلا: "إن لم يتوقف إطلاق الرصاص على الباصات العربية من هذه المدرسة، فيؤسفني أن أخبرك أنه ليس باستطاعتي أن أمنع الشباب من نسف هذه المدرسة إن استمر اتخاذها كمينا للإعتداء على الباصات العربية".

وفي تلك الأيام كانت تلفونات سلطة البريد الحكومية ما تزال تعمل في القدس. وكان فؤاد يستعين ببعض العاملات العربيات في مركز السنترال للتصنت على المكالمات ولإلتقاط المعلومات الاستخبارية التي يمكن أن تفيده في خططه الأمنية. (وبالفعل فقد تمكن من إحباط أكثر من محاولة لإرسال سيارات مفخخة إلى المناطق العربية وذلك بفضل المعلومات التي تلقاها من العاملات العربيات)، وبالمثل كانت العاملات اليهوديات يلتقطن الأخبار ليزودن بها الجهات اليهودية. وفي نفس اليوم الذي أجرى فيه فؤاد تلك المحادثة مع القائد الإنجليزي حول الشكوى من استعمال مبنى المدرسة لإطلاق النار على الباصات العربية، أذاعت الخبر محطة الهاجناه للإذاعة العربية التي كان لها برنامج يومي مسائي باللغة العربية كنا نستمع إليه باستمرار. وقالوا: "اتصل فؤاد الخالدي بصديقه ... قائد المنطقة الإنجليزي مهددا بنسف مدرسة حي المنتيفيوري. هكذا يفكر الإرهابيون بالتعدي على

المؤسسات التعليمية. ولكن سوف يرى فؤاد الخالدي عقابه إن عاجلا أو آجلا على أعماله المجرمة".

وكان يتعاون مع فؤاد أحيانا بعض رجال الجيش الإنجليز الذين كانوا يبيعون الأسلحة للجنة القومية أذكر منهم من باع للجنة أربع قطع "تومي جن" ظل الشهيد فخري أبو السعود الذي أتم الصفقة وكان يرافق فؤاد عبد الغني في جولاته حول أسوار القدس أكثر الأحيان وهو يحمل واحدة منها إلى يوم استشهاده أثناء تبادل إطلاق النار مع حارة اليهود في البلدة القديمة. وكثيرا ما كان هؤلاء الجنود الإنجليز يأتون بمعلومات استخبارية مفيدة عن عمليات تخريبية تخطط العصابات اليهودية للقيام بها، كما كانوا يساعدون في التحقيق مع بعض الجواسيس الذين يقعون في قبضة اللجنة القومية.

وعند قرب نهاية الانتداب عام 1948، وصل إلى فلسطين المتطوعون العرب فيما سمي بجيش التحرير العربي. فوصلت إلى القدس كتيبة بقيادة ضابط عراقي اسمه فاضل رشيد اتخذت من مدرسة الروضة بالبلدة القديمة مقرا لها. كما عسكرت قرب بيت لحم كتيبة أخرى من المتطوعين العراقيين لم يمض وقت طويل حتى جاءت المعلومات الاستخبارية لفؤاد بأن نائب قائد الكتيبة كان يهوديا عراقيا. وذهب فؤاد مع بعض رجاله إلى مقر الكتيبة في بيت لحم لتحذير القائد وفضح أمر نائبه المتخفي. ولسوء الحظ لم يكن القائد موجودا هناك، ويبدو أن النائب اليهودي استشف أنه هو المقصود من تلك الزيارة غير العادية، فهرب من الخيمة التي جلس فيها الجميع ينتظرون عودة القائد. وحصلت بعد ذلك مطاردة بين أشجار الزيتون اشترك فيها فؤاد ومرافقوه ولكنها

لم تدم طويلا بسبب وصول قائد المعسكر الذي طلب من جنوده المساعدة في القبض على الهارب.

لم تكن مهمة فؤاد تقتصر على الدفاع عن القدس والقبض على الجواسيس أمثال نائب القائد العراقي في بيت لحم وأمثال الجاسوس القادم من حيفا الذي ادعى أن اسمه رفيق سابيلا، أو الآخر الذي كان اسمه عبده القدره حلبية، بل تعدتها إلى ملاحقة اللصوص العرب الذين كثروا في تلك الأيام والذين صار سجن اللجنة القومية يعج بهم، ومنهم النصابون والمزورون. ففي مطاردة دامت أكثر ساعات الليل القي القبض على عصابة لتزوير النقود وزعيمها المدعو عاطف زادة إيراني ومعهم كمية كبيرة من فئات الجنيه الفلسطيني المختلفة المزورة.

القيادة الفلسطينية وسوء التخطيط

أصبح الوضع في القدس وفي المدن الأخرى مأساويا وذلك لكثرة المهام المطلوبة من اللجان القومية، والعفوية في التخطيط وقلة الموارد التموينية والمالية المتوفرة لها. أما القيادة الفلسطينية التي اتخذت من دمشق مقرا لها في ذلك الوقت فقد استمرت في إرسال وكلاء لها مع رسائل تكليف وتعيين في مناصب قيادية بصورة عشوائية. ولا يخفى ما كان يمكن أن ينتج عن تلك التعيينات من الفوضى بسبب ضعف التنسيق مع الداخل. على سبيل المثال، أرسِل إلى القدس رجل اسمه حافظ يحمل كتابا من القيادة في دمشق يعين بموجبه قائدا لمنطقة القدس واتخذ من الحرم الشريف مقرا له. كان حافظ هذا في الأصل صاحب محل لبيع الأقمشة في سوق البازار في البلدة القديمة. ولم يكن يُعرف شيء عن خبرته العسكرية أو القيادية. وكان البلد ينقصه التخطيط أصلا، ثم المال والسلاح والذخائر والمؤن. حتى حافظ نفسه لم يستمر طويلا، لأنه لم يزود بالكثير من الرجال أو السلاح أو العتاد، ولم يكن مكلفا بمهام خاصة فريدة من نوعها. وأرسِل رجل آخر ومعه رسالة ليتعين مسئولا في اللجنة القومية. لم يكن أحد يعلم لماذا حصل هذا ولماذا لم يتوفر السلاح والمال؟ أما الهيئة العربية العليا فلم يبق أحد من أعضائها في القدس سوى الدكتور حسين فخري الخالدي (وأحمد حلمي عبد الباقي فيما بعد). وعندما كانت القرى العربية تحاصر غربي القدس وتكاد أن تعزلها عن بقية المناطق اليهودية في شباط 1948 اتصلت القيادة اليهودية بواسطة القناصل الأجانب في القدس بممثلي الهيئة العربية متوسلة أن تعلن القدس مدينة مفتوحة ولم يأت جواب القيادة.

أما فؤاد عبد الغني فقد سافر هو وراجي أبو السعود بتكليف من اللجنة القومية إلى دمشق خصيصا لمقابلة القيادة هناك لشرح الوضع السيئ في القدس. فسافرا عن طريق شرق الأردن. وهناك، وفي مجلس غص بوفود اللجان القومية الفلسطينية من يافا وحيفا وطبريا وغيرها، تكلم فؤاد شارحا الوضع المأساوي الذي تعيشه القدس. فقال: لا يوجد لدينا الأموال الكافية لإدارة شؤون البلدة التموينية والصحية والدفاعية. ففي القدس اتخذ من هوسبيس النمسا داخل البلدة القديمة مستشفى، ولا يوجد فيه ما يكفي من المعدات والأدوية والأطباء. ولا يوجد لدينا ما يكفي من المؤن والأسلحة والذخيرة. وإن اندلعت معركة في جهة ما يظهر تجار الأسلحة والذخيرة في سوق العطارين في القدس، وهؤلاء التجار يبيعون مشط الفشك (يحتوي على خمس رصاصات) عند اشتعال المعارك بنصف جنيه فلسطيني، أي الرصاصة الواحدة بعشرة قروش (واعتبر هذا مبلغا باهظا عام 1948 لأن راتب الشرطي الشهري في تلك الأيام لم يكن يتجاوز ستة جنيهات). أما البنادق القديمة الصدئة التي تباع بمبالغ باهظة والتي بذل الناس الغالي والنفيس لشرائها، فلا تكفي للتصدي للمعتدين. ثم أضاف فؤاد موجها كلامه للقيادة: تعلمون أن البريطانيين سوف ينسحبون يوم الخامس عشر من أيار. وسوف يعلن اليهود دولتهم في ذلك اليوم. إن وجودكم في القدس في الخامس عشر من أيار سوف يعطي جميع الفلسطينيين دفعة معنوية هائلة، ونحن نرجو أن نراكم في القدس في ذلك اليوم. فجاء الجواب: اطمئن يا فؤاد أفندي، فما ينقضي يوم الرابع عشر حتى نكون كلنا في القدس إن شاء الله عند منتصف ليلة الخامس عشر من أيار. وبعد أن بلغ فؤاد الرسالة المكلف بها

وقام مستأذنا رافقه إلى خارج القاعة أحد الأمناء مودعا، وما كادا أن يصلا إلى خارج القاعة حتى بدأ هذا الأمين يعاتب فؤاد على التقرير الصريح الشفهي الذي قدمه عن سوء الحالة في القدس، وقال: إن هذا الوصف العلني أمام وفود اللجان القومية كان قاسيا وما كان يجب أن نتكلم بهذه الصراحة أمام تلك الجموع. فأجاب فؤاد؛ "لقد نظرت في القاعة فلم أجد أجنبيا واحدا. كانوا كلهم وفودا من المدن الفلسطينية ولم أفعل شيئا سوى تبليغ الرسالة التي كلفت بها من اللجنة القومية في القدس. وأظن أنه لا بأس لو تكلمنا نحن الفلسطينيين مع بعضنا بصراحة، حتى لو كانت الصراحة مؤلمة".

عاد فؤاد عبد الغني بعد ذلك إلى القدس. وفي مارس 1948 بدأت قوات الميليشيا اليهودية بمواجهة جيش التحرير العربي واستولت على بعض القرى العربية الساحلية. وفي نيسان استشهد عبد القادر الحسيني في قرية القسطل ذات الموقع الاستراتيجي الهام على طريق القدس- يافا، وسقطت القسطل في يد الميليشيا اليهودية بعد مذبحة قتل فيها حوالي 120 فلسطينيا، وهنا بدأت الهجرة على نطاق واسع. وأصدر الدكتور حسين الخالدي نداء باسم الهيئة العربية العليا ناشد فيه الفلسطينيين أن لا يتركوا قراهم. وفي نيسان كانت القوات اليهودية المستعينة بالمليشيات المأجورة القادمة من الخارج قد تمكنت من فك الحصار عن القدس بعد احتلال القسطل وبعض القرى الأخرى، وواصلت زحفها فأحكمت سيطرتها على كل الأحياء العربية غرب القدس وطردت من بقي من سكانها. وفي أيار احتلت صفد واستسلمت يافا بعد أن قصفت بالمدفعية وهرب غالبية سكانها. وفي 1948/5/15 انسحب جيش الانتداب البريطاني، وأعلن اليهود قيام دولة إسرائيل، ولم يحضر الحاج أمين

الحسيني إلى القدس كما لم يحضر زعماء فلسطين الآخرون. وبدئ في إنشاء مخيمات اللاجئين في أيار وحزيران 1948. وكان عام 1948 هو عام النكبة والكارثة التي كان من بعض أسبابها الارتجال وعدم الجدية. فالقيادة السياسية اليهودية كانت لها سياسة واضحة، وخطة مرسومة، والقادة العسكريون كانوا جنودا محترفين. أما القيادة السياسية الفلسطينية فكانت كعادتها دائما منقسمة على نفسها، ولم يكن لها خطط مدروسة، ولم يكن عندها رؤيا واضحة ولا تقييم صحيح للواقع الخطير، وكانت متأثرة بالأفكار العتيقة بأنه إن جاء وقت المعركة تأتي "الفزعة" (؟) من الشمال ومن الجنوب ومن الشرق. وكما قال الملك فاروق لبعض الوفود ((حنرميهم في البحر)).

واستغل اليهود ذلك الأمر بعد الخامس عشر من أيار واتخذوا قرارا بعدم السماح للهاربين بالعودة إلى قراهم ومدنهم.

وفي الخامس عشر من أيار 1948 لم تصل القيادة السياسية الفلسطينية إلى القدس كما وعدت فؤاد، ولكن الجيوش العربية دخلت إلى فلسطين، ودخل الجيش العربي الأردني وتوقف على مشارف النبي موسى. فذهب فؤاد يبحث عن قائد الجيش غلوب باشا ليرجوه أن يتقدم إلى القدس ليملأ الفراغ الذي سببه انسحاب الجيش البريطاني. لم يجد فؤاد عبد الغني غلوب باشا ولكنه قابل بعض الضباط الأردنيين. ولما سألهم عن الباشا علم منهم أنه ذهب في جولة تفقدية ليستكشف المواقع. وتبين فيما بعد أنه كان في جولة ليستكشف طريقا جديدة تربط بين رأس العمود وبيت لحم. (أي أن طريق القدس– بيت لحم الأصلية الذي يمر بحي البقعة لم تكن في مخطط جيوش الباشا). رجع فؤاد إلى القدس بخفي حنين بعد أن طال انتظاره. وفي اليوم التالي حصلت

على أسوار القدس مواجهات قاسية بين المتطوعين من أهالي البلد والقوات اليهودية المتفوقة عليهم بعددها وعدتها وخططها. ويذكر فؤاد عبد الغني تلك المواجهة التي حصلت على السور عند باب الجديد المقابل لمبنى النوتردام دي فرانس، تلك المواجهة التي غاب عنها القائد حافظ، وغاب معه كل الرجال المنظمين، إلا قلة من رجال الأمن في اللجنة القومية لم يكونوا مدربين على الهجوم، ولكنهم جاؤوا يوم غابت القيادة مدفوعين بحماسهم وغيرتهم على مدينتهم، جاؤوا لصد المليشيات اليهودية التي حاولت النزول من السور إلى مدرسة الفرير بباب الجديد. تصدى الشباب لرجال الهجاناة وأرجعوهم. واشتدت المواجهة حين دخلت الميليشيا اليهودية إلى مبنى النوتردام. وهناك، وبعد تبادل لإطلاق النيران استمر بعض الوقت، وقف شاب من أبناء القدس، هو خليل محمد أبوعيد الشهير ب"أبوسيف"، وكان من شباب اللجنة القومية الذين اعتادوا أن يرافقوا فؤاد عبد الغني. وقف أبو سيف متحفزا بين الزمرة القليلة من رفاقه من أبناء المدينة، وقفوا صامتين متحفزين، وفجأة اخترق صمت الرجال زغرودة أبو سيف الذي انطلق راكضا نحو مبنى النوتردام. كان لزغرودة أبو سيف وإقدامه المفاجئ أثر كبير في نفوس الشباب الذين تبعوه راكضين نحو المجهول حاملين أرواحهم على أكفهم. دخل أبو سيف المبنى ودخل وراءه الشباب ولحقهم فؤاد عبد الغني. قضوا يومهم في النوتردام الذي كان الدخول إليه مجهودا فرديا من أبو سيف ورفاقه المتحمسين، فلم يكن هناك خطط لاحتلال المبنى والإقامة فيه والدفاع عنه، ولكن كان ردة فعل

"أبو سيف"

لشباب مقدسيين غضبوا لنزول القوات اليهودية إلى المبنى، فبادروا ولحقوا بأبي سيف.

وبعد أن انقضى أكثر النهار وأبو سيف ورفاقه ثابتون في النوتردام، ذهب فؤاد عبد الغني يبحث عن طعام ومؤن لهؤلاء الرجال الذين بلغ منهم التعب والجوع والعطش. فإلى متى ينتظرون بدون قيادة وبدون خطة وبدون توجيه؟ وما كاد فؤاد يرجع إليهم بالمؤن حتى وجد أن أكثرهم كان قد غادر الموقع، وهكذا انتهت مبادرة الشباب.

وفي منتصف تلك الليلة جلس فؤاد عبد الغني في مدرسة الروضة مع قائد جيش التحرير العراقي فاضل رشيد وأحمد حلمي عبد الباقي (باشا) عضو الهيئة العربية العليا. جلسوا يتباحثون في الوضع الخطير الذي آلت إليه الأمور في القدس، وقرروا الاستنجاد بالملك عبد الله بن الحسين شخصيا. واتصل القائد فاضل رشيد بقصر رغدان في عمان تلفونيا، وطلب التحدث إلى جلالة الملك. فكان الجواب أن سيدنا قد أوى إلى فراشه. فألح فاضل رشيد أن الحالة في القدس حرجة ولا تحتمل التأجيل. وبالفعل تمكن من التحدث مع الملك الهاشمي وقال له بالحرف: يا سيدنا، القدس في خطر، لقد وضع اليهود السلالم محاولين النزول إلى مدرسة الفرير بباب الجديد للمرة الثانية. لا يوجد لدينا عتاد، وبعد ساعة واحدة سوف تصبح البنادق التي في أيدينا عصيا. نرجوكم أن تنجدونا. فكان جواب الملك عبد الله: أطلب منكم أن تصمدوا حتى الصباح، فسوف يكون الجيش العربي عندكم بعون الله. وبالفعل وصلت طلائع الجيش العربي

إلى القدس في صباح اليوم التالي بقيادة عبد الله التل وقال ضباط الجيش العربي أنهم تلقوا أوامر للتوجه إلى القدس من الملك شخصيا ومباشرة وليس من غلوب باشا.

التطوع القسري

عبد الغني

بعد يومين أو ثلاثة من دخول الجيش العربي إلى القدس، ذهبت أنا وعبد الغني، كعادتنا، مع فؤاد إلى مكتبه في اللجنة القومية (بدير اللاتين) بباب الخليل. كان فؤاد يصر في تلك الأيام على أن يأخذنا معه لأن الوضع في القدس لم يكن مستقرا بالنسبة لولدين تتراوح أعمارهما بين (14–16 سنة) والعائلة تسكن (بعد الهجرة) بباب الحرم الذي أصبحت ساحاته تعج بالفوضى لكثرة ما فيها من أبناء جيلنا ممن يعبثون بالأسلحة القديمة أو قنابل الملز الصدئة التي تطالها أيديهم وذلك لكثرة ما كان في الحرم من مجندين جاؤوا من البلاد العربية ومتطوعين محليين. وقد حدث أكثر من مرة أن كنا نخرج إلى الحرم بعد خروج فؤاد عبد الغني من البيت ونلتقي بمن هم في مثل أعمارنا وهم يمارسون هواياتهم بحماس وفخر في فحص ما يصل إلى أيديهم من الأسلحة القديمة. وكان من بينهم مصباح توفيق البديري (ابن خال فؤاد عبد الغني) الذي أصبح فيما بعد قائدا لجيش التحرير الفلسطيني في سوريا.

ولكن في ذلك الصباح، رافقنا فؤاد إلى مكتبه. وما كدنا نصل إلى مقر اللجنة القومية حتى خرج هو لأمر طارئ ومعه أربعة من حرس اللجنة يعتمرون الكوفيات البيضاء التي تميز بها الفلسطينيون في تلك الفترة. ولما طال انتظارنا له قررت أنا وعبد الغني العودة إلى البيت. وبالفعل رجعنا سالكين الطريق المؤدي إلى باب الخليل من داخل القنطرة التي عليها أبنية الدير، على

الرغم من وجود طريق آخر عن يسارنا. والداخل إلى القنطرة يجد على يمينه مطعم القدس لصاحبه جورج بيروتي، تليه قهوة صغيرة مساحتها لا تتجاوز (مترين في ثلاثة)، لصاحبها عبد الله حنا، يليها استوديو للتصوير لصاحبه غرابيد سمرجيان. ومقابل ستوديو التصوير بقالة يليها صالون للحلاقة يقع في وسط القنطرة عند تقاطع الطرق. على كل حال، كانت كل هذه المحال مغلقة بسبب الوضع في البلد. وما كدنا نصل إلى جوار صالون الحلاقة حتى استوقفنا عدد من الجنود الأردنيين يسوقون مجموعة من الشباب في مثل جيلنا. نظر أحدهم إلي، وكنت ألبس بنطالا قصيرا، مثل أبناء جيلي في ذلك الزمن، وقال: "أنت، روح". ثم اتجه إلى عبد الغني وأشار إليه أن ينضم إلى المجموعة. لم نفهم قصدهم، ولماذا يسوقون الأولاد في الشوارع بطريقة لم نفهمها. ولكن أحدهم استدرك فشرح الأمر لي قائلا: نريد أن نأخذهم إلى المعسكر لكي يساعدوننا بتعبئة أكياس الرمل لتحصين الاستحكامات. وقفت عند المفرق حائرا، لا أدري كيف أتصرف. هل أعود إلى البيت بدون عبد الغني؟ وماذا سأقول لوالدته؟ وبعد قليل نظرت إلى يساري فرأيت فؤاد راجعا من مهمته، يسير مسرعا هو ورجاله الأربعة الذين خرج برفقتهم في الصباح. كان عائدا من الطريق الأخرى التي على يسار القنطرة، فركضت إليه وأخبرته بالأمر. فرجع معي هو وحراسه المسلحون الأربعة إلى حيث كان يقف الشباب. وأمسك بيد عبد الغني وسحبه من بين المجموعة. فقال العسكري الأردني: أين تأخذه؟ نريدهم أن يساعدوننا في تعبئة أكياس الرمل للتحصينات. فأجاب فؤاد ونحن أيضا نحتاجه ليساعدنا في تعزيز التحصينات. فهم الجندي الأردني الوضع. وانتهت المواجهة بسرعة.

لم يمض وقت طويل على دخول الجيش الأردني إلى القدس، حتى تباطأ نشاط اللجنة القومية في القدس. أما بالنسبة لبقية المواقع فقد استمرت الحرب مع الجيوش العربية التي دخلت فلسطين عشية خروج البريطانيين حتى أعلِنت الهدنة الأولى في حزيران 1948، ثم أعلن الحاج أمين حكومة عموم فلسطين برئاسة أحمد حلمي عبد الباقي (1948–1952)، واتخذت تلك الحكومة من غزة مقرا مؤقتا لها، فأطلق عليها الصحافي هاشم السبع فيما بعد (على سبيل السخرية) "حكومة عموم غزة"، وأحيانا سماها "حكومة العموم"، وأحيانا أخرى سماها "حكومة الهموم". وعلى كل حال، غادر فؤاد وعائلته القدس إلى لبنان في 28 حزيران 1948 على أمل أن لا يطول الغياب والتحرير. ولكن مضت الأيام والشهور والسنون والعرب على ما هم عليه.

خاتمة

سافر فؤاد وعائلته إلى لبنان عن طريق شرق الأردن وسوريا وقضوا بعض الوقت في حمانا، واتجهوا بعد ذلك إلى برمانا حيث قضت العائلة هناك فترة أطول. وفي برمانا جاء الدكتور حسين فخري والأستاذ أحمد سامح وعقيلتاهما لزيارة فؤاد والعائلة وجرى بينهم حديث طويل. وبطبيعة الحال تطرق الحديث إلى تقييم الوضع، ولم يكن التقييم في مجمله إيجابيا. قضت العائلة بضعة أسابيع في برمانا ثم انتقلت إلى بشري في الشمال حيث مكثت حوالي ثلاثة أشهر. على كل حال، انتهت الهدنة الأولى في تموز 1948 وبدأ القتال من جديد بين الجيوش العربية وإسرائيل. فشددت الميليشيات اليهودية قبضتها على القدس بعد الانسحاب من اللد والرملة، الأمر الذي نتج عنه نزوح موجة جديدة من اللاجئين (حوالي مائة ألف). وفي شهر (نوفمبر 1948) عقد مؤتمر أريحا الذي اجتمع فيه عدد من الشخصيات الفلسطينية ووجهوا نداء إلى الملك عبد الله يدعونه فيه إلى ضم ما تبقى من فلسطين إلى مملكة شرق الأردن. وفي شهر كانون الأول (ديسمبر 1948) استصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة القرار رقم-194 الذي يعترف بحق اللاجئين الفلسطينيين بالعودة إلى المدن والقرى التي أجبروا على النزوح منها.

وفي عام 1949 عقدت اتفاقيات هدنة بين لبنان وسوريا وشرق الأردن وإسرائيل صار بموجبها 80% من أراضي فلسطين تحت سيطرة إسرائيل، وضُمت الضفة الغربية لشرق الأردن وصار قطاع غزة تحت الإدارة المصرية.

أما فؤاد فقد غادر هو وعائلته لبنان إلى القاهرة في أواخر أيلول 1948، ولما أيقن أن الانتظار سوف يطول قرر العودة إلى القدس. كانت سنوات الخمسينيات والستينيات هي أصعب السنوات في حياة فؤاد عبد الغني، وكان حزينا ومثقلا بالهموم، ومع ذلك آثر الصمود. مرت الأيام والشهور والسنوات، وفي 31 أيار 1967 وصل أحمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية إلى مطار قلنديا، واستقبله روحي الخطيب رئيس البلدية بحرارة، ويوم الجمعة 2 حزيران استقبل المصلون الشقيري في المسجد الأقصى بحماس زائد عندما خطب فيهم ليعلن أن يوم الخلاص قد جاء. وفي الخامس من حزيران لم يأت يوم الخلاص. بل جاءت الهزيمة التي أصر بعض الزعماء العرب على تسميتها النكسة. وكانت تلك أشد وقعا، وأكثر ألما في نفس فؤاد من كل الهزائم. كان يومها في أحد أركان بيت فؤاد عبد الغني صندوق صغير يحتوي على عشرات الصور من بقايا أيام اللجنة القومية (1947-1948)، صور كثيرة لفؤاد ورفاقه المسلحين في شوارع البلدة القديمة وعلى أسوار القدس. جلست زهية تمزق تلك الصور على عجل لما تأكد الجميع في شعفاط أن الآليات العسكرية التي كانت تمر مزهوة في الشارع الرئيسي لم تكن لأحد من خطباء العرب الذين ملأوا الدنيا خطبا حماسية قبل الخامس من حزيران.

وعبد الناصر لم يعلن الحرب على إسرائيل قبل الخامس من حزيران، ولكنه قام بخطوات اعتبرها أعداء فلسطين إعلانا للحرب. أعلن عبد الناصر سحب قوات الطوارئ الدولية من سيناء يوم 16 أيار 1967 استعدادا للحرب، وأعلن إرسال الجيش المصري إلى شرم الشيخ وإغلاق مضائق تيران يوم 21 أيار

1967 مخالفا بذلك الاتفاق المعقود بينه وبين الأمم المتحدة عام 1957. فاستخدمت إسرائيل ذلك كذريعة لتقوم بما سمي بالحرب الاستباقية.

ومع الأسف وقف عبد الناصر يوم التاسع من حزيران عام 1967 (بعد هزيمة حرب الأيام الستة) ليبرر الهزيمة (أو النكسة كما كان يسميها)، فقال للناس: "كنا فاكرينهم سيهاجموننا من الشرق فهاجمونا من الغرب؟؟" ومنظمة التحرير الفلسطينية التي تأسست عام 1965 لتحرير حيفا ويافا واللد والرملة وما فقد من البلاد عام النكبة (1948)، صار شعارها تحرير القدس وأريحا وغزة وخان يونس وما سقط في أيدي الصهاينة عام النكسة (1967).

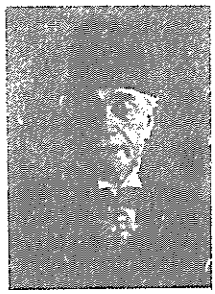

راغب بك

هل كان راغب النشاشيبي أكثر الزعماء الفلسطينيين واقعية حين قبل بقرار التقسيم؟ ولما اعترض البعض على كلامه، أجابهم قائلا: "اليهود عندهم ميليشيا مدربة، ودول العالم سوف تقف معهم. أما أنتم على إيش مركنين؟"

فجاء الجواب: على جيوش الدول العربية. وهنا لم يتمالك راغب بك نفسه، وصار يتكلم من الزنار وتحت كعادته، فقال لهم: "إركنوا على جيوش العرب زي اللي بيركن على... جارته، يصبح نادما".

مرت الأيام بطيئة، والهموم كثيرة، وفؤاد الذي قضى حياة مليئة بالنشاط والحيوية لم يقعده في يوم من الأيام مرض جسدي، فرياضته المفضلة أيام الشباب كانت ركوب الخيل وشمات الهواء في البراري، وجمع أكوام كبيرة من الشجيرات البرية الجافة في الغور وتأمل لهب النار يأكلها بعد الغروب، ولكن بعد عام النكبة كثرت الهموم فأصيب بمرض السكري ثم أصيب بجلطة قلبية وهو في الحادية والسبعين. ومع هذا فلم يثنه المرض عن أداء فريضة الحج

بعدها بسنة واحدة عام 1973. وعاش بعد ذلك حياة هادئة إلى أن وافته المنية في تموز من عام 1988 عن عمر يناهز السادسة والثمانين.

فؤاد وزهية والأحفاد – حيفا 1973

فؤاد وعن يمينه عاصم وديمة ورنا وعن يساره أمية وشرين وحاتم وأمامهم كريم وسعيد (شعفاط – 1976)

توفيت زهية يوم 22 كانون ثان 2001 – والصورة قبل وفاتها ببضعة أشهر

فؤاد عبد الغني مع ثابت الخالدي

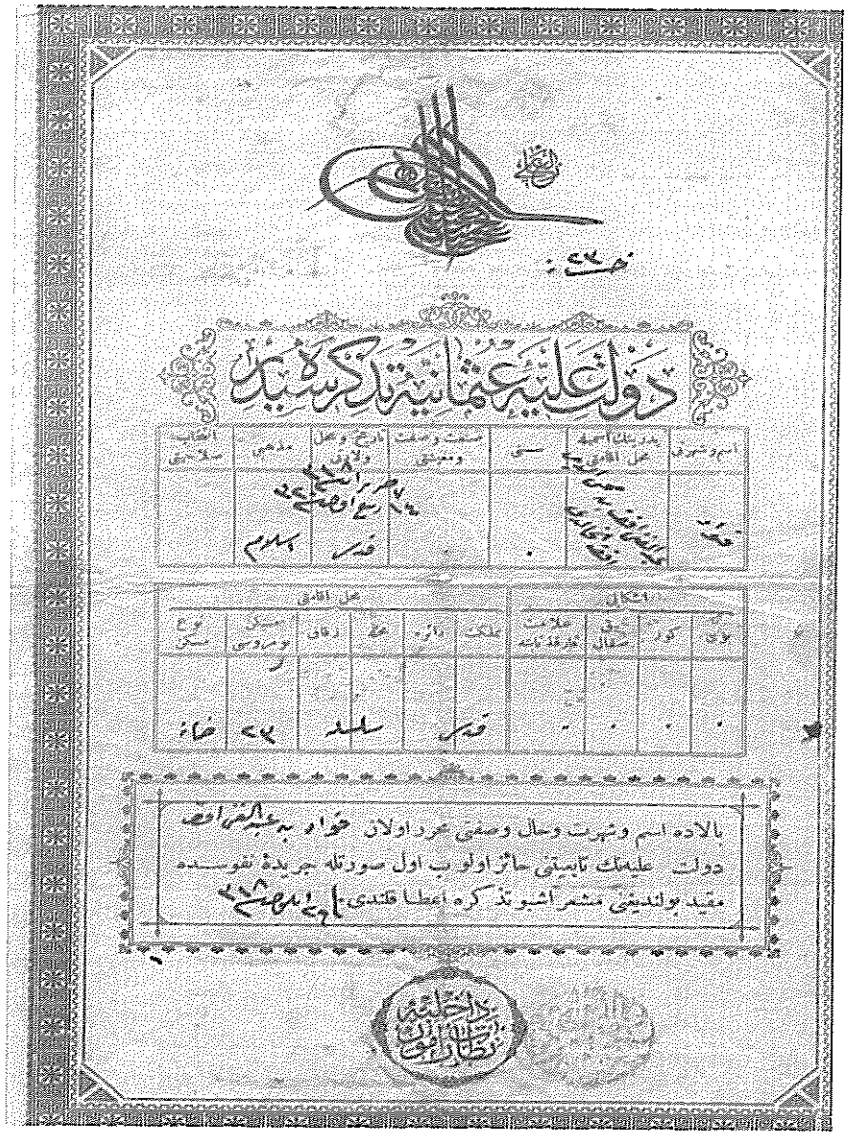

فؤاد عبد الغني – ولد مقدسيا بشهادة ميلاد عثمانية

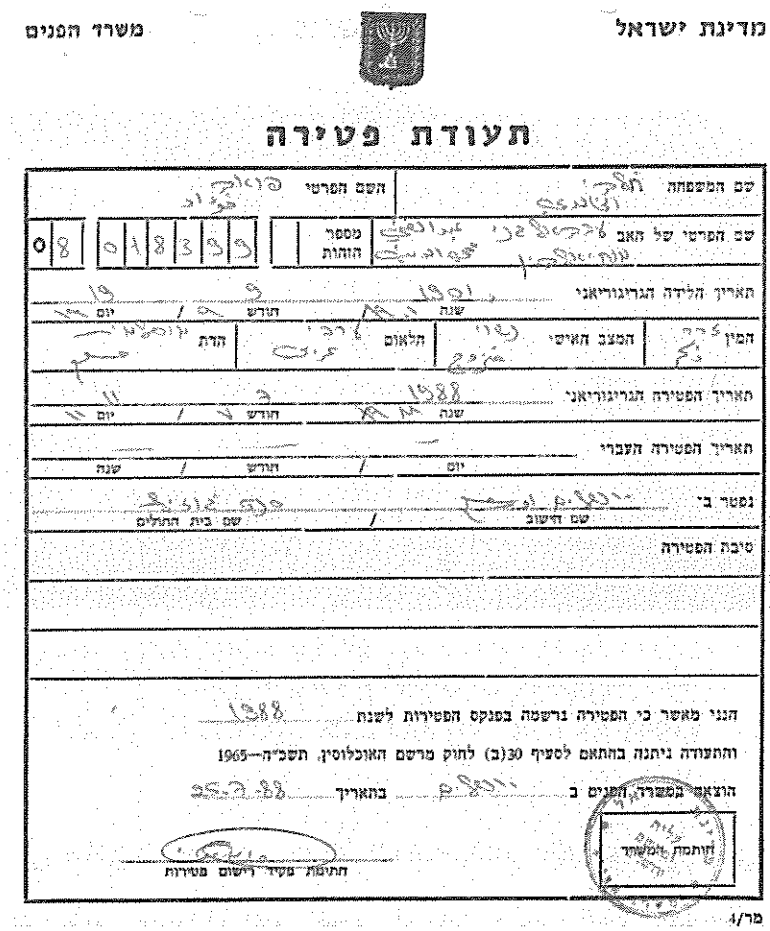

מדינת ישראל

משרד הפנים

תעודת פטירה

שם המשפחה

השם הפרטי

שם הפרטי של האב

מספר הזהות

תאריך הלידה הגריגוריאני: יום / חודש / שנה

המין | המצב האישי | הלאום | הדת

תאריך הפטירה הגריגוריאני: יום / חודש / שנה

תאריך הפטירה העברי: יום / חודש / שנה

נפטר ב: שם הישוב / שם בית החולים

סיבת הפטירה

הנני מאשר כי הפטירה נרשמה במנהל הפטירות לשנת

והתעודה ניתנה בהתאם לסעיף 30(ב) לחוק מרשם האוכלוסין, תשכ"ה—1965

הוצאה ממשרד הפנים ב בתאריך

חותמת המשרד

חתימת מנהל רישום פטירות

מר/4

وتوفي مقدسيا بشهادة وفاة إسرائيلية

ملحق رقم – 1

منازل العائلة في كرم الحاج يوسف الخالدي في المصرارة بعد الاحتلال
(تصوير المهندسة شرين عاصم الخالدي – 28 / 8 / 1995)

أشير إلى هاتين الدارين في دفاتر العائلة بالدار الكبيرة وهي على يمين الصورة، وتنتهي حدودها عند السيارة الرابعة، وتليها الدار المسماة بالدار الصغيرة. ويرى في آخر الشارع برج مبنى التليانية، (المستشفى الإيطالي). كان أهل البلد في أواخر القرن التاسع عشر يسمون هذا الشارع: شارع كرم الحاج يوسف الخالدي، لوجود كرم تزيد مساحته على 9 دونومات خلف المباني الظاهرة في الصورة. وفي أيام الانتداب البريطاني صار الشارع يعرف بشارع سانت بول. واليوم، وبعد الاحتلال الإسرائيلي، أصبح اسم الشارع: شارع شفتي يسرئيل.

وقد بنى الحاج يوسف الطابق الأول من الدار الكبيرة في أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر وكان يستعمل من قبل العائلة في الإجازات وشمات الهواء، وهو لا يظهر في الصورة لأنه تحت مستوى الشارع. ثم بني الطابق الثاني بما فيه الدكاكين الظاهرة في الصورة في أواخر السبعينيات. أما الدار الصغيرة والطابق الثالث من الدار الكبيرة، فقد صُممما من قبل المهندس باسكال صرفي وأحتفظ بتصميماتهما وخرائطهما الموقعة من المهندس في مارس 1899. وقد تم تنفيذ البناء في عام1900. ويصل بين الدارين جسر حديدي لا يزال قائما إلى الآن.

كان أول من سكن الدار الصغيرة التي نرى في الصورة علم إسرائيل يرفرف فوقها هو عبد الغني الخالدي (1901–1902) بعد عودته من اسطنبول وآخر من سكنها من أبناء العائلة الخالدية في الثلاثينيات هو الدكتور حسين فخري الخالدي آخر رئيس بلدية مقدسي منتخب في عهد الانتداب البريطاني.

ملحق رقم – 2

أقارب فؤاد عبد الغني من آل البديري

الخال الدكتور عمر الفاروق البديري

بدأ حياته صيدليا في اسطنبول (أغزغي- كما يقال بالتركية). ثم توجه إلى فرنسا حيث درس الطب هناك، وعاد بعدها إلى القدس. والصورة أرسلها من مرسيليا في 26 أغسطس 1925.

الخال المحامي توفيق البديري

الخال الحاج توفيق كان ضابطا في الجيش العثماني، ثم عمل في المحاماة في القدس في عهد الانتداب البريطاني. وللحاج توفيق ابنة واحدة هي زكية وأربعة أبناء هم عبد الله وحامد وأحمد ومصباح الذي أصر على الذهاب إلى سوريا عام 1948 لينضم إلى جيش التحرير الفلسطيني. وبالفعل، سافر مصباح والتحق بالجيش في مراحله الأولى، ومن ثم ترقى إلى أن أصبح قائدا لجيش التحرير الفلسطيني، وظل في منصبه إلى أن اختلف مع ياسر عرفات في السبعينيات من القرن الماضي.

مصباح – 1945

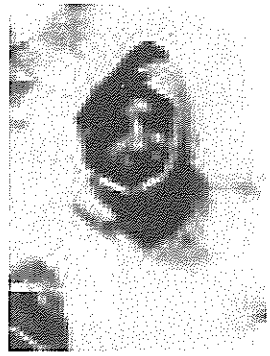

مصباح في الحرم – 1948

الخال أحمد صبحي البديري

خال فؤاد الأصغر كان من عساكر الشريف علي بن الحسين ملك الحجاز، والصورة أدناه مأخوذة في القدس يوم السبت 19 محرم 1342 الموافق 1923/9/1م أيام كان أحمد صبحي ما يزال في خدمة الجيش الهاشمي في الحجاز. ولدي بعض الرسائل التي أرسلها من الحجاز فيما بعد أيام حاصر السعوديون المدينة المنورة التي كانت تحت حكم الملك علي بن الحسين، وفي رسائل مؤرخة في عام 1344 أي تقريبا عام 1925، أرسلها إلى أخيه توفيق يصف فيها الأحوال الصعبة في المدينة المنورة أيام حصار السعوديين للمدينة قبل دخولهم إليها. وذكر أحمد صبحي في إحدى رسائله ان الأحوال المادية كانت قاسية كقسوة الأحوال المعيشية، الأمر الذي جعله يكتب رسائل أخرى إلى أخيه طالبا النقود. وأحمد صبحي يشكو في كل رسائله من ضيق الحال بسبب الحرب بين الهاشميين وآل سعود. والرسائل مكتوبة بين أكتوبر 1925 و يناير 1926. وفي رسالة غير مؤرخة يقول أنه يوم 19 الجاري دخل المدينة المنورة سمو الأمير محمد السعود. وها نحن الآن في أمان الله ورسوله وأمان الإمام عبد العزيز السعود، لا فكر علينا أبدأ. وفي الختام يقول: نفيسة (أي ابنته) وأمها يقبلان أياديكم. ثم يقول لأخيه: "الرجاء عدم التواني في إرسال الدراهم لأن ما قضيناه في زمن الحصار كاف... وبعد تهنئتكم على السلامة من الخلاص من حكومة الملك علي ... الذي تركنا ثلاثة عشر شهرا بلا معاش ولا أرزاق، حتى وصل الحال بنا إلى أن نأكل في النهار مرة واحدة. وبعنا ما عندنا وما فوقنا وما تحتنا، وكثير من الضباط أصبحوا يستجدون في

الأسواق، وكل هذا حصل لنا، حتى أن حبتين من التمر وصل سعرهما إلى قرشين".

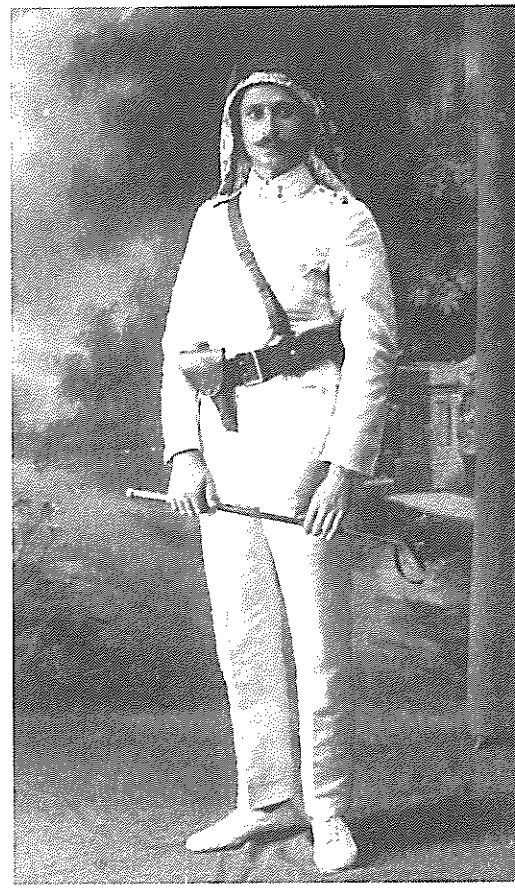

أحمد صبحي البديري ضابط مقدسي في الحجاز

ملحق رقم – 3

مقبرة ماميلا التاريخية ومتحف التسامح الإسرائيلي[63]

مقبرة ماميلا التاريخية كما هو معروف هي أكبر وأقدم مقبرة إسلامية في القدس. وتقع هذه المقبرة خارج سور المدينة على بعد ميل واحد إلى الغرب من باب الخليل. ويؤكد المؤرخون بأن القباب والزوايا والأضرحة المشيدة هناك بأفخر أنواع المرمر والرخام إن دلت على شيء فإنما تدل على المكانة الرفيعة للناس الذين دفنوا في ثراها منذ ما يزيد على ثمانمائة عام.

وتعود أهمية المقابر التاريخية إلى أنها تحوي سجلا بأسماء من سلف من أهل البلد وتعريفا بمنزلتهم الاجتماعية وشيئا من تاريخ البلد نفسه. فعلى سبيل المثال عسكر في أطراف ماميلا الشاسعة المساحة صلاح الدين الأيوبي عام 1187 حين عاد إلى القدس. وفي ثراها دفن الكثير من جنوده الذين سقطوا في المعارك كما دفن قادته ووزراؤه وكبار مرافقيه الذين استخلفهم في القدس لإدارة أمورها بعد عودة المسلمين إليها. وبعد العصر الأيوبي ظلت المقبرة في أيام المماليك منذ أواسط القرن الثالث عشر تستعمل لدفن الكثير من رجال الدولة من الأمراء ونواب السلطنة كما ظل يدفن فيها أعيان القدس وعلماؤها، واستمر ذلك طوال سنين العهد العثماني. وأحيطت المقبرة عام 1847 بسور

---

[63] عن مقالة للمؤلف نشرت في حزيران 2009 في العدد السابع من نشرة *مركز السبيل المسكوني للاهوت التحرر* التي تصدر في مدينة الناصرة

عال للمحافظة عليها حين بدأ العمران في القدس خارج أسوار البلدة القديمة. وهكذا فقد ظل سكان القدس يدفنون موتاهم هناك إلى عام 1927.

ومعروف أن المقابر التاريخية تكون في العادة عرضة لما يصيب الآثار القديمة من الخراب الناتج عن أعراض الطقس وعن النباتات البرية كالحشائش والأعشاب، ولذلك تحتاج المقابر التاريخية إلى عناية وصيانة متواصلة. وفي أكثر بلاد العالم هناك قوانين لحماية المقابر التاريخية والمحافظة عليها، ولكن في إسرائيل مع الأسف يبدو أن هذه القوانين لا تنطبق على المقابر الإسلامية. فلا عجب أن أصاب ماميلا ما أصاب غيرها من المقابر. فمنذ أن وضعت المقبرة عام 1948 تحت إشراف الحارس على أملاك الغائبين الإسرائيلي ظلت القبور والأضرحة فيها طوال تلك المدة عرضة للإهمال المتعمد بالإضافة إلى عوامل الطقس والأعشاب الضارة. ليس هذا فقط، بل إنه كثيرا ما كانت تنتهك حرمة هذه المقبرة من قبل المتعصبين العنصريين، فتكسر شواهد القبور وتقتلع حجارتها، ويطمس أثر الكتابات عليها. واليوم وبعد أن انتهكت بلدية القدس أرض المقبرة عام 1967 فأقامت فوق الجزء الأكبر منها ما أسمته حديقة الاستقلال، وبعد أن استباحت أرضها ومدت فيها أنابيب المجاري، والكوابل الكهربائية، لم يبق من آلاف القبور هناك سوى حوالي 5% على أرض كانت مساحتها، حسب سجلات دائرة تسجيل الأراضي في القدس في آذار عام 1938، تتجاوز 134 دونما.

وفي عام 1927 قرر المجلس الإسلامي الأعلى إيقاف الدفن في ماميلا والمحافظة عليها كمعلم تاريخي تقوم دائرة الأوقاف الإسلامية بصيانته وحفظه من العوامل الطبيعية الضارة. ولكن بعد عام 1948 حين تولى الحارس

الإسرائيلي على أملاك الغائبين أمر الإشراف على ماميلا كان لإسرائيل خطط أخرى للمقبرة التاريخية. فالحارس الإسرائيلي يعرف أن المقابر التاريخية تكون في العادة عرضة للدمار الناتج عن العوامل الطبيعية، ويعلم أن الإهمال يضاعف عملية الدمار مع مرور الزمن. ومع ذلك فقد تركت المقبرة تعاني. وبعد أن استكملت إسرائيل السيطرة على القدس كلها عام 1967 تقدمت دائرة الأوقاف الإسلامية طالبة السماح لها بالعودة إلى تحمل مسؤوليتها تجاه المقبرة، ولكن الطلب رفض جملة وتفصيلا. بل إن بلدية القدس حولت جزءا كبيرا من المقبرة في تلك السنة إلى حديقة عامة أسمتها حديقة الاستقلال كما أسلفنا. ولكي تتم عملية إنشاء حديقة الاستقلال وبقية ما أسموه بمشاريع التطوير، كان لا بد من انتهاك حرمة الكثير من قبور ماميلا. ففي 15 كانون الثاني عام 2005 قامت شركة الكهرباء الإسرائيلية بحفريات أخرى اخترقت المقبرة ودنست الكثير من القبور هناك وذلك لمد أسلاك كهربائية دون أي اعتبار مسؤول للقبور، كما اعتديَ على جزء آخر من المقبرة حين أقيمت عليه مباني وزارة التجارة والصناعة الإسرائيلية.

وفي شهر أيار عام 2004 حضر من الولايات المتحدة آرنولد شوارزنغر حاكم كاليفورنيا ليضع حجر الأساس لمشروع (أمريكي–إسرائيلي) على أرض تلك المقبرة المنتهكة. وحضر حفل وضع حجر الأساس رجال الدولة الإسرائيلية يتقدمهم إيهود أولمرت الذي كان نائبا لرئيس الوزراء في ذلك الحين كما حضره سفير الولايات المتحدة لدى إسرائيل دانيال كرتزر. وهذا المشروع الجديد الضخم الذي ينفذه مركز سايمون وسنتال الأمريكي على أرض مقبرة ماميلا يتكون من بنائين ضخمين يدعى أحدهما " كرامة الإنسان" ويدعى

الآخر "متحف التسامح". وتبلغ مخصصات هذا المشروع ما يزيد على 200 مليون دولار أمريكي يجمعها مركز سايمون وسنتال في لوس أنجلس من المتبرعين الأمريكيين. وفي الأسبوع الأول من كانون الأول 2005 بدأت الجرافات الإسرائيلية تستكمل خطة الإجهاز على ما تبقى من المقبرة. وقد لاقى هذا المشروع الذي يقوم به مركز وسنتال استنكارا وغضبا شديدين من المسلمين ومن غير المسلمين ومن الهيئات التي تدافع عن حقوق الإنسان، وقد أكدوا كلهم أن هذا المشروع المقام على أرض المقبرة الإسلامية التاريخية بحد ذاته هو ضد فكرة كرامة الإنسان أو التسامح.

ومما يلفت النظر بشكل يدعو إلى الاستهجان أن المحكمة الإسرائيلية العليا، التي يفترض بها أن تهتم بتطبيق قوانين حماية المقابر التاريخية حتى لو كانت تلك المقابر غير يهودية، أصدرت في تشرين الثاني 2008 قرارها القاضي بالسماح لمركز وسنتال بتنفيذ المشروع لأنه حسب ما جاء في القرار (... أقيم في نفس الموقع – يعني على أرض المقبرة – موقف للسيارات منذ أكثر من أربعين عاما – (1966) دون أن يلقى أية معارضة). وكان هذا الجزء من القرار مرفوضا لسببين، الأول: أن قرار السماح بالاستمرار في المشروع بني على وقوع تعد سافر آخر مناف للأخلاق والقيم على قدسية أرض المقبرة وقع قبل أربعين عاما وأنه حينها لم يثر أية اعتراضات. والثاني: أن قرار المحكمة يعترف بوقاحة وبدون خجل أن موقفا للسيارات بني فوق ثرى تلك المقبرة التاريخية التي كانت مدفنا لجنود صلاح الدين والتي ظل أهالي القدس يدفنون موتاهم فيها لمدة تقرب من العشرين عاما قبل أن يتولى الحارس الإسرائيلي الوصاية على أمر المقبرة عام 1948. وكان هناك أمر آخر منتقد في قرار

المحكمة الإسرائيلية وهو أن هيئة المحكمة المكونة من تسعة أعضاء كانت انتقائية في الاقتباس من القوانين الشرعية الإسلامية بصورة سافرة، فاستندت في قرارها إلى فتوى شرعية إسلامية تجيز البناء فوق المقابر الإسلامية المندرسة معتبرة أن المقبرة بعد احتلال القدس عام 1948 أصبحت غير مستعملة، وتجاهلت هيئة المحكمة الجزء الأهم من الفتوى الذي ينص على أن أرض المقبرة هي من أملاك الأوقاف الإسلامية وأن جواز البناء فوق المقابر الإسلامية المندرسة مشروط بأن تكون المنفعة هي لمصلحة جمهور المسلمين، كما أن عدم استعمال المقبرة كان بسبب الاحتلال.

وبالعودة إلى التاريخ مرة أخرى نجد أن كارين آرمسترونج تذكر في كتابها *(القدس: مدينة واحدة وثلاثة أديان)* تفاصيل دقيقة عن أحداث تاريخية مرت بمدينة القدس. ففي الفصل الرابع عشر من كتابها تصف اليوم الأول لصلاح الدين حين عودته إلى القدس بعد جلاء الصليبيين عنها عام 1187 حيث تقول:" لقد دعا صلاح الدين اليهود للعودة إلى القدس التي كانوا قد منعوا من دخولها أيام الصليبيين. وفي ذلك الوقت حيا العالم اليهودي صلاح الدين بأن وصفه بأنه سايروس جديد". وذلك في إشارة إلى ما فعله الملك الفارسي سايروس الثاني الذي حرر اليهود من منفاهم في بابل وسمح لهم بالعودة إلى القدس.

وهكذا إذا يكافئ الإسرائيليون اليوم جند صلاح الدين الذي مجده أسلافهم، فيطمسون المقبرة التاريخية التي دفن فيها هذا القائد التاريخي جنوده ووزراءه ورجال دولته، ويصفق زعماؤهم وشركاؤهم من مركز سايمون وسنتال الأمريكي لقرار محكمتهم العليا الذي كان انتقائيا في مجمله بالإضافة إلى أنه خالف

حتى قوانين إسرائيل نفسها التي حين تجيز نقل قبور غير اليهود تشترط أن يكون النقل بصورة تحافظ على (كرامة الموتى).

هذه الصورة لبقايا عظام من قبور ماميلا وضعت في صناديق كرتونية، لا تدل على المحافظة على كرامة القبور كما ينص القانون الإسرائيلي[64]

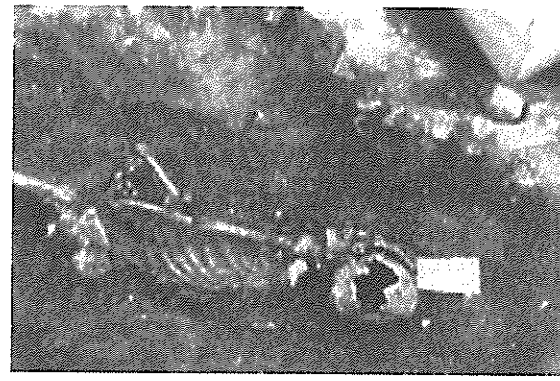

صورة أخرى تدل على تدنيس القبور وإهانة الشخصيات التاريخية في ماميلا[65]

---

[64] التماس أبناء العائلات المقدسية للجان حقوق الإنسان – شباط 2010

[65] التماس أبناء العائلات المقدسية المقدم للجان حقوق الإنسان في هيئة الأمم المتحدة – شباط 2010

يقول جيمي كارتر في كتابه *(فلسطين: سلام وليس فصلا عنصريا)* أنه تحدث في لقاء له مع أهارون باراك رئيس المحكمة العليا الإسرائيلية عام 1990. قال كارتر لمحدثه أهارون: "إذا أردت أن تتخذ قرارات تؤثر في حياة الناس فعليك أن تعرف شيئا عن حياتهم. "فأجاب باراك مبتسما: أنا قاض ولست محققا". ومن ذلك ندرك اليوم السبب في أن كبير القضاة في إسرائيل وهيئة المحكمة العليا المكونة من تسعة من كبار القضاة، حين أصدروا قرارهم في نوفمبر 2008 – بعد سنتين من دراسة القضية وتمحيصها الدقيق– لم يهتموا كثيرا بمعرفة تاريخ المقبرة، فهم قضاة وليسوا محققين بحسب رأي زميلهم الأسبق أهارون. وليس من الضروري بالنسبة لهم أن يعرفوا شيئا عن المقبرة وعن أهميتها التاريخية بالنسبة لأبناء القدس الذين دفن أجدادهم فيها. واستنادا إلى هذا المنطق لم يجدوا أنه من الضروري ان يعرفوا تفاصيل أكثر عن حيثيات الحكم الشرعي الإسلامي الذي استندوا إليه والذي يقضي بجواز البناء فوق المقبرة إذا اعتبرت المقبرة مندرسة، وليس من المهم عندهم أن يعرفوا رأي الحكم الشرعي الذي اعتمدوه في ملكية أرض المقبرة بعد اعتبارها مندرسة، لأنهم وبصفتهم قضاة كبارا استغرقوا في تمحيص القضية سنتين، فمن حقهم أن يأخذوا من الأحكام الشرعية الإسلامية ما يناسبهم وأن يتركوا ما لا يناسبهم. ثم يصدرون بعد ذلك حكمهم بأن أحدا لم يحتج على ما كان يجري من تدنيس لأرض المقبرة، فهم ليسوا محققين كما قال أهارون ليتأكدوا إن كان هناك احتجاج. ولذلك هم غير مكلفين بالتحقق من أن أبناء العائلات المقدسية احتجوا مرارا على الممارسات والإهانات المتوالية التي كانت تلحق بقبور أجدادهم طوال تلك السنوات وليس من المهم أن يتحققوا حتى من أمر

المؤتمر الصحفي الذي أشار إليه محافظ القدس الأردني الأخير أنور الخطيب التميمي في كتابه (مع صلاح الدين في القدس)، ذلك الكتاب الذي تضمن مذكراته الشخصية التي قام بنشرها عام 1989، والتي قال فيها أن دائرة الأوقاف دعت إلى مؤتمر صحفي حضره قناصل الدول الأجنبية المعتمدون في القدس، وعرضت فيه بقايا عظام بشرية تركها العمال متناثرة على أرض المقبرة.

اجتمع المقدسيون ورجال دائرة الأوقاف الإسلامية في مقبرة ماميلا يتفقدون بعض القبور المنبوشة ويجمعون البقايا المنثورة[66]

[66] مذكرات أنور الخطيب التميمي في كتابه مع صلاح الدين في القدس-1989

أما العامان اللذان احتاجتهما هيئة المحكمة لدراسة القضية فيعتقد أنهما كانا زمنا كافيا ليقوم المقاولون بعملهم السري خلف أسوارهم المعدنية الشاهقة، متسترين تحت خيامهم البيضاء يحرسهم موظفوهم من رجال الأمن الذين منعوا الصحفيين ومنعوا أبناء القدس من الاقتراب من موقع الحفريات، فقاموا بأعمال تخالف حتى القوانين الإسرائيلية نفسها التي تجيز نقل رفات غير اليهود من مقابرهم بشرط أن يكون ذلك بصورة لائقة ومحترمة.

ولحسن الحظ فإن المؤرخ المقدسي مجير الدين الحنبلي ضمن في كتابه المفصل (أنس الجليل في تاريخ القدس والخليل) قائمة بأسماء الشخصيات المقدسية التاريخية التي ووريت الثرى في مقبرة ماميلا. ومع أن القائمة لا تشمل إلا أولئك الذين كانت شواهد قبورهم باقية حين التدوين في القرن السادس عشر، نجد أن القائمة فيها الكثير من الفائدة التاريخية والسياسية. فبالإضافة إلى بعض وزراء صلاح الدين ورجال الدولة في عصره اشتملت القائمة على الكثير من الشخصيات المقدسية التي عاصرت أمراء المماليك منذ القرن الثالث عشر وإلى القرن السادس عشر. ومن هؤلاء قضاة وعلماء وقادة عسكريون ونظار للحرم القدسي والحرم الإبراهيمي.

وهذه بعض الأسماء التي وردت في كتاب الأنس:

(1) الأمير ناصر الدين النشاشيبي أحد وزراء صلاح الدين. استبقاه صلاح الدين في القدس فعمل ناظرا للحرمين الشريفين، الحرم القدسي والحرم الإبراهيمي في الخليل.

(2) ضياء الدين عيسى المكاري وقد كان من وزراء صلاح الدين وهو من العلماء الذين استبقاهم في المدينة.

(3) الأمير علاء الدين الكبكي وهو من أمراء المماليك. وضريحه يقع فيما يعرف بالزاوية الكبكية، وهي مبنى صغير يتكون من غرفة واحدة عليها قبة. وقد بنيت الكبكية عام 688 هجرية وما تزال الزاوية قائمة إلى اليوم. توفي الأمير علاء الدين عام 1289.

(4) برهان الدين بن جماعة. كان قاضيا للقضاة ورئيسا للمدرسة الصلاحية.

(5) الأمير صلاح الدين إمزرد السلحدار ... من أمراء المماليك.

(6) الإمام شرف الدين، وهو عالم ومن أئمة المسجد الأقصى.

(7) أيدمار الشيخاني. كان ناظرا للحرمين الشريفين.

(8) جلال الدين القلانسي. وتقع الزاوية المدفون فيها شمال الزاوية الكبكبية، وهي اليوم خارج حدود المقبرة.

(9) الشيخ شهاب الدين المقدسي وهو فقيه معروف.

(10) الحاج علون بن أبراهيم الرندي الأندلسي. وهو صاحب سويقة علون الشهيرة في البلدة القديمة داخل أسوار القدس.

(11) تقي الدين القرقشندي، كان قاضيا للقضاة. توفي عام 1276.

(12) أحمد رجب النشاشيبي وهو حفيد الأمير ناصر الدين الذي ذكر سابقا. وكان أحمد رجب من رجال بلاط السلطان المملوكي الظاهر جقماق.

(13) عبد الله البسطامي. وهو من علماء الصوفية. دفن في مدفن البسطامية.

(14) أبو بكر الشيباني، وهو واحد من كبار الصوفيين، وأحفاده ما زالوا يعيشون في الجليل الأعلى إلى اليوم.

(15) شمس الدين الديري الخالدي وهو واحد من أجداد العائلة الخالدية المقدسية. كان شمس الدين قاضيا للقضاة. وقد ظل أحفاده يدفنون في ماميلا إلى العقد الثاني من القرن العشرين.

(16) عبد الرحمن الديري الخالدي وهو ابن شمس الدين. وكان عبد الرحمن ناظرا للحرمين الشريفين.

(17) فخر الدين الرازي. كان قاضيا للقضاة وأستاذا في الحرم القدسي والحرم الإبراهيمي.

(18) شهاب الدين أرسلان. كان قاضيا للقضاة، توفي عام 1449.

(19) عبد الحسن البدري. وهو ينتسب إلى علي بن أبي طالب. وقد دفن عبد الحسن هو وجميع أبناء عائلته من السادة البدرية في مقبرة ماميلا. ومن الجدير أن نذكُر هنا أن عبد الحسن وعائلته كانوا يسكنون في الطالبية وهي الضاحية الشهيرة في غربي القدس اليوم، أخذت اسمها من اسم نسب سكانها الطالبيين (أحفاد علي بن أبي طالب).

(20) صلاح الدين محمد العطار الذي كان مندوب السلطنة أيام حكم السلطان المملوكي الأشرف برسباي، كما شغل العطار منصب ناظر الحرمين الشريفين.

(21) الشيخ أحمد الدجاني المنسي. كان على صلة بحكام القدس ودمشق وقد توفي عام 1561.

(22) الإمام خير الدين الرملي. وكان المفتي الحنفي. وله كتب في الفقه منشورة.

(23) نجم الدين الخيري. كان مفتيا في القدس. وهو جد عائلة الخيري المقدسية.

(24) الأمير ركن الدين منكورش الجاشنكير. توفي عام 1317.

(25) الأمير محمد القاسم التميمي البطروري. كان ناظرا للحرمين الشريفين. وتوفي عام 1464.

(26) سيف الدين أركاس وهو ابن عبد الله الجلباني. وقد كان سيف الدين ناظرا للحرمين الشريفين .

(27) الأمير حسن بن أيوب. كان نائبا للسلطان في القدس أيام حكم الملك الظاهر جقماق.

(28) الأمير ابن الهمام. وهو ابن ناصر الدين خوشقدم، وكان من أعيان القدس وعمل حاكما للمدينة.

(29) جمال الدين الربيع. كان نائبا للملك الأشرف قيتباي. توفي عام 1486.

(30) الأمير (جان بلاط) جنبلاط، كان ناظرا للحرمين الشريفين خلال حكم الملك الأشرف قايتباي.

أخيرا إن أبناء القدس العرب ما زالوا يتساءلون إن كان قرار المحكمة الإسرائيلية العليا الذي جاء في عشرين صفحة سوف يغير التاريخ وحقائقه. إنه بالتأكيد لن يدعم إيحاءات كاذبة أن أبناء القدس العرب خلال الثماني مائة سنة الماضية لم يكونوا هنا في القدس ولم يكن لهم فيها تاريخ يستحق أن يذكر. وهم يتساءلون أيضا إن كانت المحكمة العليا الإسرائيلية جادة في قرارها حين توصلت إلى أن المقبرة كانت مهملة منذ عام 1948 وإلى عام 1993

حين انتهت مهمة إشراف الحارس على المقبرة. وهل كانوا جادين حين تجاهلوا أن رجال الوقف الإسلامي احتجوا دون جدوى على ما جرى من انتهاك للمقبرة عام 1967، وأن أبناء القدس صعقوا حين وجدوا عظام أجدادهم في حفر خلفتها الجرافات التي كانت تقوم بتمهيد الأرض لموقف سياراتهم العتيد؟ هل كان مركز سايمون وسنتال صادقا حقا حين ادعى أن المشروع الذي خططت له شركة فرانك جري لكرامة الإنسان وللتسامح أنه فعلا للكرامة والتسامح. ألم يكن من الممكن لهم إيجاد قطعة أرض غير متنازع عليها لإقامة مشروعهم الكبير لكرامة الإنسان والتسامح؟ هل يتوقعون أن يتسامح أبناء القدس من العرب بدمار مقبرة حوت أجداث جنود صلاح الدين وظلت مثوى لأهل القدس وعائلاتها منذ 800 عام؟

ملحق رقم – 4

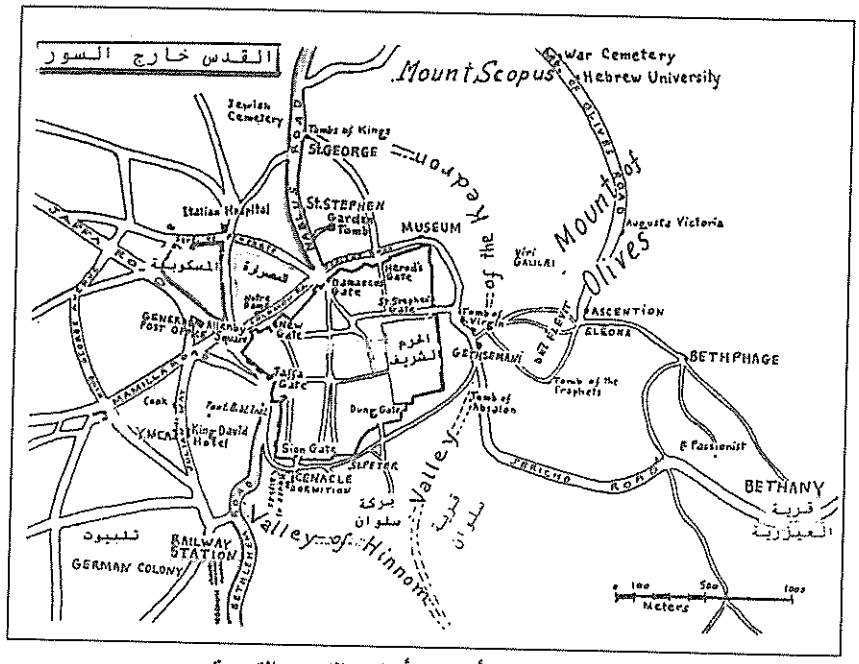

القدس خارج الأسوار وأبواب القدس القديمة

(الخارطة نقلا عن الدليل السياحي للأرض المقدسة من منشورات مطبعة الفرنسسكان)

St Stephan's Gate	باب الأسباط	.5	Jaffa Gate	باب الخليل	.1
Dung Gate	باب المغاربة	.6	New Gate	باب الجديد	.2
Sion Gate	باب النبي داود	.7	Damascus Gate	باب العمود	.3
			Herods Gate	باب الساهرة	.4

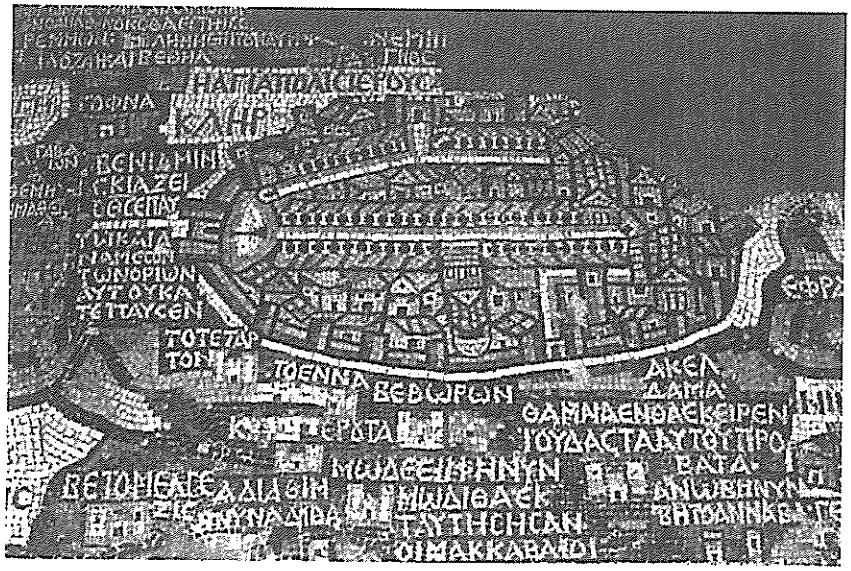

جزء من القدس المسيحية كما ظهرت في خارطة مادبا الفسيفسائية

عن كتاب Karen Armstrong

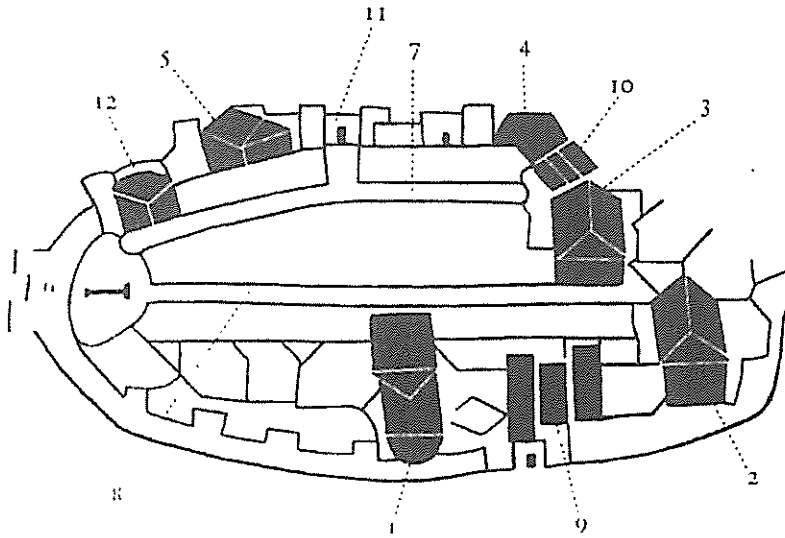

1. مبنى الجلجلة
2. كاتدرائية Holy Sion
3. The "Nea" Church
4. Church of Holy Wisdom
5. Church of Mary's Nativity
6. باب العمود. (أقام العمود الإمبراطور الروماني إليوس هدريان الذي زار المدينة عام 130م وأمر بتعميرها وأسماها باسمه إيليا كبيتولينا. وظلت تعرف باسم (إيلياء) إلى أن دخلها عمر بن الخطاب في شهر شباط من عام 638م
7. طريق الواد (وهي لا تزال حتى اليوم)
8. طريق باب خان الزيت
9. قلعة هدريان – باب الخليل
10. الحائط الغربي لما يسمى بالهيكل، واليوم هو حائط المبكى
11. باب الأسباط
12. قصر الإمبراطورة Eudokia

عاصم الخالدي من مواليد باب السلسلة بالقدس في العام 1933. عمل في التعليم ما يقرب من خمسة عقود من الزمن، بدأها في الكلية الرشيدية بالقدس وختمها متقاعدا من جامعة بيرزيت في العام 2000.

وفي مجموعة الذكريات هذه حاول الكاتب تدوين بعض الذكريات الشفهية التي تناقلتها عائلته التي سكنت حي باب السلسلة منذ مئات السنين، فروى بعض ما ورد من تلك الذكريات عن جد العائلة الأكبر قاضي القضاة شمس الدين الديري الخالدي المتوفى في العهد المملوكي (1433م) أيام كان طريق باب السلسلة هو الطريق الأعظم في القدس.

ثم جاء الكاتب على ذكر بعض من عاصروا العهد العثماني في القرن التاسع عشر من أبناء جده القاضي محمود وخص منهم محي الدين الخالدي (المتوفى عام 1905) وابنه عبد الغني المتوفى عام (1902). وفي الفصل الأخير تحدث الكاتب بإسهاب عن والده فؤاد عبد الغني الذي شهد سقوط القدس ثلاث مرات خلال حياته. كان السقوط الأول في كانون الثاني عام 1917 عندما كان فؤاد شاباً في السادسة عشرة من العمر، رافق يومها عمه محمود عزيز الخالدي الذي أصر على مواجهة الكولونيل البريطاني ديدس للتعبير عن سخط أبناء فلسطين على وعد بلفور، ومن ثم شارك فؤاد في الحركة الوطنية الفلسطينية في ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي.

هذه ليست مذكرات، ولكنها مجموعة من الذكريات قد تبقي الأبناء على صلة بهذا البلد الذي أحبه أجدادهم وشرفوا بالانتماء إليه، وتوثّق ارتباطهم بالقدس، مسقط رأسهم، على مرّ العصور.